عبد الزهراء عثمان محمد
الشهيد عز الدين سليم

مدرسة الغدير

وأثر الفكر الإسلامي في الحياة

زيد للنشر
بغداد - العراق

دار الزهراء
للطباعة والنشر والتوزيع

كتابخانه مجازى الفبا | بازنشر مقالات و كتب | Alefbalib.com

کتابخانه مجازی الفبا | بازنشر مقالات و کتب
ALEFBALIB.COM
مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

مدرسة الغدير

وأثرها الفكر الإسلامي في الحياة

Alefbalib.com | بازنشر مقالات و کتب | کتابخانه مجازی الفبا

کتابخانه مجازی الفبا | بازنشر مقالات و کتب | Alefbalib.com

عبد الزهراء عثمان محمد

الشهيد عز الدين سليم

کتابخانه
مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی
شماره ثبت: ۰۰۷۹۲۸
تاریخ ثبت :

مدرسة الغدير

وأثر الفكر الإسلامي في الحياة

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الكتاب الفائز بالجائزة الثانية لمسابقة في مهرجان الإمام علي
بمناسبة مرور ١٤ قرناً على يوم الغدير
ذو الحجة ١٤١٠هـ تموز ١٩٩٠م لندن

جمعداری اموال
مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی
ش - اموال: ۴۸۳۲۵

زيد للنشر
بغداد - العراق

دار الزهراء
للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان

Alefbalib.com | بازنشر مقالات و کتب | کتابخانه مجازی الفبا

حقوق الطبع محفوظة للناشر

الطبعة الأولى

1428 هـ - 2007 م

ISBN: 1-874464-17-0

کتابخانه مجازی الفبا | بازنشر مقالات و کتب | Alefbalib.com

تقديم

سماحة العلامة الدكتور السيد فاضل البلادي

بسم الله الرحمن الرحيم

انعقد في لندن مهرجان ضخم بمناسبة مرور أربعة عشر قرناً على يوم الغدير الأغرّ؛ يوم إتمام الدين وإكمال النعمة؛ وذلك من ١٨ ذي الحجة ١٤١٠ هجرية إلى ٢٢ ذي الحجة بهدف توعية الأمة الإسلامية بأهمية هذا ليوم العظيم.

لقد دُعي حوالي ألف شخصية علمائية وفكرية وأدبية إلى ذلك المهرجان باعتباره محطة تاريخية كبرى ذات معطيات وقيم حضارية من شأنها مدّ الأمة بينابيع الفكر الأصيل وتسخير ذلك إلى منطلق لاستيعاب حركة الحاضر ومتغيراته وآفاق المستقبل المشرق.

افتتح المهرجان بكلمة سماحة العلامة الدكتور السيد محمد بحر العلوم؛ ثم قرئت كلمات المراجع العظام آنذاك وهم: الإمام الخوئي، وآية الله العظمى السيد الكلبايكاني، ثم آية الله العظمى السيد المرعشي قدّس الله أرواحهم، وكانت جميعاً تؤكد على توحيد مواقف المسلمين وأهدافهم في هذا الزمن الحرج وبلورة فكرة يوم الغدير وترسيخها في الذهنية العامة.

وجاءت كلمة آية الله الشيخ محمد مهدي شمس الدين (قدّس سرّه) لتتناول المتغيرات الدولية وأثرها على الأمة الإسلامية ثم لتؤكد على أن

Alefbalib.com | بازنشر مقالات و کتب | کتابخانه مجازی الفبا

المردود العملي لمناسبة يوم الغدير يكون باتخاذ هذه المناسبة منطلقاً لحل الخلافات داخل جسم الأمة الإسلامية؛ وذلك بتوظيف نهج الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في التعامل مع الأحداث فهو النهج الإسلامي الأصيل الذي يتكفل بحل جميع المشاكل لو قدّر له ن يطبق تطبيقاً صحيحاً.

أما قصيدة الشاعر الكبير الملهم الدكتور مصطفى جمال الدين فقد هزّت مشاعر الحضور ونالت استحساناً منقطع النظير حيث ركّزت على (الولاية) محوراً لكل الانتماءات التي قوامها الخير والشرف والهداية وحللت الكثير من الأزمات التي يمر بها عالمنا الإسلامي.

لقد تضمن المهرجان فعاليات متنوعة شملت الأبحاث باللغات العربية والفارسية والانجليزية؛ كما غطت الأمسيات الشعرية باللغات الثلاث مساحة واسعة من هذه الفعاليات. وإلى جانب ذلك كان معرض الكتاب والمعرض الفني؛ ومسابقة الكتابة عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام.

لقد اشترك عدد كبير من المؤلفين في مسابقة الكتاب حيث تم الإعلان عنها قبل فترة زمنية معقولة في عدد من الصحف الواسعة الانتشار في البلاد الاسلامية؛ وتشكلت لجنة للتحكيم من أجل تقييم تلك الكتب؛ كان لي شرف العضوية فيها. وبعد المداولات بين أعضاء اللجنة توصلنا إلى القرارات الآتية:

تمنح الجائزة الأولى؛ وقدرها ثلاثة آلاف دولار إلى العلامة الجليل الشيخ ضياء الدين زين الدين عن كتابه (علي في التزام الحق).

وقد تقاسم الجائزة الثانية وكان مقدارها ألفي دولار؛ كتابان: الأول بعنوان (مدرسة الغدير وأثر الفكر الإسلامي في الحياة) للأستاذ عبد الزهرة عثمان محمد؛ والذي عرفنا لاحقاً أنه الشهيد عز الدين سليم الذي اغتالته الأيدي الأثيمة في العراق في منتصف عام ٢٠٠٤ فالتحقت روحه الطاهرة

Alefbalib.com | بازنشر مقالات و كتب | كتابخانه مجازى الفبا

بالرفيق الأعلى تاركاً وراءه تراثاً مباركاً في سيرة الإمام عليه السلام؛ ومن قبل ذلك في سيرة الصديقة الزهراء عليها السلام.

أما الثاني فكان بعنوان (الغدير والولاية والمسيرة ودور أهل البيت) للأستاذ عبد الأمير عليخان.

أما الجائزة الثالثة وكان قدرها ألفي دولار أيضاً فقد تقاسمها كاتبان من مصر هما الأستاذ مصطفى كمال أحمد والأستاذ شريف محمد راشد الصيرفي؛ ومن الطريف أن نعرف أنه وصل اللجنة كتاب باللغة اليابانية فقررنا تقديم جائزة تقديرية للمؤلف.

لقد تعهدت لجنة المهرجان بطبع الكتب الفائزة في المسابقة؛ ولكن الأحداث الصاخبة والتقلبات السياسية المرّة التي بدأت باحتلال طاغية النظام العراقي شغلت بال المعنيين بأمور أكثر حراجة فتأخر الوفاء بالوعد. والآن حان الوقت لطبع تلك الآثار القيمة التي وفق الله جلّ وعلا أخانا الأستاذ الجليل السيد محمد حسين بحر العلوم لإنجاز هذه المهمة المباركة.

ALEFBALIB.COM
مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

في هذا الأثر القيم للشهيد عبد الزهراء عثمان محمد (عز الدين سليم) لا نتطلع إلى الغدير كعقيدة فقط وإنما نتلمس المنهج والمسار؛ ونتزود بالفكر الإسلامي النيّر ونفهم الحياة بلون آخر أكثر إشراقاً وسناءً.

فاضل الحسيني الميلاني

عضو اللجنة التحضيرية للمهرجان العالمي الأول للإمام علي عليه السلام
بمناسبة الذكرى المئوية الرابعة عشرة ليوم الغدير الخالد
ذي الحجة ١٤١٠هـ تموز ١٩٩٠م
لندن ـ ١ ربيع الأول ١٤٢٨هـ

Alefbalib.com | بازنشر مقالات و کتب | کتابخانه مجازی الفبا

کتابخانه مجازی الفبا | بازنشر مقالات و کتب | Alefbalib.com

مُقدّمة

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين.

كنت أتمنى على اللجنة التحضيرية لمؤتمر يوم الغدير المبارك، أن يكون محور المسابقة التي دعت إليها مكرساً للكتابة حول حديث الغدير مضموناً وظروفاً، ودلالة، لتوفر هذه الفرصة التاريخية كتابة العديد من المؤلفات حول هذا الموضوع الحيوي، إلا أن اللجنة الموقرة حيث ارتأت أن يكون محور الكتابة حول (أثر الفكر الإسلامي في الحياة) فقد حاولت في منهجة الكتابة أن أستجيب لرغبة اللجنة الموقرة مع الاحتفاظ برغبتي التي أشرت إليها.

ولذا جاء هذا البحث الذي أقدمه في مناسبة مرور أربعة عشر قرناً على يوم الغدير، وهو يتكون من قسمين:

قسم يتناول قضية الغدير: حادثاً وظروفاً، ومدلولاً، وأهمية، وقد احتل هذا البحث نصف الكتاب، على أني أرجو أن يكون قد جاء مستوعباً لهذا الموضوع الجليل في أهم أغراضه وأبعاده.

وقسم يتناول أثر الفكر الإسلامي في الحياة في ضوء مدرسة أهل البيت عليهم الصلاة والسلام (مدرسة الغدير) وكيف أن هذا الفكر الخصيب قد

Alefbalib.com | بازنشر مقالات و كتب | كتابخانه مجازى الفبا

كان غديراً صافياً معطاء، وهب الخير والخصب والعطاء للناس الذين كانوا لولا بعثة المصطفى ﷺ يضربون في فيافي التيه والضلال، لا يأوون إلى شاطئ نجاة، ولا يسترشدون إلى طريق هدى.

إن كل ما لدى المسلمين اليوم من خير وبركة وتأثير كان من بركات أهل بيت النبوة عليهم الصلاة والسلام، وكل سوء وكل إحباط وكل تخلف وانهيار كان من سواهم.

إننا نعني ما نقول حين نربط كل خير كسبته أو تكسبه هذه الأمة بآل محمد صلى الله عليهم أجمعين، إذ لولا هداهم وبصائرهم وسيوفهم ودماؤهم الرافضة للظلم والطواغيت، لما اخضرّ للإسلام عود، ولما قام لهذه الأمة وجود.

وإن الانتكاسات الكبرى التي جرت بعد رحيل رسول الله ﷺ لم تتسبب في إحداث نكسة سياسية كما يظن البعض، فحسب وإنما كانت نكسة ونكوصاً على مستوى الرسالة والأمة والفكر والتشريع والإيمان والعواطف.

تعال معي لنقرأ هذه الأرقام المذهلة لنرى حجم المأساة التي واجهتها الأمة ورسالتها بعد غياب شخص رسول الله ﷺ حتى نستطيع أن نقدر ضخامة الجهود التي بذلها أهل البيت عليهم السلام لحفظ الرسالة وهوية الأمة إضافة إلى الشعور بعظيم الفضل الذي أسداه أهل هذا البيت لمسيرة الإسلام والأمة والإنسانية:

- اخرج البخاري والترمذي عن أنس بن مالك انه قال: ما أعرف شيئاً مما كان على عهد رسول الله ﷺ! قيل: الصلاة؟ قال: أليس صنعتم ما صنعتم فيها[1].

- ويشير ابن كثير في البداية والنهاية إلى ما أحدثه بنو أمية أيام حكمهم

---

(١) صحيح البخاري: ج١ ص١٤١، وصحيح الترمذي: ج٤ ص٦٣٢.

Alefbalib.com | بازنشر مقالات و کتب | کتابخانه مجازی الفبا

في الصلاة، حيث أخروها عن وقتها حتى جاء عمر بن عبد العزيز فأعادها إلى وقتها الأول[1].

ـ وفي الصحاح عن أبي سعيد الخدري قال: (خرجت مع مروان وهو أمير المدينة في أضحى أو فطر فلما أتينا المصلى إذا منبر بناه كثير بن الصلت فإذا مروان يريد أن يرتقيه قبل أن يصلي فجذبت بثوبه فجذب فيَّ فارتفع فخطب قبل الصلاة فقلت له غيّرتم والله، فقال: يا أبا سعيد قد ذهب ما تعلم، فقلت: ما أعلم والله خير مما لا أعلم، فقال: إن الناس لم يكونوا يجلسون لنا بعد الصلاة فجعلتها قبل الصلاة)[2].

ـ وقال الزهري: (دخلنا على أنس بن مالك بدمشق وهو وحده يبكي، فقلت: ما يبكيك؟، قال: لا أعرف شيئاً مما أدركت إلا هذه الصلاة وقد ضيّعت)[3].

ـ واخرج الإمام أحمد في مسنده عن سالم بن أبي الجعد عن أم الدرداء قالت: دخل عليَّ أبو الدرداء وهو مغضب، فقلت: ما أغضبك؟، قال: والله لا أعرف فيهم من أمر محمد ﷺ شيئاً إلا أنهم يصلون جميعاً[4].

ـ ويذكر المؤرخون أن الصراع حين استشرى بين عبد الملك بن مروان وخصمه عبد الله بن الزبير واستولى الثاني على مكة، وبدأ يفرض على الحجيج مبايعته، منع عبد الملك من الحج، ودعا الناس لحج بيت المقدس، وقال: (هذا ابن شهاب الزهري يحدثكم أن الرسول قال: لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي، ومسجد بيت المقدس، وهو

---

(١) البداية والنهاية: ج٩ ص١٧٨.

(٢) صحيح البخاري: ٢/ ٢٢، صحيح مسلم: ٣/ ٢٠، سنن أبي داود: ١/ ١٧٨، سنن ابن ماجة: ١/ ٣٨٦، سنن البيهقي: ٣/ ٢٩٧، مسند أحمد: ٣/ ١٠ ـ ٢٠ ـ ٥٢ ـ ٥٤ ـ ٩٢، مسند ابن أبي شيبة: ٢/ ١٧١.

(٣) جامع بيان العلم: ٢/ ٢٤٤.

(٤) مسند الإمام أحمد: ٦/ ٤٤٣.

Alefbalib.com | بازنشر مقالات و كتب | كتابخانه مجازى الفبا

يقوم لكم مقام المسجد الحرام وهذه الصخرة التي يروى أن رسول الله وضع قدمه عليها لما صعد إلى السماء تقوم لكم مقام الكعبة، فبنى على الصخرة قبة وعلق عليها ستور الديباج وأقام لها سدنة وأخذ الناس بأن يطوفوا حولها كما يطوفون حول الكعبة وينحرون يوم العيد ويحلقون رؤوسهم)[1].

كما أقام السلطان العباسي المتوكل كعبة في سامراء، (وجعل طوافاً واتخذ منى وعرفات حتى يحج إليها أمراء جيشه، ولا يفارقوه)[2].

ويشير الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في خطبة دامية إلى أبعاد الكارثة الحضارية التي حلت بالإسلام والأمة بعد النبي صلى الله عليه وآله، لما أحدثه الولاة قبل خلافة علي عليه السلام من تغييرات في الفكر والتشريع والأحكام فيقول: (ألا أن أخوف ما أخاف عليكم خلتان: اتباع الهوى وطول الأمل، أما اتباع الهوى فيصدعن الحق، وأما طول الأمل فينسي الآخرة، ألا أن الدنيا قد ترحلت مدبرة وأن الآخرة قد ترحلت مقبلة ولكل واحدة بنون، فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا فإن اليوم عمل ولا حساب، وإن غداً حساب ولا عمل، وإنما بدء وقوع الفتن من أهواء تتبع وأحكام تبتدع، يخالف فيها حكم الله يتولى فيها رجال رجالاً، ألا أن الحق لو خلص لم يكن اختلاف ولو أن الباطل خلص لم يخف على ذي حجى لكنه يؤخذ من هذا ضغث ومن هذا ضغث، فيمزجان فيجللان معاً، فهناك يستولي الشيطان على أوليائه ونجا الذين سبقت لهم من الله الحسنى، إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: كيف أنتم إذا لبستكم فتنة يربو فيها الصغير ويهرم فيها الكبير، يجري الناس عليها ويتخذونها سنة فإذا غير منها شيء قيل: قد غيرت السنة وقد أتى الناس منكراً ثم تشتد البلية وتسبى الذرية وتدقهم الفتنة كما تدق النار الحطب وكما تدق الرحا بثفالها، ويتفقهون لغير

---

(١) البداية والنهاية: ٨/ ٢٨٠، وتاريخ اليعقوبي: ٢/ ٢٦١.
(٢) أحسن التقاسيم للمقدسي: ص١٢٢ ـ ١٢٣.

Alefbalib.com | بازنشر مقالات و كتب | كتابخانه مجازى الفبا

الله ويتعلمون لغير العمل ويطلبون الدنيا بأعمال الآخرة، ثم أقبل بوجهه وحوله ناس من أهل بيته وخاصته وشيعته فقال: قد عملت الولاة قبلي أعمالاً خالفوا فيها رسول الله ﷺ متعمدين لخلافه، ناقضين لعهده مغيرين لسنته ولو حملت الناس على تركها وحولتها إلى مواضعها وإلى ما كانت في عهد رسول الله ﷺ لتفرق عني جندي حتى أبقى وحدي أو قليل من شيعتي الذين عرفوا فضلي وفرض إمامتي من كتاب الله عز وجل وسنة رسول الله ﷺ أرأيتم لو أمرت بمقام إبراهيم عليه السلام، فرددته إلى الموضع الذي وضعه فيه رسول الله ﷺ، ورددت فدك إلى ورثة فاطمة عليها السلام، ورددت صاع رسول الله ﷺ كما كان، وأمضيت قطائع أقطعها رسول الله ﷺ لأقوام لم تمضِ لهم ولم تنفذ، ورددت دار جعفر إلى ورثته وهدمتها من المسجد، ورددت قضايا من الجور قَضِي بها ونزعت نساءاً تحت رجال بغير حق فرددتهن إلى أزواجهن واستقبلت بهن الحكم في الفروج والأحكام، وسبيت ذراري بني تغلب، ورددت ما قسم من أرض خيبر، ومحوت دواوين العطايا، وأعطيت كما كان رسول الله ﷺ يعطي بالسوية ولم أجعلها دولة بين الأغنياء وألقيت المساحة، وسويت بين المناكح، وأنفذت خمس الرسول كما أنزل الله عز وجل وفرضه، ورددت مسجد رسول الله ﷺ إلى ما كان عليه، وسددت ما فتح فيه من الأبواب، وفتحت ما سد منه، وحرمت المسح على الخفين، وحددت على النبيذ وأمرت بإحلال المتعتين وأمرت بالتكبير على الجنائز خمس تكبيرات، وألزمت الناس الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم وأخرجت من أدخل مع رسول الله ﷺ في مسجده ممن كان رسول الله ﷺ أخرجه، وأدخلت من أخرج بعد رسول الله ﷺ ممن كان رسول الله أدخله، وحملت الناس على حكم القرآن وعلى الطلاق على السنة، وأخذت الصدقات على أصنافها وحدودها، ورددت الوضوء والغسل والصلاة إلى مواقيتها وشرائعها ومواضعها ورددت أهل نجران إلى مواضعهم، ورددت سبايا

Alefbalib.com | بازنشر مقالات و کتب | کتابخانه مجازی الفبا

فارس وسائر الأمم إلى كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، إذاً لتفرقوا عني والله، لقد أمرت الناس أن لا يجتمعوا في شهر رمضان إلا في فريضة وأعلمتهم أن اجتماعهم في النوافل بدعة فتنادى بعض أهل عسكري ممن يقاتل معي: يا أهل الإسلام غيرت سنّة عمر، أينهانا عن الصلاة في شهر رمضان تطوعاً ولقد خفت أن يثوروا في ناحية جانب عسكري ما لقيت من هذه الأمة من الفرقة وطاعة أئمة الضلالة والدعاة إلى النار!)[1].

ويشير سبط رسول الله الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام للتحول الرجعي الذي أحدثه بنو أمية في مسيرة الأمة فيقول: (ألا وأن هؤلاء قد لزموا الشيطان، وتركوا طاعة الرحمن، وأظهروا الفساد وعطلوا الحدود، واستأثروا بالفي، وأحلوا حرام الله، وحرموا حلاله)[2].

إن هذه الأرقام والوثائق تفضح حجم التخريب الفكري والروحي، والتشريعي الذي لحق الأمة والرسالة المباركة على أيدي القوى الحاكمة بعد النبي ﷺ لاسيما أجهزة الحكم الأموي البغيض.

غير أن الجهود العظيمة التي بذلها أهل بيت النبي ﷺ منذ غياب محمد رسول الله ﷺ بكل ما أتيحت لهم من إمكانات وجهود بما فيها بذل المهج وتقديم الأرواح الزكية من اجل هذا الدين المقدس..

أقول: إن تلك الجهود العظيمة هي التي حفظت ما نراه من هذه الرسالة وقيمها العظيمة وهي التي كانت سبباً في حركة التأثير الإيجابي في حياة المسلمين وغيرهم التي سنتحدث عن بعض مظاهرها في القسم الثاني من هذا البحث المتواضع وإلا لمحق دين محمد وضاعت رسالته.

إن هذه الحقيقة الناصعة التي أشرقت بها صفحات التاريخ الإسلامي

---

(١) الروضة من الكافي: ج٨ ص٥٨ ـ ٦٣.
(٢) تاريخ الطبري: ج٦ ص٢٢٩.

Alefbalib.com | بازنشر مقالات و كتب | كتابخانه مجازى الفبا

هي التي دعتنا أن نعقد فصلاً للحديث عن قضية الغدير التي تشكل أكبر حق لآل محمد ﷺ وأعظم فضيلة دونها تاريخ الإنسان لهم، ثم ننصرف للحديث عن آثار الفكر الإسلامي في دنيا الناس، الذي يشكل قبساً من أنوار أهل البيت عليهم الصلاة والسلام.

وفي نهاية هذه المقدمة لهذا البحث أود أن أرسم هنا صورة عن تأثير أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام على مسيرة الحضارة الإنسانية عموماً من خلال ما كتبه علامة المعتزلة عزّ الدين عبد الحميد بن أبي الحديد المدائني المتوفى ٦٥٦ هـ ببغداد، إذ يقول:

(وما أقول في رجل تعزى إليه كل فضيلة، وتنتهي إليه كل فرقة، وتتجاذبه كل طائفة، فهو رئيس الفضائل وينبوعها، وأبو عذرها، وسابق مضمارها، ومجلّي حَدَبتها، كل من بزغ فيها بعده فمنه أخذ، وله اقتفى وعلى مثاله احتذى.

وقد عرفت أن أشرف العلوم هو العلم الإلهي، لأن شرف العلم بشرف المعلوم، ومعلومه أشرف الموجودات، فكان هو أشرف العلوم، ومن كلامه عليه السلام اقتبس، وعنه نقل، وإليه انتهى ومنه ابتدأ، فإن المعتزلة ـ الذين هم أهل التوحيد والعدل، وأرباب النظر، ومنهم تعلم الناس هذا الفن[1] ـ تلامذته وأصحابه، لأن كبيرهم وأصل بن عطاء تلميذ أبي هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية، وأبو هاشم تلميذ أبيه، وأبوه تلميذه عليه السلام، وأما الأشعرية فأنهم ينتمون إلى أبي الحسن علي بن (إسماعيل بن) أبي بشر الأشعري وهو تلميذ أبي علي الجُبّائي، وأبو علي أحد مشايخ المعتزلة فالأشعرية ينتهون بأخَرة إلى أستاذ المعتزلة ومعلمهم، وهو علي بن أبي طالب عليه السلام[2].

وأما الإمامية والزيدية فانتماؤهم إليه ظاهر.

---

(١) (٢) لا يخفى أن المتكلم معتزلي الإتجاه

Alefbalib.com | بازنشر مقالات و كتب | كتابخانه مجازى الفبا

ومن العلوم علم الفقه، وهو عليه السلام أصله وأساسه، وكل فقيه في الإسلام فهو عيال عليه، ومستفيد من فقهه، أما أصحاب أبي حنيفة كأبي يوسف ومحمد وغيرهما فأخذوا عن أبي حنيفة، وأما الشافعي فقرأ على محمد بن الحسن، فيرجع فقهه أيضاً إلى أبي حنيفة، وأما أحمد بن حنبل فقرأ على الشافعي، فيرجع فقهه أيضاً إلى أبي حنيفة، وأبو حنيفة قرأ على جعفر بن محمد عليه السلام، وقرأ جعفر على أبيه عليه السلام وينتهي الأمر إلى علي عليه السلام، وأما مالك بن أنس فقرأ على ربيعة الرأي، وقرأ ربيعة على عكرمة وقرأ عكرمة على عبد الله بن عباس، وقرأ عبد الله بن عباس على علي بن أبي طالب، وإن شئت فرددت إليه فقه الشافعي بقراءته على مالك كان لك ذلك، فهؤلاء الفقهاء الأربعة.

وأما فقيه الشيعة فرجوعه إليه ظاهر، وأيضاً فأن فقهاء الصحابة كانوا: عمر بن الخطاب وعبد الله بن عباس، وكلاهما عن علي عليه السلام، أما ابن عباس فظاهر، وأما عمر فقد عرف كل أحد رجوعه إليه في كثير من المسائل التي أشكلت عليه وعلى غيره من الصحابة، وقوله غير مرة: (لولا علي لهلك عمر)، وقوله: (لا بقيت لمعضلة ليس لها أبو الحسن)، وقوله: (لا يُفتِينَّ أحد في المسجد وعليٌ حاضر)، فقد عرف بهذا الوجه أيضاً انتهاء الفقه إليه.

وقد روت العامة والخاصة قوله ﷺ: (أقضاكم علي)، والقضاء هو الفقه، فهو إذاً أفقههم، وروى الكل أيضاً أنه ﷺ قال له وقد بعثه إلى اليمن قاضياً: (اللهم أهدِ قلبه وثبت لسانه)، قال: فما شككت بعدها في قضاء بين اثنين، وهو عليه السلام الذي أفتى في المرأة التي وضعت لستة أشهر، وهو الذي أفتى في الحامل الزانية، وهو الذي قال في المنبرية[1]: صار ثمنها تسعاً، وهذه المسألة لو فكر الفرضي فيها فكراً طويلاً لاستحسن منه بعد طول النظر هذا الجواب فما ظنك بمن قاله بديهة واقتضبه ارتجالاً.

---

(١) أعطى حكمها وهو على المنبر.

Alefbalib.com | بازنشر مقالات و کتب | کتابخانه مجازی الفبا

ومن العلوم علم تفسير القرآن وعنه أخذ ومنه فرع وإذا رجعت إلى كتب التفسير علمت صحة ذلك لأن أكثره عنه وعن عبد الله بن عباس وقد علم الناس حال ابن عباس في ملازمته له، وانقطاعه إليه، وأنه تلميذه وخريجه وقيل له: أين علمك من علم ابن عمك؟ فقال: كنسبة قطرة من المطر إلى البحر المحيط.

ومن العلوم علم الطريقة والحقيقة وأحوال التصوف، وقد عرفت أن أرباب هذا الفن في جميع بلاد الإسلام إليه ينتهون، وعنده يقفون وقد صرح بذلك الشبلي، والجنيد، وسري، وأبو يزيد البسطامي، وأبو محفوظ معروف الكرخي، وغيرهم، ويكفيك دلالة على ذلك الخرقة التي هي شعارهم إلى اليوم، وكونهم يسندونها بإسناد متصل إليه عليه السلام.

ومن العلوم علم النحو والعربية، وقد علم الناس كافة أنه هو الذي ابتدعه وأنشأه، وأملى على أبي الأسود الدؤلي جوامعه وأصوله، من جملتها: الكلام كله ثلاثة أشياء: اسم وفعل وحرف، ومن جملتها تقسيم الكلمة إلى معرفة ونكرة، وتقسيم وجوه الإعراب إلى الرفع والنصب والجر والجزم، وهذا يكاد يلحق بالمعجزات، لأن القوة البشرية لا تفي بهذا الحصر، ولا تنهض بهذا الاستنباط.

وإن رجعت إلى الخصائص الخلقية والفضائل النفسانية والدينية وجدته ابن جلاها وطلاع ثناياها)[1].

المؤلف

شهر رمضان ١٤١٠ هـ

---

(١) شرح نهج البلاغة. ابن أبي الحديد، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم: ص١٧ ـ ٢٠، ط٢، ١٩٦٥م، دار إحياء الكتب العربية.

Alefbalib.com | بازنشر مقالات و كتب | كتابخانه مجازى الفبا

کتابخانه مجازی الفبا | بازنشر مقالات و کتب | Alefbalib.com

القسم الأوّل

حديث الغدير

(ظروفه، رواته، مدلوله)

Alefbalib.com | بازنشر مقالات و کتب | کتابخانه مجازی الفبا

کتابخانه مجازی الفبا | بازنشر مقالات و کتب | Alefbalib.com

١ . ماذا حدث يوم الغدير؟

يصرح المؤرخون وأهل السير أن رسول الله ﷺ، بعد أدائه مناسك آخر حجة لبيت الله الحرام حجها عام ١٠ هـ[١]. جمع المسلمين بأمر من الله تعالى عند غدير خم، وأعلمهم أن علي بن أبي طالب عليه السلام إمامهم وسيدهم بعد رحيل رسول الله ﷺ إلى الرفيق الأعلى.

ونورد هنا الرواية الكاملة لهذا الحدث العظيم كما عرضها المؤرخون القدامى:

عزم رسول الله ﷺ على الخروج إلى الحج في السنة العاشرة من الهجرة، ودعا المسلمين عموماً إلى ذلك، فاستجاب لدعوته خلق كثير من المدينة وخارجها، استعداداً لأداء حجة الوداع وحجة الإسلام، وحجة البلاغ وحجة التمام وحجة الكمال[٢].

وقد خرج ﷺ من المدينة المنورة يوم السبت لخمس ليال أو ست بقين من ذي القعدة وقد خرج معه نساؤه جميعاً في هوادج، وسار معه أهل بيته،

---

(١) وهي المسماة بحجة الوداع وحجة البلاغ وحجة التمام، عن تاريخ الطبري: ج٢ ص٤٢٩، ط الأعلمي، بيروت، يرجح الشيخ الأميني (رض) أن يكون المقصود بحجة البلاغ نسبة لقوله تعالى: ﴿بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ (المائدة: ٦٧)، وحجة التمام والكمال نسبة إلى قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾(المائدة: ٢)، راجع الغدير: ج١ هامش: ص٩، للشيخ عبد الحسين الأميني.

(٢) المصدر السابق.

Alefbalib.com | بازنشر مقالات و کتب | کتابخانه مجازی الفبا

وأغلب المهاجرين والأنصار، وما شاء الله من قبائل العرب وعشائرهم[1].

وأثناء خروجه ﷺ من المدينة المنورة أصيبت الناس في المدينة بوباء الجدري أو الحصبة مما تسبب في منع الكثيرين من أهلها من مصاحبة الرسول ﷺ في حجة المبارك، إلا أن الجموع التي خرجت معه ﷺ كانت كبيرة حتى قدرت ما بين تسعين ألفاً إلى أكثر من مائة وأربعة وعشرين ألفاً وكان جلهم من غير أهل المدينة المنورة.

أما الذين حجوا معه ﷺ فكانوا أكبر من هذا العدد بكثير حيث انضم لمن خرج معه أهل مكة وأهل اليمن الذين قدموا مع علي أبي طالب عليه السلام وأبي موسى الأشعري[2] فلما حج النبي ﷺ وقضي مناسكه بمن معه، انصرف راجعاً إلى المدينة المنورة ومعه الجموع التي خرجت من المدينة وما حولها، فلما وصل غدير خم من الجحفة، وهي بقعة تتشعب فيها الطرق إلى مصر والعراق والمدينة، وذلك قبل ظهر يوم الخميس الثامن عشر من ذي الحجة المبارك، نزل إليه الروح الأمين عن الله عز وجل بقوله تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ...﴾[3].

وأمره أن يقيم علي بن أبي طالب عليه السلام إماماً للناس بعد الرسول ﷺ حيث فرض الله تعالى إمامته وطاعته.

وكان أوائل الناس قرب الجحفة، فأمر رسول الله ﷺ أن يَرُدَّ من تقدم

---

(١) الطبقات لابن سعد: ج٣ ص٢٥٥/ إمتاع المقريزي: ص٥١٠/ إرشاد الساري: ج٦ ص٤٢٩.

(٢) السيرة الحلبية: ج٣ ص٢٨٣/ سيرة أحمد زيني دحلان: ج٣ ص٣/ تاريخ الخلفاء لابن الجوزي: في الجزء الرابع/ تذكرة خواص الأمة: ص١٨/ دائرة المعارف لفريد وجدي: ج٣ ص٥٤٢.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٦٧.

Alefbalib.com | بازنشر مقالات و كتب | كتابخانه مجازى الفبا

منهم، فجمعهم عند دوحات عظام بعد أن قُمّ الناس ما تحتها، وكان يوماً قائضاً حتى أن الرجل كان يضع بعض ردائه تحت قدميه من شدة الرمضاء ..

وقد زالت الشمس فأقام النبي ﷺ صلاة الظهر تحت تلك الدوحات، وبعد أن أتم الرسول ﷺ صلاته قام خطيباً وسط الناس[1] على أقتاب الإبل[2] وأسمع الجميع فقال ﷺ[3]:

---

(١) كما في مجمع الزوائد للحافظ الهيثمي: ج٩ ص١٥٦، وغيره.

(٢) ثمار القلوب: ص٥١١، ومصادر أخرى ذكرها الغدير: ج١ ص٨.

(٣) ورد بعدة ألفاظ متقاربة أثبتنا منها هنا النص الذي ذكره الغدير: ج١ ص١٠ ـ ١١. أما المصادر الأخرى فهي: المعجم الكبير للطبراني، والصواعق المحرقة لابن حجر الهيثمي المكي الشافعي: ص٢٥ ط الميمنة بمصر، وص٤١ ـ ٤٢ ط المحمدية بمصر وصحح الحديث، مجمع الزوائد للهيثمي الشافعي: ج٩ ص١٦٤ ترجمة الإمام علي بن أبي طالب من تاريخ دمشق لابن عساكر الشافعي: ج٢/ ٤٥ح ٥٤٥، كنز العمال للمتقي الهندي: ج١/ ١٦٨ ح ٩٥٩ ط٢، الغدير للأميني: ج١/ ٢٦، ٢٧ عبقات الأنوار مجلد حديث الثقلين: ج١ مجلد ١٢ ص ٣١٢ ط أصفهان وج١/ ١٥٦ ط قم، ينابيع المودة للقندوزي الحنفي: ص٣٧ ط إسلامبول وص ٤١ ط الحيدرية.

وبلفظ آخر توجد في الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي: ص٢٤، مناقب علي بن أبي طالب لابن المغازلي الشافعي: ج٢٣ ص١٦، كنز العمال: ج١ ص١٦٨ ح ٩٥٨ ط ٢ برواية زيد بن أرقم. ويوجد في: خصائص أمير المؤمنين للنسائي: ص٩٣ ط الحيدرية وص ٢١ ط التقدم بمصر وص ٥٣ ط بيروت، المناقب للخوارزمي الحنفي: ص٩٣ ط الحيدرية، ينابيع المودة للقندوزي الحنفي: ص٣٢ ط إسلامبول و٣٦ ط الحيدرية، الغدير للأميني: ج١/ ٢٠، كنز العمال للمتقي الهندي: ج١٥/ ٩١ ح٥٥ ط ٢، عبقات الأنوار قسم حديث الثقلين: ج١/ ١١٧ و١٢١ و١٤٤ و١٥٢ و١٦١، وأخرجه ابن عساكر في ترجمة الإمام علي بن أبي طالب من تاريخ دمشق: ج٢/ ٤٢ ح ٥٤٣ وخصائص أمير المؤمنين للنسائي الشافعي: ص ٩٣ ط الحيدرية وص ٣٥ ط بيروت، صحيح مسلم: ج٢/ ٣٦٢ ط عيسى الحلبي بمصر وج٧/ ١٢٢ ط محمد علي صبيح بمصر وج٧ ص١٢٣ ط المكتبة التجارية في بيروت، أنساب الأشراف للبلاذري: ج٢/ ٣١٥، المناقب للخوارزمي: ص٩٣، وغيرها.

Alefbalib.com | بازنشر مقالات و كتب | كتابخانه مجازى الفبا

(الحمد لله ونستعينه ونؤمن به، ونتوكل عليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا الذي لا هادي لمن ضل، ولا مضل لمن هدى، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله ـ أما بعد ـ أيها الناس قد نبأني اللطيف الخبير أنه لم يعمر نبي إلّا مثل نصف ما عمر الذي قبله، وأني أوشك أن أدعى فأجبت، وأني مسؤول وأنتم مسؤولون، فماذا أنتم قائلون؟ قالوا: نشهد أنك قد بلغت ونصحت وجهدت فجزاك الله خيراً، قال: ألستم تشهدون أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن جنته حق وناره حق وأن الموت حق وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور؟ قالوا: بلى نشهد بذلك، قال: اللهم اشهد، ثم قال: أيها الناس ألا تسمعون؟ قالوا: نعم، قال: فإني فَرَط على الحوض، وأنتم واردون عليّ الحوض، وأن عرضه ما بين صنعاء وبُصرى فيه أقداح عدد النجوم من فضة فانظروا كيف تخلفوني في الثقلين، فنادى منادٍ: وما الثِقْلان يا رسول الله؟ قال: الثقل الأكبر كتاب الله طرف بيد الله عز وجل وطرف بأيديكم فتمسكوا به لا تضلوا، والآخر الأصغر عترتي، وأن اللطيف الخبير نبأني أنهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض فسألت ذلك لهما ربي، فلا تَقدَّموهما فتهلكوا ولا تقصروا عنهما فتهلكوا، ثم أخذ بيد علي فرفعها حتى رؤي بياض آباطهما وعرفه القوم أجمعون، فقال: أيها الناس من أولى الناس بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: إن الله مولاي وأنا مولى المؤمنين وأنا أولى بهم من أنفسهم فمن كنت مولاه فعلي مولاه، يقولها ثلاث مرات، وفي لفظ أحمد أمام الحنابلة أربع مرات ثم قال: اللهم والِ من والاه، وعادِ من عاداه، وأحب من أحبه، وابغض من أبغضه، وانصر من نصره، واخذل من خذله، وأدِرْ الحق معه حيث دار، ألا فليبلغ الشاهد الغائب، ثم لم يتفرقوا حتى نزل أمين وحي الله بقوله: اليوم أكملت لكم

Alefbalib.com | بازنشر مقالات و كتب | كتابخانه مجازى الفبا

دينكم وأتممت عليكم نعمتي الآية، فقال رسول الله ﷺ: الله أكبر على إكمال الدين وإتمام النعمة، ورضى الرب برسالتي، والولاية لعلي من بعدي، ثم طفق القوم يهنئون أمير المؤمنين صلوات الله عليه وممن هنأه في مقدَّم الصحابة: الشيخان أبو بكر وعمر (رض) كان يقول: بخٍ بخٍ لك يابن أبي طالب أصبحت وأمسيت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة، وقال ابن عباس: وجبت والله في أعناق القوم، فقال حسان: ائذن لي يا رسول الله أن أقول في علي أبياتاً تسمعهن، فقال: قل على بركة الله، فقام حسان فقال: يا معشر مشيخة قريش اتبعها قولي بشهادة من رسول الله في الولاية ماضية ثم قال:

ينـاديـهـم يـوم الـغـديـر نـبـيـهـم بخم فاسمع بالرسول مناديا)[1]

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی
ALEFBALIB.COM

(١) إلى آخر الأبيات في ترجمته حسان في شعراء القرن الأول من الجزء الثاني من الغدير للشيخ عبد الحسين الأميني (رض).

Alefbalib.com | بازنشر مقالات و کتب | کتابخانه مجازی الفبا

٢ ـ رواة حديث الغدير

ومن الجدير ذكره أن حادث الغدير المبارك حديث قد رواه خمسة ومائة صحابي برواية ابن عقدة[١] وعشرة ومائة صحابي برواية الشيخ الأميني في الغدير[٢].

نذكر منهم[٣]:

١ ـ أبو هريرة الدوسي المتوفى ٥٧/٥٨/٥٩ وهو ابن ثمانٍ وسبعين عاماً يوجد حديثه مسنداً في تاريخ الخطيب البغدادي: ج٨ ص٢٩٠ بطريقتين عن مطر الوراق عن شهر بن حوشب عنه بلفظه الآتي، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال لأبي الحجاج المزي، وتهذيب التهذيب: ج٧ ص٣٢٧، ومناقب الخوارزمي: ص١٣٠ وعده في كتابه مقتل الإمام السبط الشهيد سلام الله عليه ممن روى حديث الغدير من الصحابة والجزري في أسنى المطالب: ص٣، والدر المنثور للسيوطي: ج٢ ص٢٥٩ عن ابن

---

(١) ابن عقدة هو الحافظ أبو العباس أحمد بن محمد بن سعيد الهمداني، ت ٣٣٣ هـ، له كتاب حديث الولاية، راجع الطرائف للسيد ابن طاووس: ص١٤٠، والغدير: ج١ ص١٥٣.

(٢) الغدير في الكتاب والسنة والأدب، المرحوم الشيخ عبد الحسين أحمد الأميني النجفي: ج١ ص١٤ ـ ٦٠، ط ٤، دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٧٧م.

(٣) اعتمدنا على الغدير: ج١ ص١٤ وما بعدها، وعبقات الأنوار للسيد حامد حسين الكهنوي (رض) (المجلدان الخاصان بحديث الغدير، وطرائف السيد ابن طاووس).

Alefbalib.com | بازنشر مقالات و کتب | کتابخانه مجازی الفبا

مردويه، والخطيب وابن عساكر بطرقهم عنه، وتاريخ الخلفاء: ص١١٤ نقلاً عن أبي يعلى الموصلي بطريقه عنه، وفرائد السمطين للحموييني بإسناده عن شهر بن حوشب عنه، وكنز العمال للمتقي الهندي: ج٦ ص ١٥٤ بطريق ابن أبي شيبة عنه وعن اثني عشر من الصحابة وج٦ ص ٤٠٣ عن عميرة بن سعد عنه، والاستيعاب لابن عبد البر: ج٢ ص ٤٧٣، والبداية والنهاية لابن كثير الدمشقي: ج٥ ص٢١٤ نقلاً عن الحافظين أبي يعلى وابن جرير بإسنادهما عن إدريس وداود عن أبيهما يزيد عنه، وعن شهر بن حوشب عنه، وعن عميرة بن سعد عنه، وحديث الولاية لابن عقدة[1] ونخب المناقب لأبي بكر الجعابي[2] ونزل الأبرار: ص ٢٠ من طرق أبي يعلى الموصلي وابن أبي شيبة عنه.

٢ ـ أبو ليلى الأنصاري يقال: إنه قُتل بصفين سنة ٣٧ هـ يوجد لفظه مسنداً في مناقب الخوارزمي: ص٣٥ بالإسناد عن ثوير بن أبي فاختة عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن والده قال: قال أبي: دفع النبي ﷺ الراية يوم خيبر إلى علي بن أبي طالب ففتح الله تعالى على يده، وأوقفه يوم غدير خم فأعلم الناس إنه مولى كل مؤمن ومؤمنة، وروى عنه حديث الغدير ابن عقدة بإسناده في حديث الولاية، والسيوطي في تاريخ الخلفاء ص ١١٤، والسمهودي في جواهر العقدين.

٣ ـ أبو زينب بن عوف الأنصاري، يوجد لفظه في أسد الغابة: ج٣ ص٣٠٧، وج٥ ص٢٠٥ والإصابة ج٣ ص٤٠٨ عن الأصبغ بن نباتة، وج٤

---

(١) الطرائف للسيد ابن طاووس الحلي: ص كما استفدنا مما نقله الغدير: ج١ ص١٥ من طرق ابن عقدة في كتابه حديث الولاية من أسد الغابة والإصابة.

(٢) طرق الجعابي حكاها العلامة السروي في المناقب ج١ ص٥٢٩ عن الصاحب ابن عباد عن الجعابي ونقل طرقه عن كتابه (نخب المناقب) العلامة أبو الحسن الشريف في ضياء العالمين فنحن نأخذها عنهما. (الغدير ج١ ص١٥).

Alefbalib.com | بازنشر مقالات و كتب | كتابخانه مجازى الفبا

ص٨٠ عن حديث الولاية لابن عقدة عن طريق علي بن الحسن العبدي عن سعد الاسكاف عن الأصبغ، وذكر حديث مناشدة أمير المؤمنين عليه السلام بحديث الغدير يوم الرحبة وفي المستنشدين أبو زينب المذكور.

٤ ـ أبو قدامة الأنصاري[1] أحد المستنشدين يوم الرحبة كما في أسد الغابة ج٥ ص٢٧٦ عن ابن عقدة بإسناده عن محمد بن كثير عن فطر وابن الجارود عن أبي الطفيل عنه لما شهد لعلي عليه السلام يوم الرحبة، وفي حديث الولاية لابن عقدة، وجواهر العقدين للسمهودي، والإصابة في ج٤ ص ١٥٩ عن ابن عقدة في حديث الولاية من طريق محمد بن كثير عن فطر عن أبي الطفيل قال: كنا عند علي عليه السلام فقال: أنشد الله من شهد يوم غدير خم وكان: ممن شهد لعلي عليه السلام به أبو قدامة الأنصاري.

٥ ـ أبو الهيثم بن التيهان قُتل بصفين سنة ٣٧ هـ يوجد حديثه في حديث الولاية لابن عقدة، ونخب المناقب للجعابي، وفي مقتل الخوارزمي عدة ممن روى حديث الغدير من الصحابة وفي جواهر العقدين للسمهودي عن فطر وأبي الجارود عن أبي الطفيل عنه شهادته لعلي عليه السلام بحديث الغدير يوم المناشدة وفي تاريخ آل محمد صلى الله عليه وآله: ص٦٧ عده من رواة حديث الغدير.

٦ ـ أبو بكر بن أبي قحافة التيمي المتوفى ١٣ هـ روى عنه حديث الغدير ابن عقد بإسناده في حديث الولاية، وأبو بكر الجعابي في النخب والمنصور الرازي في كتابه في حديث الغدير، وعده شمس الدين الجزري الشافعي في أسنى المطالب: ص ٣ ممن روى حديث الغدير من الصحابة.

٧ ـ اسعد بن زرارة الأنصاري، روى ابن عقدة في حديث الولاية عن محمد بن الفضل بن إبراهيم الأشعري عن أبيه عن المثنى بن القاسم

---

(١) قال ابن حجر في الإصابة ج٤ ص١٥٩: لعله هو أبو قدامة بن سهيل بن الحارث بن جعدبة بن ثعلبة بن سالم بن مالك بن واقف وهو سالم (الغدير ج١ ص١٦).

Alefbalib.com | بازنشر مقالات و كتب | كتابخانه مجازى الفبا

الحضرمي عن هلال بن أيوب الصيرفي عن أبي كثير الأنصاري عن عبد الله ابن أسعد بن زرارة عن أبيه عن رسول الله ﷺ حديث الغدير[1] وأبو بكر الجعابي في النخب، وأبو سعيد مسعود السجستاني في كتاب الولاية[2] عن أبي الحسن أحمد بن محمد البزاز الصيني أملاء في صفر سنة ٣٩٤ قال: حدثني أبو العباس أحمد بن سعيد الكوفي الحافظ سنة ٣٣٠، وأخبرنا أبو الحسين محمد بن محمد بن علي الشروطي قال: أخبرنا أبو الحسين محمد ابن عمر بن بهتة، وأبو عبد الله الحسين بن هرون بن محمد القاضي الصيني، وأبو محمد عبد الله بن محمد الأكفاني القاضي، قالوا: أخبرنا أحمد بن محمد بن سعيد قال: حدثنا محمد بن الفضل بن إبراهيم الأشعري إلى آخر السند المذكور لابن عقدة وعده شمس الدين الجزري في أسنى المطالب: ص٤ ممن روى حديث الغدير من الصحابة.

٨ ـ أم سلمة زوجة النبي الطاهر ﷺ: أخرج ابن عقدة من طريق عمرو ابن سعيد بن عمرو بن جعدة بن هبيرة عن أبيه عن جده عن أم سلمة قالت: أخذ رسول الله ﷺ بيد علي بغدير خم فرفعها حتى رأينا بياض إبطيه فقال: من كنت مولاه فعلي مولاه، ثم قال: أيها الناس، إني مخلف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي ولن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض، ورواه عنها السمهودي الشافعي في جواهر العقدين كما في ينابيع المودة: ص٤٠، والشيخ أحمد بن الفضل بن محمد با كثير المكي الشافعي في وسيلة المآل من طريق ابن عقدة باللفظ المذكور.

٩ ـ أبو حمزة أنس بن مالك الأنصاري الخزرجي خادم النبي ﷺ المتوفى ٩٣: يروي الحديث عنه الخطيب البغدادي في تاريخه: ج٧

---

(١) راجع كتاب اليقين في الباب السابع والثلثين للسيد ابن طاووس: ص٣٤.
(٢) حكاه عن ابن طاووس في اليقين وابن حاتم في (الدر النظيم في الأئمة اللهاميم).

Alefbalib.com | بازنشر مقالات و كتب | كتابخانه مجازى الفبا

ص٣٧٧ وابن قتيبة الدينوري في المعارف: ص٢٩١، وابن عقدة في حديث الولاية بإسناده عن مسلم الملائي عن أنس، وأبو بكر الجعابي في نخبه، والخطيب الخوارزمي في المقتل، والسيوطي في تاريخ الخلفاء: ص١١٤ بطريق الطبراني، والمتقي الهندي في كنز العمال: ج٦ ص١٥٤ و٤٠٣ عن عميرة بن سعيد عنه، والبدخشي في نزل الأبرار ص ٢٠ من طريق الطبراني والخطيب، وعد من رواة حديث الغدير في أسنى المطالب للجزري: ص٤.

١٠ ـ براء بن عازب الأنصاري الأوسي نزيل الكوفة المتوفى ٧٢: يوجد الحديث بلفظه في مسند أحمد: ج٤ ص٢٨١ بإسناده عن عفان بن حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن عدي بن ثابت عن البراء، وبطريق آخر عن عدي بن البراء، وسنن أبن ماجه: ج١ ص٢٨ ـ ٢٩ عن ابن جدعان عن عدي عنه قال: أقبلنا على رسول الله ﷺ في حجته التي حج فنزل في بعض الطريق فأمر بالصلاة جامعة فأخذ بيد علي فقال: ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا: بلى قال: ألست أولى بكل مؤمن من نفسه؟ قالوا: بلى، قال: فهذا ولي من أنا مولاه، اللهم والِ من والاه، وعادِ من عاداه.

وفي خصايص النسائي: ص١٦ عن أبي إسحاق عنه، وتاريخ الخطيب البغدادي: ج١٤ ص٢٣٦، وتفسير الطبري: ج٣ ص٤٢٨، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال، والكشف والبيان للثعالبي، واستيعاب ابن عبد البر: ج٢ ص ٤٧٣، والرياض النضرة لمحب الدين الطبري: ج٢ ص١٦٩ من طريق الحافظ بن السمان، ومناقب الخطيب الخوارزمي: ص٩٤ بالإسناد عن عدي عنه، والفصول المهمة لابن الصباغ المالكي: ص٢٥ نقلاً عن الحافظ أبي بكر بن أحمد بن الحسين البيهقي والإمام أحمد بن حنبل، وذخائر العقبى للمحب الطبري: ص٦٧، وكفاية الطالب للحافظ الكنجي الشافعي: ص١٤ عن عدي بن ثابت عنه، وتفسير الفخر الرازي: ج٣ ص٦٣٦،

Alefbalib.com | بازنشر مقالات و كتب | كتابخانه مجازى الفبا

وتفسير النيسابوري: ج٦ ص١٩٤، ونظم درر السمطين لجمال الدين الزرندي، والجامع الصغير: ج٢ ص٥٥٥ من طريق أحمد وابن ماجة، ومشكاة المصابيح: ص٥٥٧ ماروي من طريق أحمد عن البراء وزيد بن أرقم، وشرح ديوان أمير المؤمنين عليه السلام للميبدي بطريق أحمد، وفرايد السمطين بخمس طرق عن عدي بن ثابت عنه، وكنز العمال: ج٦ ص١٥٢ من طريق أحمد عنه، ص٣٩٧ نقلاً عن سنن الحافظ ابن أبي شيبه بإسناده عنه، وفي البداية والنهاية لابن كثير: ج٥ ص٢٠٩ عن عدي عنه نقلاً عن ابن ماجة، والحافظ عبد الرزاق، والحافظ أبي يعلي الموصلي، والحافظ حسن بن سفيان، والحافظ ابن جرير الطبري، وفي ج٧ ص٣٤٩ من طريق الحافظ عبد الرزاق عن معمر عن ابن جدعان عن عدي عن البراء قال:

خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله حتى نزلنا غدير خم بعث منادياً ينادي فلما اجتمعنا قال: ألست أولى بكم من أنفسكم؟ قلنا: بلى يا رسول الله، قال: ألست أولى بكم من أمهاتكم؟ قلنا: بلى يا رسول الله، قال ألست أولى بكم من آبائكم؟ قلنا: بلى يا رسول الله، قال: ألست؟ ألست؟ ألست؟ قلنا: بلى يا رسول الله، قال: من كنت مولاه فعلي مولاه[1] اللهم والِ من والاه، وعادِ من عاداه، فقال عمر بن الخطاب: هنيئاً لك بابن أبي طالب أصبحت اليوم ولي كل مؤمن، وكذا رواه ابن ماجة من حديث حماد بن سلمة عن علي بن زيد وأبي هارون العبدي عن عدي بن ثابت عن البراء، وهكذا رواه موسى بن عثمان الحضرمي عن ابن إسحاق عن البراء به.

ورواه الحافظ أبو محمد العاصمي في (زين الفتى) عن أبي بكر الجلاب عن أبي أحمد الهمداني عن أبي جعفر محمد بن إبراهيم القهستاني

---

(١) كذا في المطبوع من البداية وفي المخطوط كما ينقل عنه في العقبات: من كنت مولاه فأن علياً بعدي مولاه، هامش الغدير: ج١ ص١٩.

Alefbalib.com | بازنشر مقالات و کتب | کتابخانه مجازی الفبا

عن أبي قريش محمد بن جمعة عن أبي يحيى المقري عن أبيه عن حماد بن سلمة عن علي بن زيد بن جدعان عن عدي بن ثابت عن البراء.

والحديث في نزل الأبرار: ص١٩، من طريق أحمد، وص٢١ من طريق أبي نعيم في فضايل الصحابة عن البراء، وفي الخطط للمقريزي: ج٢ ص٢٢٢ بطريق أحمد عنه، ومناقب الثلاثة من طريق أحمد والحافظ أبي بكر البيهقي عنه، وفي روح المعاني: ج٢ ص٣٥٠ عنه، وتفسير المنار: ج٦ ص٤٦٤ من طريق أحمد وابن ماجة عنه، وعده الجزري في أسنى المطالب: ص٣ من رواة الحديث.

١١ ـ بريدة بن الحصيب أبو سهل الأسلمي المتوفى ٦٣: يوحد حديثه في مستدرك الحاكم: ج٣ ص١١٠ عن محمد بن صالح بن هاني قال: ثنا أحمد بن نصر وأخبرنا محمد بن علي الشيباني بالكوفة ثنا أحمد بن حازم الغفاري ثنا محمد بن عبد الله العمري، ثنا محمد بن إسحق، ثنا محمد بن يحيى واحمد بن يوسف، قالوا: ثنا أبو نعيم ثنا ابن أبي غنية[1] عن حكم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عنه، وفي حلية الأولياء: ج٤ ص٢٣ بإسناد من طريق بن عيينة المذكور، وفي الاستيعاب لابن عبد البر: ج٢ ص٤٧٣ في ترجمة أمير المؤمنين عليه السلام، وعده في مقتل الخوارزمي وأسنى المطالب للجزري الشافعي ص٣ ممن روى الحديث الغدير من الصحابة، وفي تاريخ الخلفاء: ص١١٤ رواه عنه من طريق البزار، وفي الجامع الصغير: ج٢ ص٥٥٥ من طريق أحمد وفي كنز العمال: ج٦ ص٣٩٧ نقلاً عن الحافظ بن أبي شيبة وابن جرير وأبي نعيم بإسنادهم عنه، وفي مفتاح

---

(١) كذا في المستدرك، وفي الحلية لأبي نعيم: ابن عيينة، وفي بعض النسخ ابن أبي عتبة، وفي بعضها ابن عينة، ويقال: الصحيح ابن أبي غنية، هامش الغدير: ج١ ص٢١٠.

Alefbalib.com | بازنشر مقالات و كتب | كتابخانه مجازى الفبا

النجا ونزل الأبرار: ص٢٠ من طريق البزار عنه، وفي تفسير المنار: ج٦ ص٤٦٤ من طريق أحمد عنه.

١٢ ـ جابر بن سمرة بن جنادة أبو سليمان السوائي نزيل الكوفة والمتوفى بها بعد سنة سبعين وفي الإصابة أنه توفي سنة ٧٤: روى الحديث بلفظه ابن عقدة في حديث الولاية، والخوارزمي في الفصل الرابع من مقتله عده ممن روى حديث الغدير من الصحابة، وروى المتقي الهندي في كنز العمال: ج٦ ص٣٩٨ نقلاً عن الحافظ ابن أبي شيبة، بإسناده عنه، قال: كنا بالجحفة (غدير خم) إذ خرج علينا رسول الله ﷺ فأخذ بيد علي، فقال: من كنت مولاه فعلي مولاه.

١٣ ـ جابر بن عبد الله الأنصاري المتوفى بالمدينة ٧٣/ ٧٤/ ٧٨ وهو ابن ٩٤ عاماً: روى الحافظ الكبير ابن عقدة في حديث الولاية بإسناده عنه قال: كنا مع النبي ﷺ في حجة الوداع فلما رجع إلى الجحفة نزل ثم خطب الناس فقال: أيها الناس إني مسؤول وأنتم مسؤولون فما أنتم قائلون؟ قالوا: نشهد أنك بلّغت ونصحت وأديت، قال: إني لكم فرط وأنتم واردون عليَّ الحوض وإني مخلف فيكم الثِقْلين إن تمسكتم بهما لن تضلوا: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، وإنهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض، ثم قال: ألستم تعلمون أني أولى بكم من أنفسكم؟ قالوا: بلى، فقال: آخذاً بيد علي: من كنت مولاه فعلي مولاه، ثم قال: اللهم والِ من والاه، وعادِ من عاداه.

ورواه عنه أبو بكر الجعابي في نخبه، وابن عبد البر في الاستيعاب: ج٢ ص٤٧٣ ويوجد حديثه في أسماء الرجال لأبي الحجاج، وتهذيب التهذيب: ج٧ ص٣٣٧ وكفاية الطالب: ص١٦ بطريق عالٍ من مشايخه الحفاظ: الشريف أبي تمام علي بن أبي الفخار الهاشمي وأبي طالب عبد

Alefbalib.com | بازنشر مقالات و كتب | كتابخانه مجازى الفبا

اللطيف بن محمد القبيطي، وإبراهيم بن عثمان الكاشغري بطرقهم عن عبد الله بن محمد بن عقيل قال: كنت عند جابر بن عبد الله في بيته وعلي بن الحسين ومحمد بن الحنفية وأبو جعفر فدخل رجل من أهل العراق فقال: بالله إلا ما حدثتني ما رأيت وما سمعت من رسول الله؟ فحدثه جابر عن حديث الغدير.

ورواه الحافظ الحموينى في فرايد السمطين في السمط الأول في الباب التاسع من طريق الحافظ ابن البطي، وأبن كثير في البداية والنهاية: ج٥ ص٢٠٩ بالإسناد عن عبد الله بن محمد بن عقيل عنه ثم قال: قال شيخنا الذهبي: هذا حديث حسن، وقد رواه ابن لهيعة عن بكر بن سوادة وغيره عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن جابر بنحوه، والمتقي في كنز العمال: ج٥ ص٣٩٨ نقلاً عن البزار بإسناده عنه، والسمهودي في جواهر العقدين كما نقله عنه القندوزي الحنفي في ينابيعه: ص٤١ باللفظ المذكور عن أبي عقدة، والوصابي الشافعي في الاكتفاء نقلاً عن الحافظ ابن أبي شيبة في سننه بإسناده عنه.

ALEFBALIB.COM
مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

وأخرج الحافظ ابن المغازلي كما في العمدة (لابن بطريق) ص٥٣ بإسناده عن بكر بن سوادة عن قبيصة بن ذويب وأبي سلمة بن عبد الرحمن عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ نزل بخم فتنحى الناس عنه وأمر علياً فجمعهم فلما اجتمعوا قام فيهم وهو متوسد يد علي بن أبي طالب فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس إني كرهت تخلفكم عني حتى خيل لي أنه ليس شجرة أبغض إليكم من شجرة تليني؟ ثم قال: لكن علي بن أبي طالب أنزل الله مني بمنزلتي منه فرضي الله عنه كما أنا راضٍ عنه، فأنه لا يختار على قربي ومحبتي شيئاً ثم رفع يديه فقال: من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم والِ من والاه وعادِ من عاداه، قال: فابتدر الناس إلى رسول الله ﷺ يبكون

كتابخانه مجازى الفبا | بازنشر مقالات و كتب | Alefbalib.com

ويتضرمون ويقولون: يا رسول الله ما تنحينا عنك إلا كراهية أن نثقل عليك فنعوذ بالله من سخط رسوله فرضي رسول الله ﷺ عنهم عند ذلك، ورواه الثعلبي في تفسيره كما في ضياء العالمين.

وعده الخوارزمي في مقتله والجزري في أسنى المطالب: ص٣، والقاضي في تاريخ آل محمد: ص٦٧ من رواة حديث الغدير.

١٤ ـ جرير بن عبد الله بن جابر البجلي المتوفى ٥١/ ٥٤: توجد روايته الحديث في مجمع الزوائد للحافظ الهيثمي ج٩ ص١٠٦ نقلاً عن المعجم الكبير للطبراني بإسناده عنه قال: شهدنا الموسم في حجة الوداع فبلغنا مكاناً يقال له: غدير خم فنادى الصلاة جامعة فاجتمع المهاجرون والأنصار فقام رسول الله ﷺ وسطنا، قال: يا أيها الناس بم تشهدون؟ قالوا: نشهد أن لا إله إلا الله، قال: ثم مه؟ قالوا: وأن محمد عبده ورسوله، قال: فمن وليكم؟ قالوا: الله ورسوله مولانا، ثم ضرب بيده على عضد علي فأقامه فنزع عضده فأخذ بذراعيه، فقال: من يكن الله ورسوله مولاه فإن هذا مولاه اللهم والِ من والاه، وعاد من عاداه، واللهم من أحبه من الناس فكن له حبيباً، ومن أبغضه فكن له مبغضاً، اللهم إني لا أجد أحدً أستودعه في الأرض بعد العبدين الصالحين فاقض له بالحسنى، قال بشر: قلت من هذين العبدين الصالحين؟ قال: لا أدري[1].

ورواه عنه السيوطي في تاريخ الخلفاء ص ١١٤ بطريق الطبراني، وابن كثير في البداية والنهاية ج٧ ص٣٤٩، والمتقي الهندي في كنز العمال ج٦ ص١٥٤ و٣٩٩ بطريق الطبراني، والوصّابي في كتاب الاكتفاء، والبدخشي في مفتاح النجا، وعده الخوارزمي في مقتله من رواة الحديث من الصحابة.

---

(١) الراجح أن يكون أنَّ العبدين الصالحين هما الخضر والياس.

Alefbalib.com | بازنشر مقالات و کتب | کتابخانه مجازی الفبا

١٥ ـ أبو ذر جندب بن جنادة الغفاري المتوفى ٣١ هـ: يروي حديثه في حديث الولاية لابن عقدة، ونخب المناقب للجعابي، وفرايد السمطين في الباب الثامن والخمسين، وعده الخطيب الخوارزمي في مقتله ممن روى حديث الغدير وكذلك شمس الدين الجزري الشافعي في أسنى المطالب: ص٤.

١٦ ـ أبو جنيدة جندع بن عمرو بن مازن الأنصاري: روى ابن الأثير في أسد الغابة ج١ ص٣٠٨ بالإسناد عن عبد الله بن العلا الزهري عن سعيد ابن جناب عن أبي عنفوانة المازني عن جندع قال: سمعت النبي ﷺ يقول: من كذب عليَّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار، وسمعته وإلّا صمّتا يقول وقد انصرف من حجة الوداع فلما نزل غدير خم قام في الناس خطيباً وأخذ بيد علي وقال: من كنت مولاه فهذا وليه، اللهم والِ من والاه، وعادِ من عاداه، وقال عبد الله بن العلا: فقلت للزهري: لا تحدث بهذا بالشام وأنت تسمع ملئ أذنيك سبَّ علي فقال: والله إن عندي من فضائل علي ما لا تحدثت لقتلت، أخرجه الثلاثة.

وروى الشيخ محمد صدر العالم في معارج العلى من طريق الحافظ أبي نعيم بإسناده عن جندع، وعد في تاريخ آل محمد ص ٦٧ من رواة حديث الغدير.

١٧ ـ حبّة بن جوين أبو قدامة العرني البجلي المتوفى ٧٦ ـ ٧٩: وثقه الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد ٩ ص١٠٣ وحكى الخطيب في تاريخه ٨ ص٢٧٦ ثقته عن صالح بن أحمد عن أبيه وذكر أنه تابعي، روى عنه ابن عقدة بإسناده في حديث الولاية، والدولابي في الكنى والأسماء ج٢ ص٨٨ عن الحسن بن علي بن عفان قال: حدثنا الحسن بن عطية قال: أنبأ يحيى ابن سلمة بن كهيل عن حبة العرني عن أبي قلابة قال: نشد الناس عليّ في

Alefbalib.com | بازنشر مقالات و كتب | كتابخانه مجازى الفبا

الرحبة فقام بضعة عشر رجلاً فيهم رجل عليه جبة عليها أزار حضرمية فشهدوا أن رسول الله ﷺ قال: من كنت مولاه فعلي مولاه، وروى الحافظ ابن المغازلي في المناقب عنه حديث المناشدة[1].

والخطيب الخوارزمي عده في مقتله ممن روى حديث الغدير من الصحابة، وقال ابن الأثير في أسد الغابة ج١ ص٣٦٧ في ترجمة حبة ذكره أبو العباس ابن عقدة في الصحابة وروى عن يعقوب بن يوسف بن زياد وأحمد بن الحسين بن عبد الملك قال: أخبرنا نصر بن مزاحم أخبرنا عبد الملك بن مسلم الملائي عن أبيه عن حبة بن جوين العرني البجلي قال: لما كان يوم غدير خم دعا النبي ﷺ الصلاة جامعة نصف النهار قال: فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناس أتعلمون أني أولى بكم من أنفسكم؟ قالوا: نعم، قال: فمن كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم والِ من والاه وعادِ من عاداه، وأخذ بيد علي حتى رفعها حتى نظرت إلى آباطهما وأنا يومئذ مشرك، أخرجه أبو موسى وروى ابن حجر في الإصابة ج١ ص٣٧٢ من كتاب الموالاة لابن عقدة الحديث المذكور، والقندوزي في ينابيع المودة ص٣٤.

١٨ ـ حذيفة بن أسيد أبو سريحة الغفاري من أصحاب الشجرة توفي ٤٠ ـ ٤٢: روى عنه حديث الغدير ابن عقدة في كتاب الموالاة كم نقله عن السمهودي عنه صاحب ينابيع المودة ص٣٨ قال:

قال السمهودي: وأخرج ابن عقدة في (الموالاة) عن عامر بن ضمرة وحذيفة بن أسيد قالا: قال النبي ﷺ أيها الناس؟ إن الله مولاي وأنا أولى

---

(١) أنظر مصادر حديث المناشدة يوم الرحبة في المراجعات لشرف الدين، ط ٢ بيروت ١٩٨٢م، تعليق حسين راضي: ص١٩٠ ـ ١٩٢ حيث رواه عن مسند أحمد بن حنبل وخصائص النسائي وتاريخ دمشق وفرائد السمطين وغيرها.

Alefbalib.com | بازنشر مقالات و كتب | كتابخانه مجازى الفبا

بكم من أنفسكم ألا ومن كنت مولاه فهذا مولاه، واخذ بيد علي فرفعها حتى عرفه القوم أجمعون ثم قال: اللهم والِ من والاه وعاد من عاداه، ثم قال: وإني سائلكم حين تردون عليَّ الحوض عن الثقلين فانظروا كيف تخلفوني فيهما، قالوا: وما الثِقلان؟ قال: الثقل الأكبر: كتاب الله سبب طرفه بيد الله وطرفه بأيديكم، والأصغر عترتي الحديث وأخرجه أيضاً بطريق آخر ثم قال: أخرجه الطبراني في الكبير والضياء في المختارة.

وروى الترمذي في صحيحه ج٢ ص٢٩٨ عن سلمة بن كهيل عن أبي الطفيل عن حذيفة أبي سريحة، وقال: هذا حديث حسن صحيح، وابن الأثير في أسد الغابة بالإسناد عن سلمة بن كهيل عنه من طريق الحفاظ: أبي عمرو وأبي نعيم وأبي موسى، والحمويني في فرايد السمطين وابن الصباغ المالكي في الفصول المهمة ص ٢٥ نقلاً عن أبي الفتوح أسعد بن أبي الفضايل العجلي في الموجز في فضايل الخلفاء الأربعة يرفعه بسنده إلى حذيفة بن أسيد وعامر بن ليلى بن ضمرة قالا:

لما صدر رسول الله ﷺ من حجة الوداع لم يحج غيرها أقبل حتى إذا كان بالجحفة نهى عن سمرات متغاديات[1] بالبطحاء أن لا ينزل تحتهن أحد حتى إذا أخذ القوم منازلهم أرسل فقُمَّ ما تحتهن حتى إذا نودي بالصلاة صلاة الظهر عمد إليهن فصلى بالناس تحتهن وذلك يوم غدير خم وبعد فراغه من الصلاة قال: أيها الناس؟ إنه قد نبأني اللطيف الخبير أنه لم يعمر نبي إلا نصف عمر النبي الذي كان قبله وأني لأظن بأني أدعى وأجيب وأني مسؤول وأنتم مسؤولون هل بلغت؟ فما أنتم قائلون؟ قالوا: نقول: قد بلغت، وجهدت، ونصحت وجزاك الله خيرا، قال: ألستم تشهدون أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن جنته حق، وأن ناره حق،

---

(١) كذا في النسخ، والصحيح: متقاربات كما في ساير المصادر. قم = كنس.

Alefbalib.com | بازنشر مقالات و کتب | کتابخانه مجازی الفبا

والبعث بعد الموت حق. قالوا: اللهم اشهد، ثم قال: أيها الناس ألا تسمعون ألا فأن الله مولاي وأنا أولى بكم من أنفسكم، ألا ومن كنت مولاه فعلي مولاه، وأخذ بيد علي فرفعها حتى نظره القوم، ثم قال: اللهم والِ من والاه، وعادِ من عاداه.

ونقله عن كتاب الموجز للحافظ أبي الفتوح أيضاً صاحب مناقب الثلاثة المطبوع بمصر ص ١٩، ورواه ابن عساكر في تاريخه عن أبي الطفيل عنه، وابن كثير في البداية والنهاية ج٥ ص٢٠٩ وج٧ ص٣٤٨، قال: وقد رواه معروف بن خربوذ عن أبي الطفيل عن حذيفة بن أسيد قال: لما قفل رسول الله ﷺ من حجة الوداع نهى أصحابه عن شجرات بالبطحاء متقاربات أن ينزلوا حولهن ثم بعث إليهن فصلى تحتهن ثم قال فقال: أيها الناس، قد نبأني اللطيف الخبير أنه لم يعمر نبي إلا مثل نصف عمر الذي قبله وأني لأظن أن يوشك أن أدعى فأجيب وأني مسؤول وأنتم مسؤولون، فماذا أنتم قائلون؟ قالوا: نشهد أنك قد بلغت، ونصحت وجهدت، فجزاك الله خيرا، قال: ألستم تشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله وأن جنته حق، وأن ناره حق، وأن الموت حق، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وان الله يبعث من في القبور؟ قالوا: بلى نشهد بذلك، قال: اللهم اشهد، ثم قال: أيها الناس إن الله مولاي وأنا مولى المؤمنين وأنا أولى بهم من أنفسهم، من كنت مولاه فهذا مولاه اللهم والِ من والاه، وعادِ من عاداه، ثم قال: أيها الناس، إني فرطكم وإنكم واردون عليّ الحوض، حوض أعرض مما بين بصرى وصنعاء، فيه آنية عدد النجوم، قدحان من فضة، وأني سائلكم حين تردون عليّ عن الثقلين فانظروا كيف تخلفوني فيهما: الثقل الأكبر: كتاب الله سبب طرفه بيد الله وطرف بأيديكم فاستمسكوا به، ولا تضلوا ولا تبدلوا، والثقل الأصغر: عترتي أهل بيتي فإنه قد نبأني

Alefbalib.com | بازنشر مقالات و کتب | کتابخانه مجازی الفبا

اللطيف الخبير أنهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض. رواه ابن عساكر بطوله من طريق معروف.

وبهذا اللفظ رواه عنه ابن حجر في الصواعق المحرقة ص٢٥ عن الطبراني وغيره بسند صحيح عنده، والحلبي في السيرة الحلبية ج٣ ص٣٠١ نقلاً عن الطبراني، ورواه بهذا اللفظ الحكيم الترمذي في كتابه (نوادر الأصول)، والطبراني في الكبير بسند صحيح كما نقل عنهما صاحب (مفتاح النجا في مناقب آل العبا)، وبهذا التفصيل رواه الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد ج٩ ص١٦٥ من طريقي الطبراني وقال: رجال أحد الإسنادين ثقات، وفي نزل الأبرار ص ١٨ من طريق الترمذي في نوادر الأصول والطبراني في الكبير بإسنادهما عن أبي الطفيل عنه والقرماني في اخبار الدول ص١٠٢ عنه عن النبي ﷺ بطريق الترمذي، والسيوطي في تاريخ الخلفاء ص ١١٤ نقلاً عن الترمذي، وعده الخطيب الخوارزمي في مقتله والقاضي في تاريخ آل محمد ص ٦٨ ممن روى حديث الغدير من الصحابة.

١٩ ـ أبو أيوب خالد بن زيد الأنصاري استشهد غازياً بالروم سنة ٥٠ ـ ٥١ ـ ٥٢: روى حديثه ابن عقدة في حديث الولاية، والجعابي في نخب المناقب، ومحب الدين الطبري في الرياض النضرة ج٢ ص١٦٩، وابن الأثير في أسد الغابة ج٥ ص٦ بالإسناد عن يعلي بن مرة عنه وج٣ ص٣٠٧ وج٥ ص٢٠٥ بالإسناد عن أصبغ بن نباتة عنه، وابن كثير في البداية والنهاية ج٥ ص٢٠٩ عن أحمد بن حنبل عن ابن آدم عن الأشجعي عن رياح بن الحارث عنه، والسيوطي في جمع الجوامع، وتاريخ الخلفاء ص١١٤ من طريق أحمد عنه، والمتقي الهندي في كنز العمال ج٢ ص١٥٤ بطريق أحمد الطبراني في المعجم الكبير والضياء المقدسي عنه وعن جمع من الصحابة، وابن حجر العسقلاني في الإصابة ج٧ ص٧٨٠ وج٦ ص٢٢٣ وج٢ من

Alefbalib.com | بازنشر مقالات و کتب | کتابخانه مجازی الفبا

الطبعة الأولى ص٤٠٨، والسمهودي في جواهر العقدين عن أبي الطفيل عنه، والبدخشي في نزل الأبرار ص٢٠ من طريقي أحمد والطبراني.

٢٠ ـ الإمام السبط الحسين الشهيد سلام الله عليه: رواه عنه ابن عقدة بإسناده في حديث الولاية، والجعابي في النخب، وعده الخطيب الخوارزمي في مقتله ممن روى حديث الغدير، وروى الحافظ العاصمي في زين الفتى عن شيخة أبي بكر الجلاب عن أبي سعيد الرازي عن أبي الحسن علي بن مهروية القزويني عن داود بن سليمان عن علي بن موسى الرضا عن أبيه موسى بن جعفر عن أبيه جعفر بن محمد عن أبيه محمد بن علي عن أبيه علي بن الحسين عن أبيه الحسين عن أمير المؤمنين، قال: قال رسول الله ﷺ: من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم والِ من والاه وعادِ من عاداه، وأخذل من خذله، وانصر من نصره، ورواه عن شيخه محمد بن أبي زكريا عن أبي الحسن محمد بن علي الهمداني عن أحمد بن علي بن صدقة الرقي عن أبيه عن علي بن موسى عن أبيه موسى، إلى آخر السند واللفظ المذكورين، ورواه الحافظ ابن المغازلي في المناقب عن أبي الفضل محمد بن الحسين البرحي الأصبهاني يرفعه إلى الحسين السبط عليه السلام، والحافظ أبو نعيم في حلية الأولياء ج٩ ص٦٤.

٢١ ـ خزيمة بن ثابت الأنصاري ذو الشهادتين المقتول بصفين سنة ٣٧: روى حديثه ابن عقدة في حديث الولاية، والجعابي في نخب المناقب، والسمهودي في جواهر العقدين بالإسناد عن أبي الطفيل عنه، وروى ابن الأثير في أسد الغابة ج٣ ص٣٠٧ بطريق أبي موسى عن علي بن الحسن العبدي عن الأصبغ بن نباتة حديث المناشدة يوم الرحبة وفيه شهادة خزيمة لعلي عليه السلام بحديث الغدير، وعده الجزري في أسنى المطالب ص٤ والقاضي في تاريخ آل محمد ص٦٧ من رواة الحديث من الصحابة.

٢٢ ـ زيد بن أرقم الأنصاري الخزرجي المتوفى ٦٦ ـ ٦٨: أخرج

Alefbalib.com | بازنشر مقالات و كتب | كتابخانه مجازى الفبا

أحمد بن حنبل في مسنده ج٤ ص٣٦٨ عن ابن نمير عن عبد الملك بن أبي سليمان عن عطية العوفي، قال: سألت زيد بن أرقم، فقلت له: إن ختناً لي حدثني عنك بحديث في شأن علي يوم غدير فأنا أحب أن أسمعه منك؟ فقال: إنكم معاشر أهل العراق فيكم ما فيكم، فقلت له: ليس عليك مني بأس، فقال: نعم كنا بالجحفة فخرج رسول الله ﷺ إلينا ظهراً وهو آخذ بعضد علي، فقال: أيها الناس ألستم تعلمون أني أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا: بلى، قال: فمن كنت مولاه، قال: فقلت له: هل قال: اللهم والِ من والاه وعادِ من عاداه، قال: إنما أخبرك كما سمعت[1].

وفي المسند ج٤ ص٣٧٢ عن سفيان عن أبي عوانة عن المغيرة عن أبي عبيد عن ميمون أبي عبد الله قال: قال زيد بن أرقم وأنا أسمع: نزلنا مع رسول الله ﷺ بوادٍ يقال له: وادي خم فأمر بالصلاة فصلاها بهجير، قال: فخطبنا وظلل لرسول الله ﷺ بثوب على شجرة سمرة من الشمس، فقال: ألستم تعلمون، أولستم تشهدون إني أولى بكل مؤمن من نفسه؟ قالوا: بلى، قال: فمن كنت مولاه فإن علياً مولاه، اللهم عادِ من عاداه، ووالِ من والاه، ورواه في المسند ج٤ ص٣٧٢ عن محمد بن جعفر عن شعبة عن ميمون، ورواه النسائي عن زيد بإسناده في الخصائص ص١٦.

وفي الخصائص النسائي ص١٥ عن أحمد بن المثنى قال: حدثنا يحيى ابن معاد قال: أخبرنا أبو عوانة عن سليمان عن حبيب بن أبي ثابت عن أبي الطفيل عن زيد بن أرقم قال: لما رجع النبي ﷺ من حجة الوداع ونزل غدير خم أمر بدوحات فقممن، ثم قال: كأني دعيت فأجبت وإني تارك فيكم الثقلين أحدهما الأكبر من الآخر: كتاب الله وعترتي أهل بيتي فانظروا

---

(١) كتمان زيد ذيل الحديث عن عطية كان للتقية كما يعرب عنها نفس الحديث وقد رواه عنه غيره كما ترى هامش الغدير: ج١ ص٣٠.

Alefbalib.com | بازنشر مقالات و كتب | كتابخانه مجازى الفبا

كيف تخلفوني فيهما فإنهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض، ثم قال: إن الله مولاي وأنا ولي كل مؤمن ثم أنه أخذ بيد علي رضي الله عنه فقال: من كنت وليه فهذا وليه، اللهم والِ من والاه، وعادِ من عاداه، فقلت لزيد: سمعته من رسول الله ﷺ؟ فقال: وإنه ما كان في الدوحات أحد إلا رآه بعينيه وسمعه بإذنيه.

وروى الحاكم في المستدرك ج٣ ص١٠٩ عن أبي الحسين محمد بن أحمد بن تميم الحنظلي ببغداد عن أبي قلابة عبد الملك بن محمد الرقاشي عن يحيى بن حماد قال: حدثني أبو بكر محمد بن بالويه ومحمد بن جعفر البزار قالا: ثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، حدثني أبي ثنا يحيى بن حماد، وحدثنا أبو نصر أحمد بن سهل الفقيه البخاري ثنا صالح بن محمد الحافظ البغدادي ثنا خلف بن سالم المخرمي ثنا يحيى بن حماد ثنا أبو عوانة عن سليمان الأعمش عن حبيب بن أبي ثابت عن أبي الطفيل عن زيد، وصححه، وبهذا السند رواه أحمد في المسند ج١ ص١١٨ عن شريك عن الأعمش.

ورواه عنه بإسناده صاحب فرايد السمطين في الباب الثامن والخمسين، ومحب الدين الطبري في الرياض النضرة ج٢ ص١٦٩، والميبدي في شرح ديوان أمير المؤمنين من طريق أحمد، والذهبي في تلخيصه ج٣ ص٥٣٣ وصححه، ورواه بطرق أخرى عن زيد، وفي ميزان الاعتدال ج٣ ص٢٢٤ رواه عن غندر عن شعبة عن ميمون ابي عبد الله عن زيد وابن الصباغ المالكي في الفصول المهمة ص٢٤ عن الترمذي والزهري عن زيد، وقال: روى الترمذي عن زيد بن ارقم قال: قال رسول الله ﷺ من كنت مولاه فعلي مولاه، هذا اللفظ بمجرده رواه الترمذي ولم يزد عليه، وزاد عليه وهو الزهري ذكر اليوم والزمان والمكان قال: لما حج رسول الله ﷺ حجة الوداع وعاد قاصداً المدينة قام بغدير خم وهو ماء بين مكة والمدينة، وذلك

Alefbalib.com | بازنشر مقالات و کتب | کتابخانه مجازی الفبا

في اليوم الثامن عشر من ذي الحجة الحرام وقت الهاجرة، فقال: أيها الناس؟ إني مسؤول وأنتم مسؤولون هل بلغت؟ قالوا: نشهد إنك قد بلغت ونصحت، قال: وأنا أشهد أني قد بلغت ونصحت ثم قال: أيها الناس أليس تشهدون أن لا إله إلا الله وأني رسول الله؟ قالوا: نشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله، قال: وأنا أشهد مثل ما شهدتم، ثم قال: أيها الناس قد خلفت فيكم ما أن تمسكتم به لن تضلوا بعدي، كتاب الله وأهل بيتي، ألا وأن اللطيف الخبير أخبرني، أنهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض، حوض ما بين بصرى وصنعاء عدد آنيته عدد النجوم إن الله مسائلكم كيف خلفتموني في كتابه وأهل بيتي، ثم قال: أيها الناس من أولى الناس بالمؤمنين؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: أولى الناس بالمؤمنين أهل بيتي، يقول ذلك ثلاث مرات، ثم قال في الرابعة وأخذ بيد علي اللهم من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم والِ من والاه، وعادِ من عاداه، يقولها ثلاث مرات، ألا فليبلغ الشاهد الغائب.

ALEFBALIB.COM
مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

ورواه ابن طلحة الشافعي في مطالب السؤول ص١٦ نقلاً عن الترمذي عن زيد، والحافظ أبو بكر الهيثمي في مجمع الزوايد ج٩ ص١٠٤ من طريق أحمد والطبراني والبزار بإسنادهم عن زيد وفي ص١٦٣ ولفظه في الثانية قال: نزل رسول الله ﷺ الجحفة ثم أقبل على الناس فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: إني لا أجد لنبي إلا نصف عمر الذي قبله وأني أوشك أن أدعى فأجبت فما أنتم قائلون؟ قالوا: نصحت، قال: أليس تشهدون أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن الجنة حق، وأن النار حق؟ قالوا: نشهد، قال: فرفع يده فوضعها على صدره ثم قال: وأنا أشهد معكم، ثم قال: ألا تسمعون؟ قالوا: نعم، قال: فإني فرط عليَّ الحوض، وأنتم واردون عليَّ الحوض، وأن عرضه ما بين صنعاء وبصرى فيه أقداح عدد

Alefbalib.com | بازنشر مقالات و کتب | کتابخانه مجازی الفبا

النجوم من فضة فانظروا كيف تخلفوني في الثقلين، فنادى منادٍ: وما الثقلان يا رسول الله؟ قال: كتاب الله طرف بيد الله عز وجل وطرف بأيديكم فتمسكوا به لا تضلوا الآخر عشيرتي[1] وأن اللطيف الخبير نبأني: أنهما لن يتفرقا حتى يردا عليَّ الحوض فسألت ذلك لهما ربي، فلا تقدموهما فتهلكوا، ولا تقصروا عنهما فتهلكوا، ولا تعلموهما فهم أعلم منكم، ثم أخذ بيد علي رضي الله عنه، فقال: من كنت أولى به من نفسه فعلي وليه، اللهم والِ من والاه وعادِ من عاداه، وفي رواية أخصر من هذه: فيه عدد الكواكب من قدحان الذهب والفضة، وقال فيها أيضا: الأكبر كتاب الله والأصغر عترتي وفي رواية، لما رجع رسول الله ﷺ من حجة الوداع ونزل غدير خم أمر بدوحات قممن، ثم قام فقال: كأني قد دعيت فأجبت، وقال في آخره: فقلت لزيد: أنت سمعته من رسول الله ﷺ؟ فقال: ما كان في الدوحات أحد إلا رآه بعينه وسمعه بأذنيه.

ويوجد حديث زيد في جمع الجوامع، وتاريخ الخلفاء للسيوطي ١١٤، والجامع الصغير ج٢ ص٥٥٥ نقلاً عن الترمذي والنسائي والضياء المقدسي، وتهذيب التهذيب لابن حجر ج٧ ص٣٣٧ ورياض الصالحين ص١٥٢ والبيان والتعريف ج٢ ص١٣٦ عن الطبراني والحاكم بإسنادهما عن أبي الطفيل عنه، وفي ص٢٣٠ عن الترمذي والنسائي والضياء المقدسي بإسنادهم عنه، قال: قال السيوطي: حديث متواتر، وفي كنز العمال ج٦ ص١٥٢ عن الترمذي والضياء المقدسي وص١٥٤ عن احمد، والطبراني في المعجم الكبير، والضياء المقدسي عن زيد وعن ثلاثين رجلاً من الصحابة ص١٥٤ نقلاً عن المعجم الكبير للطبراني وفي ص٣٩٠ عن أبي الطفيل عامر بن واثلة وأبي عبد الله ميمون، وعطية العوفي وأبي الضحى جميعاً عن

---

(١) هذا هو سند الحاكم المذكور في ص٣٠ وقد صححه هامش الغدير: ج١ ص٣٤.

Alefbalib.com | بازنشر مقالات و كتب | كتابخانه مجازى الفبا

زيد، نقلاً عن محمد بن جرير الطبري في حديث الولاية وص١٠٢ عن يزيد ابن أبي حيان عن زيد.

٢٣ ـ أبو إسحاق سعد بن أبي وقاص المتوفى ٥٤ ـ ٥٥ ـ ٥٦ ـ ٥٨: أخرج الحافظ النسائي في خصائصه ص٣ بإسناده عن مهاجر بن مسمار بن سلمة عن عايشة بن سعد، قالت: سمعت أبي يقول: سمعت رسول الله ﷺ يوم الجحفة فأخذ بيد علي فخطب فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس إني وليكم؟ قالوا: صدقت يا رسول الله، ثم أخذ بيد علي فرفعها فقال: هذا وليي، ويؤدي عني ديني، وأنا موالي من والاه، ومعادي من عاداه.

وفي الخصائص ص٤ بإسناده عن عبد الرحمن بن سابط عن سعد قال: كنت جالساً فتنقصوا علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقلت: لقد سمعت رسول الله ﷺ يقول في علي خصال ثلاث لأن يكون لي واحدة منهن أحب إلي من حمر النعم ـ سمعته يقول: إنه مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي، وسمعته يقول: لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، وسمعته يقول: من كنت مولاه فعلي مولاه.

وفي الخصائص ص١٨ وفي طبعة ص٢٥ بالإسناد عن مهاجر بن مسمار قال: أخبرتني عايشة بنت سعد عن سعد قال: كنا مع رسول الله ﷺ بطريق مكة وهو متوجه إليها[1] فلما بلغ غدير خم وقف للناس ثم رد من تبعه ولحقه من تخلف فلما اجتمع الناس إليه قال: أيها الناس من وليكم؟ قالوا: الله ورسوله، ثلاثاً ثم أخذ بيد علي فأقامه ثم قال: من كان الله ورسوله وليه فهذا وليه، اللهم والِ من والاه وعادِ من عاداه، ورواه في ص١٨ عن عامر ابن سعد عنه، وعن ابن عيينة عن عايشة بنت سعد عنه، ورواه عبد الله بن أحمد بن حنبل كما في العمدة ص٤٨ بالإسناد عن عبد الله بن الصقر سنة

---

(١) كذا في النسخ والصحيح، وهو متوجه إلى المدينة.

Alefbalib.com | بازنشر مقالات و كتب | كتابخانه مجازى الفبا

٢٩٩ قال حدثنا يعقوب بن حمدان بن كاسب حدثنا سفيان عن ابن أبي نجيح عن أبيه، وربيعة الجرشي عن سعد.

وأخرج الحافظ الكبير محمد بن ماجة في السنن ج١ ص٣٠ بإسناده عن عبد الرحمن بن سابط عن سعد قال: قدِم معاوية في بعض حجاته فدخل عليه سعد فذكروا علياً فنال منه فغضب سعد وقال: تقول هذا لرجل سمعت رسول الله ﷺ يقول: من كنت مولاه فعلي مولاه وسمعته يقول: أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي، وسمعته يقول: لأعطين الراية اليوم رجلاً يحب الله ورسوله.

وروى الحافظ الحاكم في المستدرك ج٣ ص١١٦ عن أبي زكريا يحيى ابن محمد العنبري عن إبراهيم بن أبي طالب عن علي بن المنذر عن أبي فضيل عن مسلم الملائي عن خيثمة بن عبد الرحمن عن سعد قال له رجل: إن علياً يقع فيك إنك تخلفت عنه، فقال سعد: والله إنه لرأي رأيته وأخطأ رأيي: إن علي بن أبي طالب أعطي ثلاثاً لأن أكون أعطيت إحداهن أحب إلي من الدنيا وما فيها لقد قال له رسول الله ﷺ يوم غدير خم بعد حمد الله والثناء عليه: هل تعلمون إني أولى بالمؤمنين قلنا: بلى، قال: اللهم من كنت مولاه فعلي مولاه والِ من والاه، وعادِ من عاداه، وجيء به يوم خيبر وهو أرمد ما يبصر فقال: يا رسول الله إني أرمد فتفل في عينيه ودعا له فلم يرمد حتى قُتل وفتح عليه خيبر وأخرج رسول الله ﷺ عمه العباس وغيره من المسجد فقال له العباس: تخرجنا ونحن عصبتك وعمومتك وتسكن علياً؟ فقال: ما أنا أخرجكم وأسكنه ولكن الله أخرجكم وأسكنه.

وروى الحافظ الهيثمي في مجمع الزوايد ج٩ ص١٠٧ من طريق البزار عن سعد أن رسول الله ﷺ أخذ بيد علي فقال: ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ من كنت وليه فعلي وليه ثم قال الهيثمي: رواه البزار ورجال ثقاة.

Alefbalib.com | بازنشر مقالات و كتب | كتابخانه مجازى الفبا

وروى ابن كثير الشامي في البداية والنهاية ج٥ ص٢١٢ عن كتاب الغدير لابن جرير الطبري عن أبي الجوزاء أحمد بن عثمان عن محمد بن خالد عن عثمة عن موسى بن يعقوب الزمعي وهو صدوق عن مهاجر بن مسمار عن عايشة بنت سعد عن سعد قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول يوم الجحفة وأخذ بيد علي فخطب ثم قال: أيها الناس إني وليكم، قالوا: صدقت، فرفع يد علي فقال: هذا وليي والمؤدي عني وإن الله والى من والاه، قال شيخنا الذهبي: وهذا حديث حسن غريب، ثم رواه ابن جرير من حديث يعقوب بن جعفر بن أبي كثير عن مهاجر بن مسمار فذكر الحديث وأنه عليه السلام وقف حتى لحقه من بعده وأمر برد من كان تقدم فخطبهم، والحديث.

وبطريق سعد رواه جمال الدين السيوطي في جمع الجوامع، وتاريخ الخلفاء ص١١٤ عن الطبراني، ورواه المتقي الهندي في كنز العمال ج٦ ص١٥٤ عن أبي نعيم في فضايل الصحابة وص٤٠٥ عن أبن جرير الطبري، والوصّابي في الاكتفاء في فضائل الأربعة الخلفاء نقلاً عن أبن عاصم وسعيد ابن منصور في سننهما بإسنادهما، والبدخشاني في نزل الأبرار ص٢٠ عن الطبراني وأبي نعيم في فضائل الصحابة، وهو أحد العشرة المبشرة الذين عدهم الحافظ ابن المغازلي في مناقبه من رواة حديث الغدير وكذلك الخوارزمي في مقتله.

٢٤ ـ طلحة بن عبيد الله التميمي المقتول يوم الجمل سنة ٣٦ وهو ابن ٦٣ عاماً، شهد لأمير المؤمنين عليه السلام يوم الجمل بحديث الغدير ورواه المسعودي في مروج الذهب ج٢ ص١١، والحاكم في المستدرك ج٣ ص١٧١ والخوارزمي في المناقب ص١١٢، والحافظ الهيثمي في مجمع الزوايد ج٩ ص١٠٧، والسيوطي في جمع الجوامع، وابن حجر في تهذيب

Alefbalib.com | بازنشر مقالات و كتب | كتابخانه مجازى الفبا

التهذيب ج١ ص٣٩١ نقلاً عن الحافظ النسائي، والمتقي الهندي في كنز العمال ج٦ ص٨٣ نقلاً عن الحافظ ابن عساكر، وفي ص١٥٤ عن مستدرك الحاكم غير حديث المناشدة يوم الجمل، وهناك طرق أخرى كثيرة تأتي بألفاظها في حديث المناشدة يوم الجمل.

وروى الحافظ العاصمي في زين الفتى في شرح سورة هل أتى عن محمد بن أبي زكريا عن أبي الحسن محمد بن أبي إسماعيل العلوي عن محمد بن عمر البزاز عن عبد الله بن زياد المقبري عن أبيه عن حفص بن عمر العمري عن غياث بن إبراهيم عن طلحة بن يحيى عن عمه، عيسى عن طلحة بن عبيد الله أن النبي ﷺ قال: من كنت مولاه فعلي مولاه.

وأخرج ابن كثير في البداية والنهاية ج٧ ص٣٤٩ حديث الغدير بلفظ البراء بن عازب، ثم قال: وقد روي هذا الحديث عن سعد، وطلحة بن عبيد الله، وجابر بن عبد الله وله طرق، وأبي سعيد الخدري، وحَبشي بن جنادة، وجرير بن عبد الله، وعمر بن الخطاب، وأبي هريرة، وعد الحافظ بن المغازلي في مناقبه العشرة المبشرة من المائة الرواة لحديث الغدير بطرقه وطلحة منهم، وعد الجزري الشافعي في أسنى المطالب ص٣ ممن روى حديث الغدير من الصحابة.

٢٥ ـ عبد الله بن عباس، المتوفى ٦٨ أخرج الحافظ النسائي في الخصائص ص٧ عن ميمون بن المثنى قال حدثنا أبو الوضاح[1] وهو أبو عوانة قال: حدثنا أبو بلج بن أبي سليم عن عمرو بن ميمون عن ابن عباس في حديث طويل، قال: إني لجالس إلى ابن عباس إذ أتاه تسعة رهط فقالوا: يا ابن عباس إما أن تقوم معنا، وإما تخلو بنا من بين هؤلاء فقال ابن عباس: بل أنا أقوم معكم قال: وهو يومئذ صحيح قبل أن يعمى قال

(١) كلمة أب في أبي الوضاح وأبي سليم زايدة والصحيح: والوضاح وسليم.

Alefbalib.com | بازنشر مقالات و كتب | كتابخانه مجازى الفبا

فانتدبوا[1] فحدثوا فلا ندري ما قالوا قال: فجاء ينفض ثوبه وهو يقول: أفٍ وتفٍ[2] وقعوا في رجل له بضع عشر فضائل ليست لأحد غيره وقعوا في رجل قال له النبي ﷺ لأبعثن رجلاً لا يخزيه الله أبداً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله فاستشرف لها مستشرف فقال: أين علي؟ فقالوا: إنه في الرحى يطحن، قال: وما كان أحد ليطحن؟ قال: فجاء وهو أرمد لا يكاد أن يبصر، قال: فنفث في عينيه ثم هز الراية ثلاثاً فأعطاها إياه فجاء علي بصفية بنت حيي، قال: ابن عباس، ثم بعث رسول الله فلاناً بسورة التوبة فبعث علياً خلفه فأخذها منه وقال: لا يذهب بها إلا رجل هو مني وأنا منه فقال ابن عباس: وقال النبي لبني عمه أيكم يواليني في الدنيا والآخرة؟ فأبوا، قال: وعلي جالس معهم فقال علي: أنا أواليك في الدنيا والآخرة قال: فتركه وأقبل على رجل، رجل منهم فقال: أيكم يواليني في الدنيا والآخرة، فأبوا. فقال علي: أنا أواليك في الدنيا والآخرة، فقال لعلي: أنت وليي في الدنيا والآخرة، قال ابن عباس: وكان علي أول من آمن من الناس بعد خديجة رضي الله عنها، قال: وأخذ رسول الله ثوبه فوضعه على علي وفاطمة وحسن وحسين وقال: إنما يريد الله ليُذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا، قال ابن عباس: وشرى علي نفسه فلبس ثوب النبي ﷺ ثم نام مكانه، قال ابن عباس: وكان المشركون يرمون رسول الله، فجاء أبو بكر وعلي نائم قال: وأبو بكر يحسب أنه رسول الله قال فقال: يا نبي الله، فقال له علي: إن نبي الله قد انطلق نحو بئر ميمون فأدركه، قال: فانطلق أبو بكر فدخل معه الغار قال: وجعل علي رضي الله عنه يرمى

---

(١) كذا في النسخ والصحيح انتدوا كما في بعض المصادر، أي جلسوا في النادي.

(٢) أي قذر له يقال: أف له وتف، وأفة وتفة، والتنوين فيه ست لغات حكاها الأخفش أف أف أوف بالكسر والفتح والضم دون تنوين وبالثلاثة معها، هامش الغدير: ج١ ص٥٠.

Alefbalib.com | بازنشر مقالات و كتب | كتابخانه مجازى الفبا

بالحجارة كما كان يُرمى نبي الله وهو يتضور[1] وقد لف رأسه في الثوب لا يخرجه حتى أصبح ثم كشف عن رأسه فقالوا: إنك للئيم وكان صاحبك لا يتضور ونحن نرميه وأنت تتضور وقد استنكرنا ذلك، فقال ابن عباس: وخرج رسول الله ﷺ في غزوة تبوك وخرج الناس معه قال له علي: أخرج معك؟ قال فقال النبي ﷺ: لا، فبكى علي فقال له: أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى. إلا أنه ليس بعدي نبي أن لا ينبغي أن أذهب إلا وأنت خليفتي، قال ابن عباس: وقال له رسول الله ﷺ أنت ولي كل مؤمن بعدي ومؤمنة، قال ابن عباس: وسد رسول الله ﷺ أبواب المسجد غير باب علي فكان يدخل المسجد جنباً وهو طريقه ليس له طريق غيره، قال ابن عباس: وقال رسول الله ﷺ: من كنت مولاه فإن مولاه علي، الحديث.

هذا الحديث بطوله أخرجه جمع كثير من الحفاظ بأسانيدهم الصحاح منهم: إمام الحنابلة أحمد في مسنده ج١ ص٣٣١ عن يحيى بن حماد عن أبي عوانة عن أبي بلج عن عمرو بن ميمون عن ابن عباس، والحافظ الحاكم في المستدرك ج٣ ص١٣٢ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه بهذه السياقة، والخطيب الخوارزمي في المناقب ص٧٥ رواه بطريق الحافظ البيهقي، ومحب الدين الطبري في الرياض ج٢ ص٢٠٣، وفي ذخائر العقبى ص٨٧، والحافظ الحموينى في فرائده بإسناده عن ضحاك عنه بطريق الطبراني أبي القاسم بن أحمد، وابن كثير الشامي في البداية والنهاية ج٧ ص٣٣٧ عن طريق احمد بالسند المذكور وعن أبي يعلي عن يحيى بن عبد الحميد عن أبي عوانة إلى آخرة السند، والحافظ الهيثمي في مجمع الزوايد ج٩ ص١٠٨ عن أحمد والطبراني وقال: ورجال أحمد رجال الصحيح غير أبي بلج الفزاري وهو ثقة وفيه لين، وروى أيضاً حديث الغدير عن ابن عباس في ص١٠٨ فقال: رواه البزار في أثناء حديث ورجاله ثقات، ورواه

---

(١) التضور: التلوي والتقلب ظهراً لبطن.

Alefbalib.com | بازنشر مقالات و کتب | کتابخانه مجازی الفبا

بطوله الكنجي في الكفاية ص١١٥ نقلاً أحمد وابن عساكر في كتابه الأربعين الطوال، م ـ وذكره ابن حجر في الإصابة ج٢ ص٥٩.

وأخرج الحافظ المحاملي في أماليه على ما نقله عنه الشيخ إبراهيم الوصابي الشافعي في كتاب الاكتفاء بإسناده عن ابن عباس قال: لما أمر النبي ﷺ أن يقوم بعلي بن أبي طالب المقام الذي قام به فانطلق النبي ﷺ إلى مكة، فقال: رأيت الناس حديثي عهد بكفر بجاهلية ومتى أفعل هذا به يقولوا صنع هذا بابن عمه، ثم مضى حتى قضى حجة الوداع ثم رجع حتى إذا كان بغدير خم أنزل الله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾، الآية، فقام منادٍ فنادى الصلاة جامعة ثم قام وأخذ بيد علي رضي الله عنه فقال: من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم والِ من والاه وعادِ من عاداه، ونقله عن المحاملي في أماليه المتقي الهندي في كنز العمال ج٦ ص١٥٣، وبهذا اللفظ حرفياً رواه بطريق ابن عباس، جمال الدين عطاء الله بن فضل الله في أربعينه، ورواه عن ابن عباس جلال الدين السيوطي في تاريخ الخلفاء بطريق البزار ص١١٤ القريشي في شمس الأخبار ص٣٨ عن أمالي المرشد بالله، والبدخشاني في نزل الأبرار ص٢٠ بطريق البزار وابن مردويه وفي ص٢١ من طريق أحمد وابن حبان والحاكم وسمويه.

وأخرج الحافظ السجستاني في كتاب الولاية الذي أفرده في حديث الغدير بإسناده عن ابن عباس قال: لما خرج النبي ﷺ إلى حجة الوداع نزل بالجحفة فأتاه جبرائيل عليه السلام فأمره أن يقوم بعلي فقال ﷺ: أيها الناس ألستم تزعمون أني أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم والِ من والاه، وعادِ من عاداه، واحب من أحبه، وابغض من أبغضه، وانصر من نصره، وأعز من أعزه، وأعن من أعانه، قال ابن عباس وجبت الله في أعناق القوم.

Alefbalib.com | بازنشر مقالات و كتب | كتابخانه مجازى الفبا

وروى حديث الغدير عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ابن كثير في تاريخه ج٧ ص٣٤٨ ويأتي عنه حديث في ذكر التابعين في الضحاك، واخرج الحافظ ابن مردويه، وأبو بكر الشيرازي فيما نزل من القرآن، وأبو إسحاق الثعلبي في الكشف والبيان، والحاكم الحسكاني، وفخر الدين الرازي في تفسيره ج٣ ص٦٣٦، وعز الدين الموصلي الحنبلي، ونظام الدين النيسابوري في تفسيره ج٦ ص١٩٤، والآلوسي في روح المعاني ج٢ ص٣٤٨ والبدخشاني في مفتاح النجا وغيرهم بطرقهم حديث الغدير عن ابن عباس يأتي لفظهم في آيتي التبليغ وإكمال الدين إنشاء الله.

٢٦ ـ أبو عبد الرحمن عبد الله بن مسعود الهذلي المتوفى ٣٢/ ٣٣ والمدفون بالبقيع: أخرج الحافظ ابن مردويه بإسناد عنه نزول آية التبليغ في علي عليه السلام يوم الغدير، ورواه عنه السيوطي في الدر المنثور ج٢ ص٢٩٨، والقاضي الشوكاني في تفسيره ج٢ ص٥٧ والآلوسي البغدادي عن السيوطي عن ابن مردويه في روح المعاني ج٢ ص٣٤٨ وعده الخوارزمي وشمس الدين الجزري في أسنى المطالب ص٤ من رواة حديث الغدير من الصحابة.

٢٧ ـ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليه: شعره عليه السلام في الغدير مشهور رواه الثقات، ذكره وذكر رواته في شعراء القرن الأول. وحديث احتجاجه يومي الشورى، والجمل بحديث الغدير، واستنشاده به يوم الرحبة في الغدير ج٢ (شعراء القرن الأول).

وأخرج أمام الحنابلة أحمد بن حنبل في مسنده ج١ ص١٥٢ عن حجاج الشاعر عن شبابة عن نعيم بن حكيم قال: حدثني أبو مريم ورجل من جلساء علي عليه السلام عن علي: إن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: يوم غدير خم من كنت مولاه فعلي مولاه، ورواه عنه ابن كثير في البداية والنهاية ج٢ ٣٤٨ ثم قال: وقد رُوي هذا من طرق متعددة عن علي رضي الله عنه، ورواه الهيثمي في مجمع

Alefbalib.com | بازنشر مقالات و كتب | كتابخانه مجازى الفبا

الزوائد ج٩ ص١٠٧ من طريق أحمد وقال: رجال ثقات، وذكره (بطريق أحمد) السيوطي في جمع الجوامع وتاريخ الخلفاء ص١١٤، وابن حجر في تهذيب التهذيب ج٧ ص٣٣٧ والبدخشاني في نزل الأبرار ص٢٠ من طريق أحمد والحاكم، وفي مفتاح النجا بطريق أحمد والحاكم عنه عليه السلام.

وأخرج الحافظ الطحاوي في مشكل الآثار ج٢ ص٣٠٧ عن يزيد بن كثير[1] عن محمد بن عمر بن علي (أمير المؤمنين) عن أبيه عن علي أن النبي صلى الله عليه وآله حضر الشجرة بخُم فخرج آخذاً بيد علي فقال: أيها الناس ألستم تشهدون أن الله ربكم؟ قالوا: بلى، قال: ألستم تشهدون أن الله ورسوله أولى بكم من أنفسكم؟ وأن الله ورسوله مولاكم؟ قالوا: بلى، قال: من كنت مولاه فعلي مولاه، إني تركت فيكم ما أن أخذتم لن تضلوا بعدي: كتاب الله بأيديكم وأهل بيتي.

ورواه ابن كثير في البداية والنهاية ج٥ ص٢١١ بطريق ابن جرير وابن أبي عاصم بإسنادهما عن كثير بن زيد عن محمد بن عمر بن علي عن أبيه علي، وذكره المتقي الهندي في كنز العمال ج٦ ص١٥٤ عن مستدرك الحاكم واحمد والطبراني في المعجم الكبير والضياء المقدسي، وفي ج٦ ص٣٩٧ نقلاً عن أبن أبي عاصم، وص٤٠٦ عن ابن راهويه وابن جرير وص٣٩٩ عن ابن جرير وابن أبي عاصم والمحاملي في أماليه وصححه، وفي لفظهم: فمن كان الله ورسوله مولاه فإن هذا مولاه، ورواه الوصابي في الاكتفاء نقلاً عن سنني ابن أبي عاصم وسعيد بن منصور (ابن شعبة النسائي).

وأخرج الذهبي في ميزان الاعتدال ج٢ ص٣٠٣ عن مخول بن إبراهيم عن جابر ابن الحرعن أبي إسحاق عمرو ذي مرّ عن أمير المؤمنين، الحديث ثم قال:

---

(١) كذا في مشكل الآثار وفي غيره: كثير بن زيد وهو الصحيح.

Alefbalib.com | بازنشر مقالات و كتب | كتابخانه مجازى الفبا

وروي هذا بإسناد أصلح من هذا، وروى الحمويني في فرائد السمطين عن عمرو ذي مرّ عن أمير المؤمنين وعن أبي راشد الحرّاني[1] عنه عليه السلام.

وفي حلية الأولياء لأبي نعيم الأصبهاني ج٩ ص٦٤ عن عبد الله بن جعفر عن أحمد بن يونس الضبي عن عمار بن نصر بن إبراهيم بن اليسع المكي عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده عن علي (أمير المؤمنين) قال: خطب رسول الله صلى الله عليه وآله بالجحفة، الحديث. وسيأتيك حديث أخرجه الحافظ العاصمي في مفاد حديث الغدير عنه عليه السلام.

٢٨ ـ أبو اليقظان عمار بن ياسر العنسي الشهيد بصفين سنة ٣٧: يأتي عن كتاب صفين لنصرين مزاحم ص١٨٦ احتجاج عمار بحديث الغدير على عمرو بن العاص ويوجد في شرح نهج البلاغة ج٢ ص٢٧٣، وأخرج الحمويني بإسناد في فرائد السمطين في الباب الأربعين، والثامن والخمسين حديث الغدير بطريقه، وعدّه الخوارزمي وشمس الدين الجزري في أسنى المطالب ص٤ ممن روى حديث الغدير من الصحابة، وهو من الركبان الشهود لعلي عليه السلام بحديث الغدير.

٢٩ ـ عمر بن الخطاب المقتول ٢٣: أخرج الحافظ بان المغازلي في المناقب بطريقين عن عمران بن مسلم عن سويد بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول صلى الله عليه وآله: من كنت مولاه فعلي مولاه، ورواه السمعاني في فضائل الصحابة بإسناده عن أبي هريرة عنه، ومحب الدين الطبري في الرياض النضرة ج٢ ص١٦١ نقلاً عن مناقب أحمد وابن السمان بطريقهما عنه. وأشار إليه في ص٢٤٤، وفي ذخائر العقبى ص٦٧ نقلاً عن مناقب أحمد وشعبة بإسنادهما عنه،

---

(١) كذا في النسخ هنا وفي غيره والضبط على ما في الخلاصة والتقريب: الحبراني بضم المهملة وسكون الموحدة.

Alefbalib.com | بازنشر مقالات و کتب | کتابخانه مجازی الفبا

والحافظي محمد خواجة بارسا في فصل الخطاب، وعده الخطيب الخوارزمي في مقتله، وابن كثير الشامي في البداية والنهاية ج٧ ص٣٤٩، وشمس الدين الجزري في أسنى المطالب ص٣ ممن روى حديث الغدير من الصحابة.

وفي مودة القربى لشهاب الدين الهمداني: عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: نصب رسول الله ﷺ علياً علماً فقال: من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم والِ من والاه، وعادِ من عاداه، واخذل من خذله، وانصر من نصره، اللهم أنت شهيدي عليهم، قال عمر بن الخطاب: يا رسول الله؟ وكان في جنبي شاب حسن الوجه طيب الريح، قال لي: يا عمر لقد عقد رسول الله عقداً لا يحله إلا منافق فأخذ رسول الله بيدي فقال: يا عمر إنه ليس من ولد آدم لكنه جبرائيل أراد أن يؤكد عليكم ما قلته في علي ورواه عنه الشيخ القندوزي الحنفي في ينابيعه ص٢٤٩.

وروى ابن كثير ج٥ ص٢١٣ عن الجزء الأول من كتاب غدير خم (لابن جرير) حدثنا محمود[١] بن عوف الطائي ثنا عبد الله بن موسى أنبأنا إسماعيل بن كشيط[٢] عن جميل بن عمارة[٣] عن سالم بن عبد الله بن عمر قال ابن جرير أحسبه قال عن عمر وليس في كتابي، سمعت رسول الله ﷺ وهو آخذ بيد علي يقول: من كنت مولاه فهذا مولاه اللهم والِ من والاه، وعادِ من عاداه.

هذا وقد روى حديث الغدير أكثر من ثمانين تابعياً[٤] نذكر منهم:

---

(١) كذا في النسخ والصحيح: محمد.
(٢) كذا والصحيح: نشيط، م.
(٣) كذا وفي تاريخ البخاري كما يأتي صفحة ٦٤: عامر. م، هامش الغدير: ج١ ص٥٧.
(٤) الغدير: ص٦٢ ـ ٧٢.

Alefbalib.com | بازنشر مقالات و كتب | كتابخانه مجازى الفبا

١ ـ أبو راشد الحُبراني الشامي (اسمه خضر ـ نعمان) وثقه العجلي وقال: لم يكن بدمشق في زمانه أفضل منه، ووثقه ابن حجر في التقريب ص٤١٩.

٢ ـ أبو سلمة (اسمه عبد الله وقيل: إسماعيل) ابن عبد الرحمن بن عوف الزهري المدني، في خلاصة الخزرجي ص٣٨٠ عن ابن سعد كان ثقة فقيهاً كثير الحديث، وفي التقريب ص٤٢٢ ثقة مكثر مات ٩٤ تنتهي الطرق إليه إلى جابر الأنصاري والطريق صحيح رجاله ثقات راجع ص٢٢.

٣ ـ أبو سليمان المؤذن، في التقريب (أبو سلمان) من كبار التابعين مقبول: يأتي عنه حديث المناشدة في الرحبة بطريق رجاله ثقات.

٤ ـ أبو عنفوانه المازني: مر الطريق إليه عن جندع.

٥ ـ أبو القاسم أصبغ بن نُباتة (بضم النون) التميمي الكوفي، تابعي ثقة قاله العجلي وابن معين.

٦ ـ أياس بن نذير ذكره ابن حبان في الثقات.

٧ ـ جميل بن عمارة: مر عن ابن كثير من طريق أبو جرير الطبري.

٨ ـ حكم بن عتيبة الكوفي الكندي، ثقة ثبت فقيه صاحب سنة وأتباع ترجمه الذهبي في تذكرته ج١ ص١٠٤ توفي ١١٤ ـ ١١٥.

٩ ـ سعيد بن وهب الهمداني الكوفي، في خلاصة تهذيب الكمال ص١٢٢: وثقه ابن معين مات سنة ست وسبعين، روي بطريقه جمع كثير من أئمة الحديث حديث مناشدة الرحبة.

١٠ ـ أبو عمرو زاذان بن عمر الكندي البرار (أو البزاز) الكوفي في ميزان الاعتدال من كبار التابعين، وحكى ابن حجر ثقته عن غير واحد في التهذيب ج٣ ص٢٠٣ توفي ٨٢هـ.

Alefbalib.com | بازنشر مقالات و كتب | كتابخانه مجازى الفبا

١١ ـ أبو مريم زر بن جبيش (مصغراً) الأسدي من كبار التابعين توفي ٨١ ـ ٨٢ ـ ٨٣ قال الذهبي في تذكرته ج١ ص٤٠: إنه الإمام القدوة وفي التقريب ثقة جليل مخضرم، وثقه غير واحد كما في التهذيب ج٣ ص٣٢٢ وعقد له أبو نعيم في الحلية ج٤ ص١٨١ ـ ١٩١ ترجمة ضافية.

١٢ ـ زياد بن أبي زياد وثقه الحافظ الهيثمي في مجمعه وابن حجر في التقريب.

١٣ ـ سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب القرشي العدوي المدني ترجمه الذهبي في تذكرته ج١ ص٧٧ وقال: إنه الفقيه الحجة أحد من جمع بين العلم والعمل والزهد والشرف، وفي التقريب أحد الفقهاء السبعة كان ثبتاً عابداً يشبه بأبيه في الهدي والسمت، مات في آخر سنة ١٠٦هـ.

١٤ ـ عبد الله بن يعلي بن مرة تنتهي إليه طرق في حديث المناشدة.

١٥ ـ علي بن زيد بن جدعان البصري المتوفى ١٢٩ ـ ١٣١، وثقه ابن أبي شيبة وعن الترمذي، أنه صدوق، وأثنى عليه الذهبي في تذكرته بالإمامة. واخرج الخطيب في تاريخه ج٧ ص٣٧٧ قال: أخبرنا محمد بن عبد الرحمن المعدل ـ بأصفهان ـ حدثنا محمد بن عمر التميمي الحافظ: حدثنا الحسن ابن علي بن سهل العاقولي: حدثنا حمدان بن المختار: حدثنا حفص بن عبيد الله ابن عمر عن سفيان الثوري عن علي بن زيد عن أنس قال: سمعت النبي ﷺ يقول: من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم والِ من والاه، وعاد من عاداه.

١٦ ـ أبو هارون عمارة بن جوين العبدي المتوفى ١٣٤.

١٧ ـ أبو عبد الله عمرو بن ميمون الأودي، ذكره الذهبي في التذكرة ج١ ص٥٦ بالإمامة والثقة، وفي التقريب ٢٨٨، ثقة عابد نزل الكوفة مات ٧٤، وقيل بعدها.

Alefbalib.com | بازنشر مقالات و كتب | كتابخانه مجازى الفبا

١٨ ـ محمد بن عمر بن علي أمير المؤمنين، توفي في خلافة عمر بن عبد العزيز، ويقال سنة ١٠٠ وثقه ابن حبان وقال ابن حجر: صدوق من السادسة مات بعد الثلثين.

١٩ ـ أبو زرارة مصعب بن سعد بن أبي وقاص الزهري المدني، في التقريب ٣٣٤ ثقة توفي سنة ١٠٣.

٢٠ ـ أبو بلج يحيى بن سليم الفزاري الواسطي، وثقه ابن معين والنسائي والدار قطني كما في خلاصة الخزرجي ٣٨٣م، ووثقه الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد ص١٠٩.

أما رواته من العلماء والباحثين فقد أحصى المرحوم الشيخ الأميني منهم ٣٦٠ حسب طبقاتهم[١] ناهيك عن المؤلفين حوله الجامعين لطرق رواته، فقد ذكر المرحوم الحافظ الشيخ سليمان بن إبراهيم القندوزي الحنفي المتوفى عام ١٢٩٤ هـ حول هذا الموضوع ما يلي: (حكى العلامة علي بن موسى وعلي بن محمد أبي المعالي الجويني الملقب بإمام الحرمين أستاذ أبي حامد الغزالي رحمهما الله يتعجب ويقول: رأيت مجلداً في بغداد في يد صحاف فيه روايات خبر غدير خم مكتوباً عليه المجلدة الثامنة والعشرين من طرق قوله صلى الله عليه وسلم: من كنت مولاه فعلي مولاه، ويتلوه المجلدة التاسعة والعشرون)[٢]

---

(١) نفس المصدر: ص٧٣ ـ ١٥١.

(٢) ينابيع المودة: ص٣٦، ط ٨، دار الكتب العراقية ١٩٦٦م.

Alefbalib.com | بازنشر مقالات و كتب | كتابخانه مجازى الفبا

٣ . مم اكتسب حديث الغدير أهميته؟

لم يكتسب حديث الغدير أهميته بسبب استفاضته واهتمام أهل العلم به مضموناً وطُرُقاً منذ صدع الرسول الخاتم ﷺ به حتى اليوم فحسب، وإنما احتل هذا النص الإلهي المبارك موقعه المتميز بين النصوص المثيلة له لأسباب زمنية ومكانية من جهة، ولأسباب ذات صلة بمستقبل الرسالة الإلهية الخاتمة، وإلا فأن النصوص المصرحة بمضمون حديث الغدير كثيرة جداً، إضافة إلى قيمتها العلمية من ناحية طرق إسنادها ووثاقة رواتها ـ وسنستعرض بعضاً من تلك النصوص بعد قليل.

يمكننا هنا أن نسجل العوامل التي أكسبت حديث الغدير قيمته المتميزة:

أ ـ إن حديث الغدير المبارك قد اقترن بنزول آية التبليغ من سورة المائدة التي ألزمت النبي الخاتم ﷺ بنصب علي بن أبي طالب عليه السلام قائداً للأمة بعد رحيله إلى الرفيق الأعلى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾﴾[1].

١ ـ فقد حدث الحافظ أبو جعفر محمد بن جرير الطبري المتوفى عام

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٦٧.

Alefbalib.com | بازنشر مقالات و کتب | کتابخانه مجازی الفبا

٣١٠هـ بإسناده عن زيد بن أرقم (كما في كتابي الولاية في طرق حديث الغدير) قال[1]: لما نزل النبيﷺ بغدير خم في رجوعه من حجة الوداع وكان في وقت الضحى وحر شديد أمر بالدوحات فقمَّت ونادى الصلاة جامعة فاجتمعنا فخطب خطبة بالغة ثم قال: إن الله تعالى أنزل إليَّ: بلغ ما انزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس، وقد أمرني جبرائيل عن ربي أن أقوم في هذا المشهد وأعلم كل أبيض وأسود: أن علي بن أبي طالب أخي ووصي وخليفتي والإمام بعدي، فسألت جبرائيل أن يستعفي لي ربي لعلمي بقلة المتقين وكثرة المؤذين لي واللائمين لكثرة ملازمتي لعلي وشدة إقبالي عليه حتى سموني أذناً، فقال تعالى: ومنهم الذي يؤذون النبي ويقولون هو أذن قل أذن خير لكم، ولو شئت أن أسميهم وأدل عليهم لفعلت ولكني بسترهم قد تكرمت، فلم يرض الله إلا بتبليغي فيه فاعلموا:

معاشر الناس، ذلك: فأن الله قد نصبه لكم ولياً وإماماً، وفرض طاعته على كل أحد، ماض حكمه، جائز قوله، ملعون من خالفه، مرحوم من صدقه، اسمعوا وأطيعوا، فأن الله مولاكم وعلي إمامكم، ثم الإمامة في ولدي من صلبه إلى يوم القيامة لا حلال إلا ما أحله الله ورسوله، ولا حرام إلا ما حرم الله ورسوله وهم، فما من علم إلا وقد أحصاه الله فيّ ونقلته إليه فلا تضلوا عنه ولا تستنكفوا منه، فهو الذي يهدي إلى الحق ويعمل به، لن يتوب الله على أحد أنكره ولن يغفر له، حتماً على الله أن يفعل ذلك أن يعذبه عذاباً نكراً أبد الآبدين، فهو أفضل الناس بعد ما نزل الرزق وبقي الخلق، ملعون من خالفه، قولي عن جبرائيل عن الله فلتنظر نفس ما قدمت لغد.

افهموا محكم القرآن ولا تتبعوا متشابهه ولن يفسر ذلك لكم إلا من أنا

---

(١) الغدير: ج١ ص٢١٤ ـ ٢١٨، بأسانيده.

Alefbalib.com | بازنشر مقالات و کتب | کتابخانه مجازی الفبا

آخذ بيده وشائل بعضده ومعلمكم: إن من كنت مولاه فهذا مولاه، وموالاته من الله عز وجل أنزلها علي، ألا وقد أديت ألا وقد بلّغت ألا وقد أسمعت، ألا وقد أوضحت، لا تحل إمرة المؤمنين بعد لأحد غيره، ثم رفعه إلى السماء حتى صارت رجله مع ركبة النبي ﷺ وقال:

معاشر الناس، هذا أخي ووصي وواعي علمي وخليفتي على من آمن بي وعلي: تفسير كتاب ربي، وفي رواية، اللهم والِ من والاه، وعادِ من عاداه، والعن من أنكره، واغضب على من جحد حقه، اللهم، إنك أنزلت عند تبين ذلك في علي، اليوم أكملت لكم دينكم، بإمامته فمن لم يأتم به وبمن كان من ولدي من صلبه إلى القيامة فأولئك حبطت أعمالهم وفي النار هم خالدون، إن أبليس اخرج آدم عليه السلام من الجنة مع كونه صفوة الله بالحسد فلا تحسدوا فتحبط أعمالكم وتزل أقدامكم في علي نزلت سورة:

﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢﴾[1].

معاشر الناس، آمنوا بالله ورسوله والنور الذي أنزل معه من قبل أن نطمس وجوهاً فنردها على أدبارهم أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت النور من الله فيّ ثم في علي ثم في النسل منه إلى القائم المهدي.

معاشر الناس، سيكون من بعدي أئمة يدعون إلى النار ويوم القيامة لا يُنصرون وأن الله وأنا بريئان منهم إنهم وأنصارهم وأتباعهم في الدرك الأسفل من النار، وسيجعلونها ملكاً اغتصاباً فعندها يفرغ لكم أيها الثقلان ويرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران، الحديث:

(ضياء العالمين).

---

(١) في الدر المنثور: ٦ ص٣٩٢، من طريق ابن مردويه عن ابن عباس أن قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ نزلت في علي وسلمان.

Alefbalib.com | بازنشر مقالات و كتب | كتابخانه مجازى الفبا

٢ ـ الحافظ ابن أبي حاتم أبو محمد الحنظلي الرازي المتوفى ٣٢٧ قال (بإسناده عن أبي سعيد الخدري أن الآية نزلت على رسول الله ﷺ يوم غدير خم في علي بن أبي طالب)[١].

٣ ـ واخرج ابن مردويه المولود ٣٢٣ والمتوفى ٤١٦ بإسناده عن أبي سعيد الخدري أنها نزلت يوم غدير خم في علي بن أبي طالب، وبإسناد آخر عن ابن مسعود أنه قال: كنا نقرأ على عهد رسول الله ﷺ يا أيها الرسول بلّغ من أنزل إليك من ربك ـ إن علياً مولى المؤمنين ـ وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس[٢].

وروى بإسناده عن ابن عباس قال: لما أمر الله رسوله ﷺ أن يقوم بعلي فيقول له ما قال فقال: يا رب إن قومي حديث عهد بجاهلية ثم مضى بحجة فلما أقبل راجعاً نزل بغدير خم أنزل الله عليه: يا أيها النبي بلغ ما أنزل إليك من ربك، الآية فأخذ بعضد علي ثم خرج إلى الناس فقال: أيها الناس، ألست أولى بكم من أنفسكم؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: اللهم من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم والِ من والاه، وعادِ من عاداه، وأعن من أعانه، واخذل من خذله، وانصر من نصره، وأحب من أحبه، وابغض من بغضه، قال ابن عباس: فوجبت والله في رقاب القوم، وقال حسان بن ثابت:

يناديهم يوم الغدير نبيهم ... بخم واسمع بالرسول مناديا

يقول: فمن مولاكم ووليكم ... فقالوا ولم يبدوا هناك التعاميا

إلهك مولانا وأنت ولينا ... ولم ترمنا في الولاية عاصيا

---

(١) الدر المنثور: ٢ ص٢٩٨، وفتح القدير: ٢ ص٥٧.

(٢) روى الحديثين عنه السيوطي في الدر المنثور: ٢ ص٢٩٨، والشوكاني في فتح القدير، والأربلي في كشف الغمة: ٩٤، عنه عن زر عن ابن مسعود.

Alefbalib.com | بازنشر مقالات و كتب | كتابخانه مجازى الفبا

فقال له: قم يا علي؟ فأنني رضيتك من بعدي إماماً وهاديا

وروى عن زيد بن علي أنه قال: لما جاء جبرائيل بأمر الولاية ضاق النبي ﷺ بذلك ذرعاً وقال: قومي حديثوا عهد بالجاهلية فنزلت الآية (كشف الغمة: ٩٤).

٤ ـ وأخرج أبو إسحاق الثعلبي النيسابوري المتوفى ٤٢٧ ـ ٣٧ في تفسيره (الكشف والبيان) عن أبي جعفر محمد بن علي (الإمام الباقر) أن معناها: بلغ ما أنزل إليك من ربك في فضل علي، فلما نزلت أخذ رسول الله ﷺ بيد علي فقال: من كنت مولاه فعلي مولاه.

وقال: أخبرني أبو محمد بن عبد الله بن محمد القايني: نا أبو الحسين محمد بن عثمان النصيبي نا أبو بكر محمد بن الحسن السبيعي، نا علي بن محمد الدهان، والحسين بن إبراهيم الحصاص، نا حسين بن حكم، نا حسن بن حسين، نا حبان عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس في قوله تعالى: يا أيها النبي بلغ ما أنزل إليك من ربك، الآية، قال: نزلت في علي، أمر النبي ﷺ أن يُبلغ فيه فأخذ رسول الله ﷺ بيد علي فقال: من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم والِ من والاه، وعادِ من عاداه[1].

ومن نافل القول أن نذكر هنا أن آية التبليغ رغم حملها للأمر الإلهي بالتبليغ لإمامة علي عليه السلام للامة بعد النبي ﷺ فإنها حملت ضماناً من الله تعالى لحفظ النبي ﷺ من الإثارات المحبطة لعملية التبليغ.

فقد كان رسول الله ﷺ مدركاً أن قومه حديثو عهد بالجاهلية، وأنهم

---

(١) روى الحديثين عنه ابن بطريق في العمدة: ص٤٩، والسيد ابن طاووس في الطرايف، والأربلي في كشف الغمة: ٩٤، ونقل الطبرسي في مجمعه: ٢ص٢٢٣ ثاني الحديثين عن تفسيره الكشف والبيان، وابن شهراشوب عنه أول الحديثين في مناقبه: ١ ص٥٢٦.

Alefbalib.com | بازنشر مقالات و كتب | كتابخانه مجازى الفبا

طالما عارضوا أحكام النبي ﷺ وقراراته ونقضوها، كما حدث في صلح الحديبية، وفي وقعة أحد وغيرها[1]. فلما علم الله تعالى هذه المخاوف من النبي ﷺ ـ وهي مخاوف واقعية ـ أخبره تعالى بصيانته وصد المثيرين للفتنة عنه حتى ينفّذ أمر الله عز وجل.

إن مثل هذه الضوابط: من وجوب التبليغ، وتبني صيانة النبي ﷺ أثناء ذلك التبليغ أمور لم ترافق أية قرارات أو أحكام أو مفاهيم بلّغها النبي ﷺ لقومه.

ب ـ إن عملية التبليغ التي نفذها النبي ﷺ قد جرت أمام عشرات الآلاف من المسلمين الذين حج بهم النبي في آخر حجة له ﷺ حيث أنهت بعض الروايات عددهم إلى أكثر من مائة ألف.

ومثل هذه العملية التبليغية المشهودة لم تَجرِ أية عملية مماثلة لها على الإطلاق، فإنه من المقطوع به أن النبي ﷺ طوال سيرته المطهرة ـ فيما نعلم ـ لم يبلغ حكماً أو قراراً أو موقفاً في عدد من المسلمين بهذا المستوى من الناحية الكمية ولا من الناحية الكيفية، الأمر الذي يشير إلى ميزة حديث الغدير التي اختص بها على سواه من الأحاديث التي وردت بهذا المضمون أو غيره.

ج ـ إن حديث الغدير الذي صدع به النبي الأمين ﷺ قد توفرت له من الأجواء العاطفية ما لم تتوفر لغيره على الإطلاق، فقد ربط النبي الخاتم ﷺ بين هذا البلاغ المخلد، وخدماته الجليلة للمسلمين إضافة إلى إشعار الحاضرين باقتراب أجله، وأنه قريباً مفارق لأمته ..

(أيها الناس: إنه قد نبأني اللطيف الخبير أنه لم يُعمر نبي إلا نصف عمر

---

(١) سنذكر نماذج من مخالفات الصحابة لرسول الله ﷺ في بحث قادم.

Alefbalib.com | بازنشر مقالات و كتب | كتابخانه مجازى الفبا

الذي يليه من قبله، وأني لأظن أن أدعى فأجيب، وأني مسؤول وأنتم مسؤولون، هل بلّغت؟ فما أنتم قائلون؟ قالوا: نقول: قد بلغت، وجهدت، ونصحت، فجزاك الله خيرا . . .).

(أيها الناس، فأنه لم يكن لنبي من العمر إلا النصف من عمر الذي قبله، وأن عيسى بن مريم لبث في قومه أربعين سنة، وأني شرعت في العشرين[1] ألا وأني يوشك أن أفارقكم، ألا وأني مسؤول وأنتم مسؤولون، فهل بلّغتكم؟ فماذا أنتم قائلون؟ فقام من كل ناحية من القوم مجيب يقولون: نشهد أنك عبد الله وسوله، قد بلّغت رسالته وجاهدت في سبيله، وصدعت بأمره، وعبدته حتى أتاك اليقين، جزاك الله خير ما جزى نبياً عن أمته . . .).

إن هذه الأجواء العاطفية المؤثرة قد كانت أخصب ظرف لتبليغ النبي ﷺ لما دعاه الله عز وجل لتبليغه من إمامة علي بن أبي طالب عليه السلام لأن الأجواء التي أثارها النبي ﷺ كانت جديرة أن تترسخ فيها الأفكار وتُلتزم وتتأصل، وهي كذلك لولا الفتنة التي ألمت بالمسلمين بعد رحيل المصطفى ﷺ.

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى
ALEFBALIB.COM

د ـ إن من مزايا حديث الغدير نزول آية الإكمال بعد تبليغه:

﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[2].

فقد ربط القرآن الكريم بين التبليغ بولاية علي بن أبي طالب عليه السلام من خلال حديث الغدير وعملية إكمال الدين وإتمام النعمة على العباد رغم أن الآية المذكورة لم تكن آخر آيات القرآن نزولاً، فكان إكمال الدين وإتمام النعمة بتعيين القيِّم على القرآن وأمير المؤمنين بعد رسول الله ﷺ الذي

---

(١) يشير ﷺ إلى أنه مضى على دعوته لقومه أكثر من عشرين عاماً وهي إمارة على اقتراب أجله.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٣.

Alefbalib.com | بازنشر مقالات و كتب | كتابخانه مجازى الفبا

يشكل الامتداد الطبيعي للرسالة وحفظ الشرع الخاتم وصونه بالهادي بعد الرسول صلى الله عليهما وعلى آلهما.

ولا بأس أن نذكر طرفاً من الروايات التي أكدت نزول آية الإكمال في حادثة يوم الغدير:

١ ـ حدث الحافظ ابن مردويه الأصفهاني المتوفى ٤١٠، من طريق أبي هارون العبدي عن أبي سعيد الخدري: أنها نزلت على رسول الله ﷺ يوم غدير خم حين قال لعلي: من كنت مولاه فعلي مولاه، ثم رواه عن أبي هريرة وفيه: إنه اليوم الثامن عشر من ذي الحجة، يعني مرجعه عليه السلام من حجة الوداع، تفسير ابن كثير: ج٢ ص١٤.

٢ ـ وأخرج الحافظ أبو نعيم الأصفهاني المتوفى ٤٣٠ في كتابه (ما نزل من القرآن في علي)، قال: حدثنا محمد بن أحمد بن علي بن مخلد (المحتسب المتوفى ٣٥٧) قال: حدثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة قال: حدثني يحيى الحماني قال: حدثني قيس بن الربيع عن أبي هارون العبدي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: إن النبي ﷺ دعا الناس إلى علي في غدير خم أمر بما تحت الشجرة من الشوك فقم وذلك يوم الخميس فدعا علياً فأخذ بضبعيه فرفعهما حتى نظر الناس إلى بياض إبطي رسول الله ثم لم يتفرقوا حتى نزلت هذه الآية: اليوم أكملت لكم دينكم، الآية. فقال رسول الله ﷺ: الله أكبر على إكمال الدين، وإتمام النعمة ورضى الرب برسالتي، وبالولاية لعلي عليه السلام من بعدي.

٣ ـ حدث الحافظ أبو بكر الخطيب البغدادي المتوفى ٥٦٣، في تاريخه: ٨ ص٢٩٠ عن عبد الله بن علي بن محمد بن بشران عن الحافظ علي بن عمر الدار قطني، عن حبشون الخلال، عن علي بن سعيد الرملي

Alefbalib.com | بازنشر مقالات و کتب | کتابخانه مجازی الفبا

عن ضمرة عن أبن شوذب، عن مطر الورّاق، عن أبن حوشب عن أبي هريرة عن النبي ﷺ.

وعن أحمد بن عبد الله النيري عن علي بن سعيد عن ضمرة عن ابن شوذب عن مطر عن أبي حوشب عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: من صام يوم ثمان عشر من ذي الحجة كتب له صيام ستين شهراً، وهو يوم غدير خم لما أخذ النبي ﷺ بيد علي بن أبي طالب فقال: ألست أولى بالمؤمنين؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: من كنت مولاه فعلي مولاه، فقال عمر بن الخطاب: بخ بخ يا ابن أبي طالب أصبحت مولاي ومولى كل مسلم، فأنزل الله: اليوم أكملت لكم دينكم، الآية.

٤ ـ حدّث الحافظ أبو القاسم الحاكم الحسكاني قال: أخبرنا أبو عبد الله الشيرازي، قال: أخبرنا أبو بكر الجرجاني، قال: حدثنا أبو أحمد البصري، قال: حدثنا أحمد بن عمار بن خالد، قال: حدثنا يحيى بن عبد الحميد الحماني، قال: حدثنا قيس بن الربيع عن أبي هارون العبدي عن أبي سعيد الخدري: إن رسول الله ﷺ لما نزلت هذه الآية: اليوم أكملت لكم دينكم، قال: الله أكبر على إكمال الدين، وإتمام النعمة، ورضي الربّ برسالتي، وولاية علي بن أبي طالب من بعدي، وقال: من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم والِ من والاه وعادِ من عاداه وانصر من نصره، واخذل من خذله.

٥ ـ حدث أخطب الخطباء الخوارزمي المتوفى ٥٦٨، قال في المناقب ص٨٠: أخبرنا سيد الحفاظ أبو منصور شهردار بن شيروية بن شهردار الديلمي فيما كتب إلي من همدان: أخبرني أبو الفتح عبدوس بن عبد الله بن عبدوس الهمداني كتابة، حدثني عبد الله بن إسحاق البغوي، حدثني الحسن ابن عليل الغنوي، حدثني محمد بن عبد الرحمن الزراع، حدثني قيس بن حفص، حدثني علي بن الحسن العبدي عن أبي هارون العبدي عن أبي

كتابخانه مجازی الفبا | بازنشر مقالات و کتب | Alefbalib.com

سعيد الخدري أنه قال: إن النبي ﷺ يوم دعا الناس إلى غدير خم أمر بما كان تحت الشجرة من الشوك فقم وذلك يوم الخميس، ثم دعا الناس إلى علي، فأخذ بضبعه فرفعها حتى نظر الناس إلى إبطيه حتى نزلت الآية: اليوم أكملت لكم دينكم، الآية، إلى آخر الحديث بلفظ مر بطريق أبي نعيم الأصفهاني.

٦ ـ حدّث أبو حامد سعد الدين الصالحاني، قال شهاب الدين أحمد في ـ توضيح الدلايل على ترجيح الفضائل ـ: وبالإسناد المذكور عن مجاهد رضي الله عنه قال: نزلت هذه الآية اليوم أكملت لكم، بغدير خم فقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وبارك وسلم: الله أكبر على إكمال الدين، وإتمام النعمة ورضى الرب برسالتي، والولاية لعلي، رواه الصالحاني)[1].

ALEFBALIB.COM
مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

(١) الغدير: ج١ ص٢٣١ ـ ٢٣٥، المصادر الأخرى.

Alefbalib.com | بازنشر مقالات و کتب | کتابخانه مجازی الفبا

٤. هل الجدة في مضمون حديث الغدير أم في طريقة أدائه؟

لولا الخصوصيات المشار إليها التي رافقت حديث الغدير لكان أسوة بغيره من الأحاديث الشريفة التي أختص بها علي أمير المؤمنين عليه السلام من قِبَل رسول الله صلى الله عليه وآله إلا أن طريقة الأداء وظروفه التي رافقت تبليغ الحديث المذكور إلى الأمة هي التي ميزته عن سائر الأحاديث المقصودة في هذا المضمار...

وهكذا فأن هذا الحديث المبارك قد احتل مقامه المحمود لا في جدة أفكاره ومطالبه وإنما في الحيثيات التي رافقت أداءه وتبليغه لجماهير المسلمين في غدير خم في ظهيرة اليوم الثامن عشر من ذي الحجة الحرام عام ١٠هـ

وبمقدور الباحث في السيرة المطهرة أن يلتقي مع العديد من النصوص الشريفة سواء في الكتاب والعزيز أو سنة المعصومين عليهم السلام وهي تحمل مضامين حديث الغدير المبارك وإن كانت تؤدى بطريقة أقل إثارة من حديث الغدير الذي ظل صداه مدوياً عبر العصور، وهذه بعض النصوص الشريفة بهذا الصدد:

١ ـ حين تلقى رسول الله صلى الله عليه وآله أمر ربه الأعلى بضرورة دعوة عشيرته الأقربين في الأيام الأولى من دعوته المباركة:

﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾

Alefbalib.com | بازنشر مقالات و كتب | كتابخانه مجازى الفبا

فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾[1]، أمر الرسول ﷺ علياً عليه السلام أن يدعو رجال عشيرته الأقربين إلى طعام عنده، فحضروا دار رسول الله ﷺ وكانوا أربعين رجلاً.

وبعد أن تناولوا طعامهم، بادرهم رسول الله ﷺ بقوله: (يا بني عبد المطلب: إن الله بعثني إلى الخلق كافة، وبعثني إليكم خاصة، فقال:

﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾، وأنا أدعوكم إلى كلمتين خفيفتين على اللسان، ثقيلتين في الميزان، تملكون بهما العرب والعجم، وتنقاد لكم بهما الأمم، وتدخلون بهما الجنة، وتنجون بهما من النار: شهادة أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله، فمن يجيبني إلى هذا الأمر، ويؤازرني عليه، وعلى القيام به يكن أخي ووصيي ووزيري ووارثي وخليفتي من بعدي...)[2].

وبين تجاوزات أبي لهب على النبي ﷺ ودعم أبي طالب وتأييده للرسول ﷺ بقوله: (فامضِ لما أُمرت به، فوالله لا أزال أحوطك وأمنعك)[3].

أقول: وبين إساءات أبي لهب، وتأييد أبي طالب وإسناده للنبي ﷺ وقف علي بن أبي طالب عليه السلام، وكان أصغر الحاضرين سناً، فقال:

---

(١) سورة الشورى، الآيات ٢١٤ ـ ٢١٦.

(٢) أخرج الحديث كل من: ابن إسحاق، وابن جرير، وابن ابي حاتم، وابن مردويه، وابن نعيم، والبيهقي في سننه وفي دلائله، والثعلبي، والطبري في تفسيريهما لسورة الشعراء من تفسيريهما الكبيرين، وأخرجه الطبري في تاريخه: ج٢ في عدة طرق، السيرة الحلبية: ج١ ص٣٨١، والطحاوي والضياء المقدسي في مختاره، وأحمد ابن حنبل: ج١ ص١١١ وص١٥٩، والنسائي في خصائصه: ص٦، وكنز العمال: ج٦ الحديث رقم ٦٠٠٨، والمفيد في إرشاده في مناقب علي عليه السلام وغير هؤلاء كثير وكلهم أوردوه بألفاظ متقاربة، وللاستزاده يُراجع المراجعات للسيد شرف الدين: ص١٢٤ وما بعدها حيث استقصى مصادره.

(٣) الكامل لابن الأثير: ج٢ ص٢٤، وبحار الأنوار للشيخ المجلسي: ج١٨ ص١٦٤، وفقه السيرة للشيخ محمد الغزالي: ص١٠٢ ـ ١٠٣.

Alefbalib.com | بازنشر مقالات و کتب | کتابخانه مجازی الفبا

(أنا يا رسول الله أؤازرك على هذا الأمر)، فأمره رسول الله ﷺ بالجلوس ولما لم يجب رسول الله أحد، نهض علي عليه السلام تارة أخرى وأعلن، مؤازرته للنبي ﷺ، فأجلسه رسول الله ﷺ.

وأعاد الرسول ﷺ نداءه لقومه مجدداً، فلم يجبه أحد، وكان علي عليه السلام وحده يلبي النداء، ويجهر بالمؤازرة والنصرة، فلما يئس النبي ﷺ من استجابتهم التفت إلى ملبي دعوته الوحيد قائلاً:

(اجلس فأنت أخي، ووصي، ووزيري، ووارثي، وخليفتي من بعدي)[1]، ثم نهض القوم، وهم يخاطبون أبا طالب: (ليهنئك اليوم أن دخلت في دين ابن أخيك، فقد جعل ابنك أمير عليك)[2].

إن هذه الحادثة المسلمة، وما جرى على لسان رسول الله ﷺ فيها، بشأن علي عليه السلام تكشف بقوة ووضوح: إن التبليغ بإمامة علي عليه السلام وخلافته للنبي ﷺ في أمته قد رافق دعوة النبي ﷺ للتوحيد والنبوة، الأمر الذي يكشف عن أن هذه القضية من مسائل الإسلام الكبرى، ومحاوره المركزية التي لم تعد قضية تأريخية عادية بقدر ما تشكل إحدى قيم الإسلام الكبرى التي ينبغي على المسلمين أن يلتفتوا إليها بوعي عميق.

٢ ـ آية الولاية صدعت بمضمون حديث الغدير: من النصوص الكريمة التي صدعت بمضمون حديث الغدير قبل تبليغه من قبل رسول الله ﷺ لأمته كانت آية الولاية: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ

---

(١) أخرج الحديث وما مضى من فقراته كل من: البيهقي في سننه ودلائله والثعلبي والطبري. في تفسيرهما لسورة الشعراء في تفسيريهما الكبيرين، والطبري في تاريخه: ج٢ ص٢١٧، وابن الأثير في الكامل: ج٢ ص٢٢، والسيرة الحلبية: ج١ ص٣٨١، وابن حنبل في مسنده: ج١ ص١١١، وص١٥٩ والنسائي في الخصائص: ص٦، وكنز العمال: ج٦ رقم الحديث ٦٠٠٨، وغير هذه المصادر بألفاظ متقاربة.

(٢) المصدر السابق.

Alefbalib.com | بازنشر مقالات و كتب | كتابخانه مجازى الفبا

وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾[1].

فقد نزلت هذه الآية الكريمة مؤكدة أن الذين يلون أمر الناس وتصرفون بشؤونهم دون سواهم هم: الله جلّ جلاله الذي بيده الخلق والأمر ثم رسوله ﷺ ثم علي بن أبي طالب عليه السلام وحزب الله من البشر الواقفون تحت رايته دون سواهم هم الذين يتولون الله ورسوله وعلي بن أبي طالب.

بقي أن تتوضح مسألتان اثنتان هما:

أ ـ ما الدليل على أن المراد بالذين آمنوا هو علي عليه السلام مع أن اللفظة تفيد الجمع ظاهراً؟

ب ـ ما الدليل على أن المراد بالولي هنا هو الذي يلي أمر الناس ويتصرف في شؤونهم دون غيره، مع أن لفظ الولي لفظ مشترك، يحتمل عدة معان؟

وحول المسألة الأولى: نقول: إن نزول الآية في علي بن أبي طالب عليه السلام أمر مفروغ منه، فقد أجمع المفسرون على: أن سائلاً دخل مسجد النبي ﷺ يسأل المسلمين سد فاقته، فأشار علي عليه السلام إلى إصبعه وهو في حالة ركوع، فانتزع السائل خاتم علي عليه السلام من إصبعه، وهكذا تصدّق الإمام عليه السلام وهو راكع، فنزلت آية الولاية[2].

على أن الحادثة المذكورة تحمل معها تفصيلات تباين المفسرون والمؤرخون في نقلها نذكر منها ما يلي:

---

(١) سورة المائدة، الآيتان: ٥٥ ـ ٥٦.

(٢) تُراجع المصادر التالية: صحيح النسائي، أبو إسحاق الثعلبي في تفسيره، والبيضاوي في تفسيره، والطبرسي في تفسيره، وأبو البركات النسفي في تفسيره، والطبري في تفسيره، والواحدي في أسباب النزول، والنيسابوري في تفسيره، والشبلنجي في نور الأبصار، وابن حجر في صواعقه المحرقة، وأخطب خوارزم الموفق بن أحمد الحنفي في المناقب، وأعيان الشيعة للسيد الأمين: ج٢ ق١ ص١٣٠، والجمع بين الصحاح الستة في تفسير سورة المائدة والإمام القوشجي في مبحث الإمامة من شرح التجريد وغيرهم.

Alefbalib.com | بازنشر مقالات و کتب | کتابخانه مجازی الفبا

أخرج الإمام أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري الثعلبي المتوفى عام ٣٣٧ هـ في تفسيره الكبير عند تفسير هذه الآية بإسناده إلى أبي ذرّ الغفاري (رض) ما يلي: قال: (سمعت رسول الله ﷺ، بهاتين وإلا صُمتا، ورأيته بهاتين وإلا عميتا، يقول: علي قائد البررة، وقاتل الكفرة، منصور من نصره، مخذول من خذله، أما أني صليت مع رسول الله ﷺ ذات يوم، فسأل سائل في المسجد، فلم يعطهِ أحد شيئاً، وكان علي راكعاً فأومأ بخنصره إليه وكان يتختم بها، فأقبل السائل حتى أخذ الخاتم من خنصره، فتضرع النبي صلى الله عليه وآل وسلم إلى الله عز وجل يدعوه فقال: اللهم أن أخي موسى سألك (قال رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي واجعل لي وزيراً من أهلي هارون أخي أشدد به أزري وأشركه في أمري كي نسبحك كثيراً ونذكرك كثيراً إنك كنت بنا بصيراً) فأوحيت إليه ﴿قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ﴾ اللهم وإني عبدك ونبيك، فاشرح لي صدري ويسر لي أمري واجعل لي وزيراً من أهلي علياً أشدد به ظهري، قال أبو ذر: فوالله ما استتم رسول الله ﷺ الكلمة حتى هبط عليه الأمين جبرائيل بهذه الآية ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾[1].

٢ ـ أما ما أشكل حول لفظ ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ بأنها تُطلق على الجمع، فأن اللغة العربية قد ألفت هذا اللون من الإطلاق فكثيراً ما يُطلق لفظ الجمع ويراد به المفرد، تعظيماً لشأن المفرد المذكور، أو تهويلاً لفعله، وفي الكتاب العزيز مصاديق كثيرة لهذه الحالة نذكر منها:

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾﴾[2].

---

(١) نقلنا الحديث عن المراجعات: ص١٦١.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٧٣.

Alefbalib.com | بازنشر مقالات و کتب | کتابخانه مجازی الفبا

فبإجماع المفسرين إن القائل هو: نعيم بن مسعود الأشجعي دون غيره فأطلق الله عز وجل عليه لفظ، الناس مع أنه رجل واحد[1].

وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَٱتَّقُواْ﴾[2] وكان الذي يبسط يده ليفتك بالنبي ﷺ رجل واحد[3].

وفي آية المباهلة ما يفيد هذا المعنى:

﴿فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ﴾[4].

فقد عبّر بلفظ الجمع عن النساء، مع أن الحاضر من النساء في مباهلة النبي ﷺ للنصارى كانت فاطمة بنت رسول الله ﷺ دون سواها[5].

ب ـ أما كون لفظ الولي مشتركاً فهو صحيح من حيث المبدأ حيث ترد كلمة الولي بمعنى: المحب والصديق والنصير، والحليف والأولى بالتصرف كالحاكم الشرعي وولي القاصر، وولي المرأة وغير ذلك، إلا أن القرائن تفيد أن لفظ الولي في آية الولاية ليس المحب ولا النصير ولا الصديق ولا أمثال ذلك، وإنما قصدت الآية من الولاية التي حصرتها لله ولرسوله ولعلي عليه السلام دون سواهم هي: ولاية شؤون المسلمين والتصرف بأمورهم وليس سوى ذلك[6].

---

(١) تفسير سيد شبّر: ص١٠٤.

(٢) سورة المائدة، الآية: ١١.

(٣) تفسير مجمع البيان: ج٦ ص١٦٩.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ٦١.

(٥) يُراجع تفسير الزمخشري الكشاف: ج١ ص٣٦٨، كما يُراجع الفخر الرازي، وصحيح مسلم ومسند أحمد وغيرهم.

(٦) بحث شيخ الطائفة المرحوم أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (رض) هذا الموضوع من الناحية اللغوية في ضوء آراء فقهاء اللغة، يُراجع تلخيص الشافي: ج٢ ص١٨٢ .ص٣٠٥.

Alefbalib.com | بازنشر مقالات و کتب | کتابخانه مجازی الفبا

فإن النصرة والمحبة، والصداقة غير مقصورة على أحد من المؤمنين والمسلمين دون أحد، يقول تعالى متحدثاً عن ولاية المؤمنين لبعضهم البعض، وهي ولاية المحبة والنصرة ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ...﴾[1].

ولذا فأن بعد تقرير الله تعالى لحالة المودة والنصرة بين عموم المؤمنين في آياته وتعليماته فليس من المعقول أن نفسر آية الولاية بهذا المعنى، لاسيما وأن مطلع الآية قد ارتبط بأداة الحصر (إنما) مما يجعل من غير المناسب في منهج القرآن الكريم ـ وهو معجزة بيانية ـ أن يستعمل أداة الحصر ثم يقصد شيئاً بعد إيرادها قد شاءه لعموم المسلمين.

إن مجرد الاحتمال من هذا القبيل يسيء لبلاغة القرآن الكريم ومقاصده الرسالية معاً.

هذا ومن الجدير ذكره أن بعض الأحاديث الشريفة التي حملت لفظ (الولي) تؤكد ما ذهبنا إليه:

فقد أخرج أحمد بن حنبل في مسنده عن سعيد بن جبير عن بريدة قال: غزوت مع علي اليمن، فرأيت منه جفوة، فلما تقدمت على رسول الله ﷺ، ذكرت علياً فتنقصته، فرأيت وجه رسول الله يتغير، فقال: يا بريدة: ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قلت: بلى يا رسول الله، قال: من كنت مولاه، فعلي مولاه)[2].

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٧١.

(٢) نقلاً عن المراجعات، السيد شرف الدين: ص١٥٨ بأسانيده وأخرج الحديث المذكور الحاكم في المستدرك: ج٣ ص١١٠، وأخرجه الذهبي في تلخيصه لمسلم وصححاه على شرط مسلم.

Alefbalib.com | بازنشر مقالات و کتب | کتابخانه مجازی الفبا

٣ ـ وهذه مجموعة أخرى من الأحاديث التي حمل مضمونها مضمون حديث الغدير:

أخرج الحافظ ابن المغازلي الشافعي المتوفى عام ٤٨٣هـ بإسناده عن عبد الله بن بريدة قال: قال رسول الله ﷺ: (لكل نبي وصي ووارث، وإن وصيي ووارثي علي بن أبي طالب)[١].

وأخرج الحاكم في مستدرك الصحيحين والذهبي في تلخيصه معترفاً بصحته والنسائي في خصائص علي عليه السلام وأحمد بن حنبل في مسنده وغيرهم من أصحاب السفن بطرق مجمع على صحتها عن عمر بن ميمون قال:

(إني لجالس عند ابن عباس إذ أتاه تسعة رهط، فقالوا، يا ابن عباس إما أن تقوم معنا، وإما أن تخلو بنا من بين هؤلاء، فقال ابن عباس: بل أنا أقوم معكم، قال: وهو يومئذ صحيح قبل أن يعمى، قال: فابتدأوا فتحدثوا، فلا ندري ما قالوا، قال: فجاء ينفض ثوبه ويقول: أف وتف، وقعوا في رجل له بضع عشرة فضائل ليس لأحد غيره، وقعوا في رجل قال له النبي ﷺ لأبعثن رجلاً لا يخزيه الله أبداً، يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، فاستشرف لها من استشرف، فقال: أين علي؟ فجاء وهو أرمد لا يكاد أن يبصر، فنفث في عينيه، ثم هز الراية ثلاثاً، فأعطاها إياه، فجاء علي بصفية بنت حيي، قال ابن عباس: ثم بعث رسول الله ﷺ فلاناً بسورة التوبة، فبعث علياً خلفه، فأخذها منه، وقال: لا يذهب بها إلا رجل مني

---

(١) مناقب علي بن أبي طالب عليه السلام للفقيه الحافظ أبي الحسن علي بن محمد بن محمد الواسطي الجلابي الشافعي الشهير بابن المغازلي، ت ٤٨٣هـ، ط٢، ١٤٠٢هـ: ص٢١٠. كما أخرج الحديث الخطيب الخوارزمي الحنفي في المناقب بالإسناد عن شريك بعين السند واللفظ، وأخرجه المحب الطبري في الذخائر والرياض النضرة: ج٢ ص١٧٨، وقال أخرجه الحافظ أبو القاسم البغوي في معجم الصحابة، وأخرجه الكنجي الشافعي في الكفاية.

Alefbalib.com | بازنشر مقالات و کتب | کتابخانه مجازی الفبا

وأنا منه، قال ابن عباس: وقال النبي ﷺ لبني عمه: أيكم يواليني في الدنيا والآخرة؟ قال: وعلي جالس معه فأبوا، فقال علي: أنا أواليك في الدنيا والآخرة، قال: أنت وليي في الدنيا والآخرة قال فتركه، ثم قال: أيكم يواليني في الدنيا والآخرة؟ فأبوا، وقال علي: أنا أواليك في الدنيا والآخرة، فقال لعلي: أنت وليي في الدنيا والآخرة، قال ابن عباس وكان علي أول من آمن من الناس بعد خديجة، قال: وأخذ رسول الله ﷺ ثوبه، فوضعه على علي وفاطمة وحسن وحسين، وقال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾، قال: وشرى علي نفسه فلبس ثوب النبي، ثم نام مكانه وكان المشركون يرمونه، إلى أن قال: وخرج رسول الله في غزوة تبوك وخرج الناس معه فقال له علي: أخرج معك؟ فقال ﷺ: لا، فبكى علي، فقال له رسول الله ﷺ: أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه ليس بعدي نبي؟ أنه لا ينبغي أذهب إلا وأنت خليفتي، قال له رسول الله ﷺ: أنت ولي كل مؤمن بعدي ومؤمنة، قال ابن عباس: وسد رسول الله أبواب المسجد غير باب علي، فكان يدخل المسجد جنباً وهو طريقه ليس له طريق غيره، قال: وقال رسول الله ﷺ: من كنت مولاه، فأن مولاه علي، الحديث، قال الحاكم بعد إخراجه هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه بهذه السياقة، قلت: وأخرجه الذهبي في تلخيصه، ثم قال: صحيح)[1].

هذه بعض النصوص الصريحة بإمامة علي بن أبي طالب عليه السلام وخلافته بعد النبي ﷺ - وغيرها كثير بمضمونها - وهي تحمل نفس المضمون التي حملها حديث الغدير أوردناها للعظة والتدبر.

---

(١) أخرجه شرف الدين في المراجعات: ص١٣٠ - ١٣١ بإسناده عن النسائي في الخصائص وأحمد في المسند والحاكم في المستدرك: ص١٢٣، والذهبي في تلخيص مسلم وغيرهم.

Alefbalib.com | بازنشر مقالات و کتب | کتابخانه مجازی الفبا

٥. كيف تجاوز المسلمون وصية الرسول ﷺ؟

علمنا من خلال الأبحاث السابقة أن حديث الغدير يتألق بين نصوص أخرى مماثلة لأسباب موضوعية أحاطت بالحديث المذكور: منها ما يتعلق بالدعم القرآني الصريح قبل تبليغ الرسول ﷺ بمضمون حديث الغدير وبعده، ومنها ما يتعلق بالأجواء النفسية للمسلمين الذين شهدوا تفصيلات الحادث إضافة إلى أمور أخرى أشرنا إليها.

بيد أن الحقيقة التي تبقى مجسدة صريحة هي أن النبي الخاتم ﷺ كان يخطط لرسالته ودعوته بالشكل الذي يضمن استمراريتها، واستقامة مبادئها، وصونها من الانحراف، وكان مشروعه المتبنى في ذلك أن يكون علي بن أبي طالب عليه السلام وصيه وخليفته لإنجاز هذه المهمة، والنصوص التي أوردناها بهذا الخصوص صريحة في فرض هذه الحقيقة، دون أدنى ريب، والسؤال الذي يفرض نفسه هنا كيف عدل الناس عن علي عليه السلام رغم تأكيد الوصية بإمامته؟ بل ينبغي أن يكون السؤال: كيف عدل الناس عن وحي الله تعالى، وحكم رسول الله ﷺ، وعملوا بآرائهم وأهوائهم.

وعند البحث عن الجواب المناسب لهذا لابد أن نضع في حسابنا أن انقلاب الناس وتخليهم عما أراده الله عز وجل يُعد من المسائل المدهشة لاسيما ونحن نعلم المستوى الذي يُنقل عن الصحابة في تدينهم وطاعتهم إضافة إلى قرب عهدهم بالنبي ﷺ!

Alefbalib.com | بازنشر مقالات و كتب | كتابخانه مجازى الفبا

بيد أن الدهشة يمكن أن تزول إذا وضعنا في حسابنا الحقيقتين التاليتين معاً:

أ ـ إن مخالفة وصية النبي ﷺ في الخليفة الذي شخصه للأمة، والقائد الذي يلي أمورهم بعد رحيله ﷺ ليست أول مخالفة يقترفها الصحابة فهناك العديد من المخالفات البشعة التي ارتكبها الصحابة، والرسول ﷺ بينهم، أما بعد رحيله فأمر لا نتحدث حوله!

نذكر هنا طرفاً من تلك المخالفات البشعة المرتكبة بحق النبي ﷺ:

ـ في معركة أحد أمر رسول الله ﷺ الرماة من جيشه أن يلتزموا قمة الجبل، ولا يفارقونها أبداً، فلما اشتبك المسلمون والمشركون كانت الغلبة في أول الأمر للمسلمين، فغنم المسلمون بعض متاعهم، فلما رأى الرماة الغنائم تخلوا عن مواقعهم طلباً للمتاع، وهكذا عصوا رسول الله ﷺ فتغير مسار الحرب لصالح مشركي قريش، وانكسر جيش المسلمين، ومسهم القرح، وخسروا العشرات من المجاهدين، وأصيب النبي ﷺ، وهُزِمَ المسلمون[1].

ـ في معركة حنين حين فوجيء جيش المسلمين بنبال هوازن وحلفائها ولّى المسلمون الأدبار وكانوا اثني عشر ألفاً فآثروا السلامة والعافية على الحياة الباقية وفروا عن رسول الله ﷺ ولم يبقَ معه غير سبعة: علي بن أبي طالب والعباس والفضل بن العباس، وربيعة وأبو سفيان بن الحرث بن عبد المطلب وأسامة بن زيد وعبيدة بن أم أيمن أو أيمن بن أم أيمن، رغم دعوة رسول الله لهم: (هلموا إلي أنا رسول الله، أنا محمد بن عبد الله)[2].

ـ لما فتح الله تعالى مكة المكرمة للمسلمين أعلن النبي ﷺ فيما أعلن: من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن ألقى السلاح فهو آمن ومن أغلق بابه

---

(١) الكامل لابن الأثير: ج٢ ص١٥٣، ط بيروت ١٩٦٥م.

(٢) نفس المصدر: ص٢٦٣، والطرائف للسيد ابن طاووس (رض): ص٣٨٤.

Alefbalib.com | بازنشر مقالات و کتب | کتابخانه مجازی الفبا

فهو آمن، فقالت الأنصار بعضهم لبعض: أما الرجل، فأدركته رغبة في قومه، ورأفة بعشيرته، وفي رواية أخرى، أما الرجل فقد أخذته رأفة بعشيرته، ورغبة في قرابته[1].

انظر كيف يتصور الأنصار مستوى النبيﷺ في مقاييسه حتى ينزلوه إلى مستوى الإنسان العادي في التأثر بالعصبيات الإقليمية والعشائرية!.

ـ لما اشتد المرض على النبيﷺ قال للحاضرين من أصحابه: هلم أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده، فقال عمر: إن النبي قد غلب عليه الوجع، وعندكم القرآن، حسبنا كتاب الله، فاختلف أهل البيت ـ الحاضرون في البيت ـ فاختصموا، منهم من يقول: قربوا يكتب لكم النبي كتاباً لا تضلوا بعده، ومنهم من يقول ما قال عمر، فلما أكثر اللغو والاختلاف عند النبي قال لهم رسول اللهﷺ: قوموا . . .)[2].

على أن بعض المصادر تفيد أن عمر بن الخطاب قال: إن النبي يهجر، خصوصاً تلك المصادر التي تذكر القول ولم تسم القائل[3].

وهكذا منع الصحابة رسولهمﷺ من كتابة الكتاب الذي أراد أن يكتبه لهم لكي لا يضلوا بعده وشككوا بعصمته.

ـ سرية أسامة بن زيد ومخالفة الصحابة للرسولﷺ: وفي أخر أيامه عقد رسول اللهﷺ لواء لأسامة بن زيد وأمره بالرحيل إلى قتال الروم، ودعا كافة الصحابة من المهاجرين والأنصار للالتحاق بجيش أسامة، وقد ضم الجيش كبار الصحابة منهم: أبو بكر وعمر وأبو عبيدة وسعد بن أبي وقاص وغيرهم وكان ذلك لأربع ليال بقين (من صفر سنة إحدى عشرة للهجرة، فلما كان من الغد دعا أسامة، فقال له: سر إلى موضع قتل أبيك فأوطئهم

---

(١) صحيح مسلم: حج٣ ص١٠٦ ـ ١٠٨ كتاب الجهاد.
(٢) صحيح البخاري من باب قول المريض قوموا عني من كتاب المرضى: ص٥ من ج٤.
(٣) نفس المصدر: ج٢ ص١١٨، باب جوائز الوفد، وصيح مسلم من أخر كتاب الوصية.

Alefbalib.com | بازنشر مقالات و كتب | كتابخانه مجازى الفبا

الخيل، فقد وليتك هذا الجيش فأغز على أهل أُبنى[1] وحرق عليهم، وأسرع السير لتسبق الأخبار، فإن أظفرك الله عليهم فأقل اللبث فيهم، وخذ معك الأدلاء، وقدم العيون والطلائع معك، فلما كان اليوم الثامن والعشرين من صفر، بدأ به ﷺ مرض الموت فحم وصدع، فلما أصبح يوم التاسع والعشرين ووجدهم متثاقلين خرج إليهم فحضهم على السير، وعقد ﷺ اللواء لأسامة، بيده الشريفة تحريكاً لحميتهم، وإرهافاً لعزيمتهم، ثم قال: أغز بسم الله وفي سبيل الله، وقاتل من كفر بالله، فخرج بلوائه معقوداً، فدفعه إلى بريدة، وعسكر بالجرف، ثم تثاقوا هناك فلم يبرحوا، مع ما وعوه ورأوه من النصوص الصريحة في وجوب إسراعهم كقوله ﷺ: أغز صباحاً على أهل أبنى، وقوله: وأسرع السير لتسبق الأخبار، إلى كثير من أمثال هذه الأوامر التي لم تعملوا بها في تلك السرية، وطعن قوم منهم في تأمير أسامة كما طعنوا من قبل في تأمير أبيه، وقالوا في ذلك فأكثروا مع ما شاهدوه من عهد النبي له بالإمارة، وقوله ﷺ له يومئذ: فقد وليتك هذا الجيش، ورأوه يعقد له لواء الإمارة - وهو محموم - بيده الشريفة، فلم يمنعهم ذلك من الطعن في تأميره حتى غضب ﷺ، من طعنهم، غضباً شديداً، فخرج معصب الرأس[2]، مدثراً بقطيفته، محموماً ألماً، وكان ذلك يوم السبت لعشر خلون من ربيع الأول قبل وفاته بيومين، فصعد المنبر فحمد

---

(١) أبنى، بضم الهمزة وسكون الباء ثم النون مفتوحة بعدها ألف مقصور: ناحية بالبلقاء من أرض سوريا بين عسقلان والرملة، وهي قرب مؤتة التي استشهد عندها زيد بن حارثة وجعفر بن أبي طالب ذو الجناحين في الجنة ﷺ.

(٢) كل من ذكر هذه السرية من المحدثين وأهل السير والأخبار، نقل طعنهم في تأمير أسامة وأنه ﷺ غضب غضباً شديداً، فخرج على الكيفية التي ذكرناها، فخطب الخطبة، التي أوردناها، فراجع سرية أسامة في طبقات ابن سعد، وسيرتي الحلبي والدحلاني، وغيرها من المؤلفات في هذا الموضوع. هذا الهامش ذكره شرف الدين في المراجعات: ص٢٨٥.

Alefbalib.com | بازنشر مقالات و کتب | کتابخانه مجازی الفبا

الله وأثنى عليه، ثم قال ـ فيما أجمع أهل الأخبار على نقله، واتفق أولوا العلم على صدوره: أيها الناس ما مقالة بلغتني عن بعضكم في تأميري أسامة، ولئن طعنتم في تأميري أسامة لقد طعنتم في تأميري أباه من قبله، وأيم الله إنه كان لخليقاً بالإمارة، وأن ابنه من بعده لخليق بها، وحضهم على المبادرة إلى السير، فجعلوا يودعونه ويخرجون إلى العسكر بالجرف وهو يحضهم على التعجيل، ثم ثقل في مرضه فجعل يقول: جهزوا جيش أسامة، وأنفذوا جيش أسامة، أرسلوا بعث أسامة، يكرر ذلك وهم متثاقلون، فلما كان يوم الاثنين الثاني عشر من ربيع الأول دخل أسامة من معسكره على النبي ﷺ، فأمره بالسير قائلاً له: أغد على بركة الله تعالى، فودعه وخرج إلى المعسكر، ثم رجع ومعه عمر وأبو عبيدة، فانتهوا إليه وهو يجود بنفسه، فتوفي في ذلك اليوم، فرجع الجيش باللواء إلى المدينة الطيبة)[1].

ـ ومن مفارقات الصحابة أن النبي ﷺ كان يصلي الجمعة، فأقبلت عير تحمل بضاعة إلى المدينة، فضربت طبلاً ـ كعادتهم ـ للإعلام، ففزع الصحابة ولم يبق مع النبي ﷺ وهو قائم في صلاته ـ أو خطبة الجمعة ـ غير اثني عشر رجلاً فنزل قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿١١﴾﴾[2].

أرأيت إلى أي حد يصل مستوى الصحابة من المخالفة الصريحة لرسول الله ﷺ؟ على أن في تاريخ المسلمين أضعافاً لهذه المصاديق التي ذكرنا ومن هنا فهل يرد في ذهن أحد بعد هذه الحقائق الناصعة أن لا يكون

---

(١) الطبري في التاريخ: ج٢ (أحداث سنة إحدى عشرة) ص٤٢٩ وما بعدها، والمراجعات للسيد شرف الدين: ص٢٨٤ ـ ٢٨٥ نقلاً عن مصادره: طبقات ابن سعد والسيرة الدحلانية وابن الأثير والسيرة الحلبية وغيرها. واللفظ أخذناه نصاً من المراجعات: ص٢٨٤ ـ ٢٨٥.

(٢) سورة الجمعة، الآية: ١١.

Alefbalib.com | بازنشر مقالات و کتب | کتابخانه مجازی الفبا

الصحابة قد نقضوا عهد النبي ﷺ في تعيينه لعلي بن أبي طالب عليه السلام إماماً للمسلمين بعد وفاته وهم الذين ألفوا مخالفته في حياته؟

ب ـ والحقيقة الثانية التي ينبغي أن تُدرك: أن قريشاً هي التي أقصت الخلافة عن علي عليه السلام، لحقد دفين تحمله قلوب القرشيين على علي عليه السلام وبني هاشم قاطبة.

فقريش قاومت الدعوة بالنفس والنفيس، وشنت العدوان تلو العدوان لإطفاء نور الله تعالى ثم لم تدخل الإسلام إلا تحت ظلال السيوف بعد فتح مكة فهل بمقدور عاقل أن يتصور أن قريشاً التي فقدت الآباء والأبناء والإخوان بسيف علي عليه السلام وبني هاشم في حروب دامية ابتداء من بدر الكبرى إلى فتح مكة يمكن أن تنسى خسائرها وثأرها من علي عليه السلام وبني هاشم قاطبة فتأتي طائعة لإمامته بمجرد أن النبي ﷺ بلغهم بان علياً إمامهم بعد رحيله ﷺ! لاسيما والإسلام لم يتمكن من نفوسهم، بل هل نستطيع أن نتصور أن إنساناً قتلت أخاه أو وترته بابنه ثم يأتي بعد أيام طائعاً لك عارفاً بحقك؟

إن هذه الحقيقة المرة هي التي تحكم علاقة علي عليه السلام وبني هاشم مع قريش حيث وُتِرت في حروبها مع النبي ﷺ فلم تذق مرارة الهزيمة إلا تحت لوائهم أو تحت ظل سيوفهم، ومن أجل ذلك فأن قريشاً ظلت واجدة على علي عليه السلام في حياة الرسول ﷺ وبعد وفاته، وفي التاريخ حوادث شهيرة تنم عن الموقف القريشي من علي عليه السلام تأتي على شكل شكاوى شخصية أو جماعية عند رسول الله ﷺ من علي عليه السلام[1].

وقد كان علي عليه السلام مدركاً مخاطر هذا الموقف القريشي الباغي على مسيرة الإسلام والأمة، ولذا كان طالما يبث شكواه إلى الله العزيز الجبار من قريش: (اللهم إني أستعذيك على قريش، ومن أعانهم، فأنهم قطعوا

---

(١) المراجعات: ص١٥٣ ـ ١٥٦ بأسانيده.

Alefbalib.com | بازنشر مقالات و کتب | کتابخانه مجازی الفبا

رحمي، وصغروا عظيم منزلتي، وأجمعوا على منازعتي أمراً هو لي)[1]، (اللهم إني أستعذيك على قريش، فإنهم قطعوا رحمي، وغصبوني حقي، وأجمعوا على منازعتي أمراً كنت أولى به)[2].

ويقول عليه السلام في مقام آخر: (فجزت قريشاً عني الجوازي فقد قطعوا رحمي وسلبوني سلطان ابن أمي)[3].

ويتحدث بمرارة عن المأساة التي سببها الموقف القريشي: (فنظرت فإذا ليس لي معي إلا أهل بيتي، فضننت بهم عن الموت، وأغضيت على القذى، وشربت على الشجى، وصبرت على أخذ الكظم، وعلى أمرّ من طعم العلقم)[4].

ويشهد عمر بن الخطاب على هذا الموقف القريشي من علي وبني هاشم قاطبة، ولكن عندما استتب الأمر لقريش، فقد جرى بين الخليفة عمر وعبد الله بن العباس حوار معبّر يدل على الموقف القريشي الرسمي المُبيّت من أهل البيت عليهم السلام بعد رحيل عميدهم الرسول صلى الله عليه وآله.

عمر بن الخطاب: (يا ابن عباس أتدري ما منع قومكم منكم، بعد محمد صلى الله عليه وسلم؟ فكرهت أن أجيبه فقلت: إن لم أكن أدري فان أمير المؤمنين يدريني! فقال عمر: كرهوا أن يجمعوا لكم النبوة والخلافة فتبجحوا على قومكم بجحاً بجحاً، فاختارت قريش لأنفسها فأصابت ووفقت، فقلت: يا أمير المؤمنين، إن تأذن لي في الكلام وتَمطْ عني الغضب تكلمت، قال: تكلم، قلت: أما قولك يا أمير المؤمنين: اختارت

---

(١) نهج البلاغة: خطبة ١٧٢.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج٣ ـ ج٤ ص١٠٤، ط٣، ١٩٦٥.

(٣) نهج البلاغة: كتابه رقم ٣٦، سلطان ابن أمي: سلطان محمد صلى الله عليه وآله حيث كانت فاطمة بنت أسد والدة علي عليه السلام قد ربّت النبي صلى الله عليه وآله وكان يُسميها أمي ويقول: (فاطمة أمي بعد أمي).

(٤) نفس المصدر السابق: خطبة ٢٦.

Alefbalib.com | بازنشر مقالات و کتب | کتابخانه مجازی الفبا

قريش لأنفسها فأصابت ووفقت، فلو أن قريشاً اختارت لأنفسها حين اختار الله لها لكان الصواب بيدها غير مردود ولا محسود، وأما قولك: إنهم أبوا أن تكون لنا النبوة والخلافة فأن الله عز وجل، وصف قوماً بالكراهة فقال: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾[1]، فقال عمر: هيهات والله يا ابن عباس قد كانت تبلغني عنك أشياء كنت أكره أن أقرك عليها فتزيل منزلتك مني، فقلت: ما هي يا أمير المؤمنين؟ فإن كانت حقاً فما ينبغي أن تزيل منزلتي منك، وإن كانت باطلاً فمثلي أماط الباطل عن نفسه، فقال عمر: بلغني أنك تقول: إنما صرفوها عنك حسداً وبغياً وظلماً، فقلت: أما قولك يا أمير المؤمنين: ظلماً، فقد تبين للجاهل والحليم، وأما قولك: حسداً، فأن آدم حسد ونحن ولده المحسدون، فقال عمر: هيهات، هيهات، أبت والله قلوبكم يا بني هاشم إلا حسداً لا يزول، فقلت: مهلاً يا أمير المؤمنين، لا تصف قلوب قوم أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً بالحسد والغش، فأن قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم، من قلوب بني هاشم، فقال عمر: إليك عني يا ابن عباس، فقلت: أفعل، فلما ذهبت لأقوم استحيا مني فقال: يا ابن عباس مكانك! فوالله إني لراع لحقك محب لما سرك، فقلت: يا أمير المؤمنين، إن لي عليك حقاً وعلى كل مسلم، فمن حفظه فحظه أصاب، ومن أضاعه فحظه أخطأ ثم قام فمضى)[2].

إن الإحاطة بهذه الأمور وأمثالها يجعل من اليسير أن يدرك المسلم لماذا لوي عنق التاريخ باتجاه غير الاتجاه الذي أراده رسول الله ﷺ، وأن من يستطلع الكلمات والتصريحات التي بثها الكثير من القريشيين بعد فتح مكة يجد روح الحقد والتصميم على الثأر عند أول فرصة، ولعل كلمة جويرية بنت أبي جهل التي قالتها بعد إتمام فتح مكة المكرمة خير تعبير عن

---

(١) سورة محمد، الآية: ٩.

(٢) الكامل في التاريخ لابن الأثير: ج٣ ص٦٣ ـ ٦٥.

Alefbalib.com | بازنشر مقالات و کتب | کتابخانه مجازی الفبا

الروح القريشية التي تنطوي عليها النفوس، قالت جويرية بعد إتمام فتح مكة: (أما نحن فسنصلي، ولكنا لا نحب من قتل الأحبة)[1].

نعم ستدخل قريش الإسلام مُكرهة، وربما تلتزم بكثير من ضوابطه ولكن الهوة النفسية ستظل واسعة بين بني هاشم وقريش، ولن تردم حتى تتغير النفوس القريشية الأمر الذي لم يتسنَّ لقريش، ذلك لقصر الفترة بين فتح مكة ووفاة الرسول ﷺ حيث توفي رسول الله ﷺ بعد الفتح بحوالي ثلاثين شهراً.

وهكذا ظلت قريش من خلال ذوي الرأي والتأثير والمواقع من رجالها تتحين الفرص للثأر من بني هاشم بأي شكل من الأشكال، كما عبر الخليفة عمر في حواره مع ابن عباس[2].

ومن هنا فأننا قد نسلم بالرواية التي ترى أن بعض رجالات قريش كانوا قد عقدوا اجتماعاً سرياً في حياة رسول الله ﷺ وبعد خطبة الغدير، تعاقدوا فيه على إبعاد علي عليه السلام وبني هاشم عن الخلافة بأي شكل من الأشكال[3]، فأن الأرضية مناسبة جداً لتحركات من هذا القبيل في ضوء الحالة التي تعيشها قريش حيال أهل بيت النبي ﷺ وعشيرته الأقربين، وهكذا فأن الموقف من علي وبني هاشم كان يشكل حالة (فكرية) ونفسية عميقة، لذا فلو قدر أن السقيفة المعروفة لم تُعقد ولم تفرز ما أفرزت، لعبر الموقف القريشي عن نفسه، بأساليب أخرى بل وبرجال آخرين.

---

(١) نفس المصدر: ج٢ ص٢٥٤.

(٢) روى حوار الخليفة عمر مع ابن عباس المذكور أعلاه غير ابن الأثير في الكامل كل من: الطبري في تاريخه: ج٤ ص٢٢٣، ط دار المعارف بمصر، وج٢ ص٢٨٩ في طبعة أخرى. كما رواه ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة: ج٣ ص١٠٧، ط١ بمصر، وذكرته مصادر أخرى.

(٣) تلخيص الشافي، الشيخ أبو جعفر الطوسي (رض) المتوفى ٤٦٠ هـ: ج٢ ٩١ ـ ٩٤، ط٣، ١٩٧٤م، تعليق السيد حسين بحر العلوم.

Alefbalib.com | بازنشر مقالات و كتب | كتابخانه مجازى الفبا

٦ ـ أصوات جهرت بالمعارضة

ورغم التصميم القريشي على إقصاء علي بن أبي طالب عليه السلام وبني هاشم عموماً عن موقعهم الطبيعي في الأمة ـ كما لاحظنا ـ فان هذا الموقف لم ينفرد في ساحة المهاجرين والأنصار.

فقد تعالت أصوات جمع من الصحابة تستنكر عملية تجاوز النص النبوي على علي عليه السلام فقد حفظ التاريخ ـ رغم ظلمه وعدم إنصافه ـ قائمة بأسماء الصحابة الذين عارضوا عملية إقصاء الإمام الحق ومنعه عن إدارة شؤون الأمة نذكر منهم:

خالد بن سعيد بن العاص من بني أمية، وسلمان الفارسي، وأبو ذر الغفاري، والمقداد بن الأسود الكندي، وعمار بن ياسر، وبريدة الأسلمي، والزبير، وهؤلاء جميعاً من المهاجرين.

ومن الأنصار: أبو الهيثم ابن التيهان، وسهل وعثمان ابنا حنيف، وخزيمة بن ثابت ذو الشهادتين، وأبي بن كعب، وأبو أيوب الأنصاري.

هذا إضافة إلى بني هاشم قاطبة[1].

---

(١) تلخيص الشافي، الشيخ الطوسي: ج٢ ص١٢١، وج٣ ص٤٦ بإسناده إلى أبي الفداء الأيوبي في كتابه (المختصر في أخبار البشر) والاحتجاج للشيخ الطبرسي على أن المصدر الأول ذكر أسماء لم يذكرها المصدر الثاني منها: البراء بن عازب، وعتيبة ابن أبي لهب، وأبو سفيان وأمثالهم. كما ذكر ذلك ابن طاووس الحلي في اليقين في إمرة أمير المؤمنين عليه السلام، ط النجف ١٩٥٠: ص١٠٨ ـ ١٠٩، نقلاً عن الطبري صاحب التاريخ في كتابه مناقب أهل البيت عليهم السلام.

Alefbalib.com | بازنشر مقالات و كتب | كتابخانه مجازى الفبا

فقد عارض البعض أثناء اجتماع السقيفة، واعترض آخرون في مسجد النبي ﷺ وألقوا الحجة وذكّروا ببعض النصوص الصريحة بإمامة علي عليه السلام.

أما الإمام علي عليه السلام، فقد اعترض مراراً بالطريقة التي لا تؤدي إلى فتنة وتمزق الجماعة الإسلامية بسبب الظروف الحرجة التي مرت بها الأمة بعد النبي ﷺ من ظهور أدعياء النبوة، وارتداد الأعراب، وتألب الروم وإصرار قريش على تنفيذ خطتها مهما كان الثمن!

وقد صرّح الإمام عليه السلام عن أسباب سكوته عن حقه مرة فقال:

(فما راعني إلا انثيال الناس على فلان يبايعونه، فأمسكت يدي حتى رأيت راجعة الناس قد رجعت عن الإسلام، يدعون إلى محق دين محمد ﷺ - فخشيت إن لم أنصر الإسلام وأهله أن أرى فيه ثلماً أو هدماً تكون المصيبة به عليّ أعظم من فوت ولايتكم التي إنما هي متاع أيام قلائل .. فنهضت في تلك الأحداث حتى زاح الباطل وزهق، واطمأن الدين وتنهنه)[1].

(١) نهج البلاغة، كتابه رقم ٦٢: ص٤٥١.

Alefbalib.com | بازنشر مقالات و کتب | کتابخانه مجازی الفبا

٧ ـ هل يشكّل أمر الغدير حدثاً تاريخياً نصب؟

بقي علينا أن نتحدث عن القيمة العملية عند البحث عن حديث الغدير وأمثاله في هذه المرحلة أو غيرها، فهل يشكل هذا الحدث قضية من قضايا التاريخ الإسلامي التي تجاوزها الزمن؟ أم أنها لا تزال تمتلك فعلاً حضارياً هاماً في مسيرة الأمة الإسلامية؟

إن الإجابة على السؤالين المذكورين يتطلب الإلمام بأطراف هذه القضية من جوانبها المختلفة:

يخيل لبعض الناس أن البحث حول الإمامة الشرعية بعد وفاة رسول الله محمد ﷺ يشكّل عملاً قليل الأهمية من الناحية الفكرية والحضارية في مسيرة المسلمين، لأنه في رؤية هذا البعض حالة تَرَفيّة إذ هو دراسة تاريخية في أحسن الأحوال لدى هذا البعض!!

ومن أجل ذلك فأن البحث في هذه القضية (قضية الإمامة بعد النبي ﷺ) تتطلب فيما تتطلب: التعريف بأهمية هذا البحث من ناحية الدلالة والآثار الإيجابية المستمرة في دنيا المسلمين وأخراهم، الأمر الذي نحرص على بلورته في هذا البحث إن شاء الله تعالى.

فمما لا يرتاب فيه مسلم عاقل أن رسول الله ﷺ قد خطط لمستقبل دعوته وأمته انطلاقاً من شعوره بالمسؤولية الرسولية وشدة حرصه على

Alefbalib.com | بازنشر مقالات و كتب | كتابخانه مجازى الفبا

الرسالة والأمة، فهو لم يرحل عن هذه الدنيا إلا بعد أن أوضح معالم الطريق للأمة ورسم خريطة المسير لها، إلا أن المسلمين يتفاوتون في تحديدهم للخطة التي وضعها النبي الخاتمﷺ، فأن فريقاً من المسلمين يذهب إلى القول بان التمسك بكتاب الله عز وجل وحده بعد رحيل النبيﷺ هو الذي يحدد معالم الطريق لمسيرة المسلمين، ولعل هذا التصور هو الذي أملى على بعض أصحابه ـ إذا أُحسِنَ الظن ـ أن يمنعوا حتى من تدوين سنة رسول اللهﷺ وتعاملوا مع مدونيها من الصحابة بالعنف، أقله تمزيق الصحف وإتلاف المدونات التي حملت السنة المطهرة وكان أبو بكر وعمر بن الخطاب (رض) على رأس أصحاب هذا المنهج[1].

ذكر ابن سعد في طبقاته: (إن الرسول عندما حضرته الوفاة، وكان معه في البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب، قال: هلموا أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده، فقال عمر: إن رسول الله قد غلبه الوجع، وعندكم القرآن، حسبنا كتاب الله، فاختلف أهل البيت (يعني الحاضرون) واختصموا، فلما كثر اللغط، والاختلاف .. قال النبي: قوموا عني)[2].

على أن رواية ابن الأثير الجزري تشير إلى أن عمر قال: إن رسول الله يهجر[3]، وقريباً من هذه الرواية رواية البخاري[4]، وابن خلدون[5].

---

(١) يُراجع تذكرة الحفاظ لشمس الدين الذهبي: ١/ ٥، ط٣ عام ١٩٥٥، حيدر آباد، ويراجع كنز العمال للمتقي الهندي: ٥/ ٢٣٩، وطبقات ابن سعد: ٣/ ٢٨٧، وتقييد العلم للخطيب البغدادي: ص٥٠، ط دمشق ١٩٤٩م، تحقيق الدكتور يوسف العش. وانظر علوم الحديث ومصطلحه للدكتور صبحي الصالح: ص٣٠، ط ١٩٥٩م.

(٢) الطبقات الكبرى: ج٤ ص٦٠ ـ ٦١.

(٣) الكامل في التاريخ: ج٢ ص٢١٧.

(٤) صحيح البخاري: ج٥ ص١٣٧، طبع مصر.

(٥) كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر: ج٢ ص٢٩٧.

Alefbalib.com | بازنشر مقالات و کتب | کتابخانه مجازی الفبا

على أن فريقاً آخر من المسلمين ذهب إلى أن النبي ﷺ قد أمر الناس بالتمسك بالكتاب العزيز والسنة المطهرة، ويروي هذا الفريق حديثاً لإرساء هذا المُتبنّى:

(حدثني مالك أنه بلغه أن رسول الله ﷺ قال: تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما: كتاب الله وسنة نبيه)[1].

أما في الجانب الإداري القيادي للأمة فأن أصحاب الرأيين السالفين معاً يذهبان إلى أن النبي ﷺ لم يحدد قيادة سياسية ـ اجتماعية مشخصة للامة بل ترك الأمر لأمته من بعده!

على أن هذين التصورين لخطة النبي ﷺ التي وضعها لمسار الأمة بعده لا تصمد أمام سيل الحجج الرصينة التي تملكها الرسالة والدعوة، مؤكدة بثقة، وجلاء خواء هذين التصورين:

١ ـ لابد للقرآن بعد النبي ﷺ من قيّم عليه يعينه الله عز وجل: ترك رسول الله ﷺ الكتاب العزيز وهو يحمل الناسخ والمنسوخ، والمطلق والمقيد، والمحكم والمتشابه، والعام والخاص، والحقيقة والمجاز، والمجمل والمؤول وما إلى ذلك .. فهل يمكن أن نتصور أن هذا الكتاب المجمل الذي لم يفصل حتى أمر الصلاة التي هي عمود هذا الدين قادر على جمع كلمة الأمة على أمر واحد دون وجود قيّم عليه يعرف أسراره ومراده؟

إن إهمال هذه الحقيقة هو الذي قسم المسلمين إلى فرق وطوائف ومذاهب فالمجسمة مثلاً استفادوا عقيدة التجسيم من قوله تعالى:

﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾[2]، ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ بينما غيرهم ممن

---

(١) الموطأ، مالك بن أنس: ج٢ ص٢٠٨، طبعة مصطفى البابي الحلبي.
(٢) سورة طه، الآية: ٥.

Alefbalib.com | بازنشر مقالات و کتب | کتابخانه مجازی الفبا

نفى التجسيم اعتمدوا قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾.

والمجبرة اعتمدوا في قولهم بالجبر على قوله تعالى:

﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾[1]، ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾[2].

أما المعتزلة فقد ذهبوا إلى القول بالاختيار المطلق في أفعال الإنسان معتمدين قوله تعالى:

﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾[3]، ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾﴾[4].

والقائلون برؤية الله عز وجل يعتمدون قوله تعالى:

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾[5].

وقس بقية الاتجاهات الفكرية والفقهية لدى المذاهب والطرق، على ذلك...

وهكذا فالجميع يلتمسون مقومات أفكارهم من ظواهر الكتاب العزيز حتى أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام نهى عبد الله بن عباس عن مجادلة الخوارج بالقرآن الكريم بسبب هذه الظاهرة: (لا تخاصمهم بالقرآن، فأن القرآن حمال ذو وجوه)[6].

وقال عليه السلام مؤكداً حاجة القرآن الكريم إلى ناطق عنه وترجمان:

(هذا القرآن إنما هو خط مستور بين الدفتين، لا ينطق بلسان، ولابد له من ترجمان...)[7].

---

(١) سورة النساء، الآية: ٧٨.
(٢) سورة الصافات، الآية: ٩٦.
(٣) سورة الكهف، الآية: ٢٩.
(٤) سورة الشمس، الآية: ٨.
(٥) سورة القيامة، الآيتان: ٢٢ ـ ٢٣.
(٦) نهج البلاغة: وصية رقم ٧٧، تحقيق الدكتور صبحي الصالح.
(٧) نفس المصدر: كلامه رقم ١٢٥.

Alefbalib.com | بازنشر مقالات و کتب | کتابخانه مجازی الفبا

أما الاستناد إلى سنّة الرسول ﷺ فإنه لا يسد منافذ الاختلاف والفرقة بين الناس لأن السنّة الشريفة تحمل هي الأخرى الناسخ والمنسوخ والمجمل والمؤول والمحكم والمتشابه، علاوة على ما لحقها من مظاهر الكذب والافتراء والوضع والدّس، ولذا فمع وجود السنّة الشريفة، وقع الاختلاف وظهرت الفرق والمذاهب الفكرية والفقهية، كما كان الحال بالنسبة للقرآن الكريم:

(عن علي بن إبراهيم عن أبيه عمن ذكره عن يونس بن يعقوب قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام فورد عليه رجل من أهل الشام وذكر حديثاً طويلاً نأخذ منه موضع الحاجة) فقال أبو عبد الله عليه السلام للشامي:

(كلم هذا الغلام ـ يعني هشام بن الحكم ـ فقال: نعم فقال لهشام: يا غلام سلني في إمامة هذا، فغضب هشام حتى ارتعد ثم قال للشامي يا هذا أربك أنظر لخلقه أم خلقه لأنفسهم؟ فقال الشامي: بل ربي أنظر لخلقه، قال: ففعل بنظره لهم ماذا؟ قال: أقام لهم حجة ودليلاً كيلا يتشتتوا أو يختلفوا، يتألفهم ويقيم أودهم ويخبرهم بفرض ربهم، قال: فمن هو؟ قال: رسول الله ﷺ، قال هشام: فبعد رسول الله ﷺ؟ قال: الكتاب والسنة، قال هشام: فهل نفعنا اليوم الكتاب والسنة في رفع الاختلاف عنا؟ قال الشامي: نعم، قال: فلِمَ اختلفنا أنا وأنت وصرت إلينا من الشام في مخالفتنا إياك؟ قال: فسكت الشامي، فقال أبو عبد الله عليه السلام للشامي: مالك لا تتكلم قال الشامي: إن قلت: لم نختلف كذبت، وإن قلت: إن الكتاب والسنة يرفعان عنا الاختلاف أبطلت، لأنهما يحتملان الوجوه وإن قلت قد اختلفنا وكل واحد منّا يدعي الحق فلم ينفعنا، إذن الكتاب والسنة إلا أنّ لي عليه هذه الحجة: فقال أبو عبد الله عليه السلام سله تجده مليئاً.

فقال للشامي: يا هذا من أنظر للخلق أربهم أو أنفسهم؟ فقال هشام:

Alefbalib.com | بازنشر مقالات و كتب | كتابخانه مجازى الفبا

ربهم أنظر لهم منهم لأنفسهم، فقال الشامي: فهل أقام لهم من يجمع لهم كلمتهم ويقيم أودهم ويخبرهم بحقهم من باطلهم؟ قال هشام: في وقت رسول الله ﷺ أو الساعة؟ قال الشامي: في وقت رسول الله، رسول الله ﷺ والساعة من؟ فقال هشام: هذا القاعد الذي تشد إليه الرحال، ويخبرنا بأخبار السماء والأرض وراثة عن أب عن جد، قال الشامي: فكيف لي أن أعلم ذلك؟ قال هشام: سله عما بدا لك، قال الشامي، قطعت عذري فعلي السؤال)[1].

وبناء على ذلك فأن الاعتماد على القرآن الكريم والسنة الشريفة وحدهما دون الاحتكام أو الرجوع إلى قيّم أو مرجع محيط بأسرارهما يجعل من اليسير أن يتأول كل مذهب أو اتجاه ظواهر القرآن والسنة بما يراه عن قصد أو عن غيره بناء على ما يستوحيه هو ـ إذا أحسنا الظن ـ وبناء على ما يقتضيه اتجاهه الفكري والسياسي.

وتأكيداً لهذه الحقيقة فأن أصحاب علم الحديث يذكرون دون ذلك من عوامل التدليس للحديث العجيب المدهش، فقد روى بعضهم ـ مثلاً ـ فضلاً للهريسة لأنه صاحب هريسة، وروى آخر حديثاً في ذم المعلمين لما ضربوا ابنه[2]، كما روى البعض أحاديث في ذم غير مدنهم. وهكذا وقد سجل التاريخ أسماء العديد من الوضاعين والمفترين على الله تعالى ورسوله ﷺ وما يذكر حول السنة الشريفة يذكر حول تفسير القرآن الكريم فان ما يصيب تفسير مراد القرآن الكريم ليس بعيداً عنه العبث والوضع في السنة، الذي لا يحتاج إلى دليل.

٢ ـ حديث الثقلين يفرض وجود القيّم على الشريعة بعد النبي ﷺ:

---

(١) الكافي: ج١ ص١٧٢ ـ ١٧٣ (أخذنا من الحديث موضع الحاجة).
(٢) علوم الحديث ومصطلحه، الدكتور صبحي الصالح: ص٣١٨.

Alefbalib.com | بازنشر مقالات و كتب | كتابخانه مجازى الفبا

دعي حديث الثقلين بهذا الاسم بسبب ما ورد فيه من لفظ (الثقلين) كما سيتضح.

والثقلان، بكسر الثاء أو فتحها وسكون القاف ـ في اللغة ـ الأمر أن النفيسان العظيمان المصونان وأحد ألفاظ حديث الثقلين ما يلي:

قال رسول الله ﷺ: (إني أوشك أن أدعى، فأجيب، وأني تارك فيكم الثقلين: كتاب الله عز وجل وعترتي، كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، وأن اللطيف الخبير أخبرني أنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض، فانظروني بما تخلفوني فيهما)[1].

وقد روى هذا الحديث الشريف المحدثون وأصحاب الصحاح والمسانيد والمعاجم والتواريخ والسير وغيرهم بألفاظ مختلفة ومداليل متقاربة وهو حديث متواتر ومسلم بين الفريقين من المسلمين، وقد رواه أكثر من مائتي عالم من أهل السنة عن ثلاثين صحابياً[2]، وأكثر من ذلك من التابعين وقد ورد عن الشيعة في اثنين وثمانين طريقاً...

وروي الحديث في أهم الكتب لدى أهل السنة كصحيح مسلم: ج٤ فضائل علي عليه السلام حديث ٣٦ و٣٧، وسنن الترمذي: ج٥ باب ٣٢، سنن الدارمي: ج٢ فضائل القرآن، خصائص النسائي: ص٩٣، كفاية الطالب الباب الأول: في بيان صحة خطبته بما يدعى خُمّاً: ص٥٠، ذخائر العقبى للمحب الطبري، تذكرة الخواص الباب الثاني عشر، ينابيع المودة للقندوزي الحنفي، أسد الغابة: ج٢ ص١٢ في ترجمة الحسن بن علي عليه السلام، تاريخ

---

(١) أحد ألفاظ الحديث برواية أحمد بن حنبل في مسنده وفي طريقه الأعمش عن عطية العوفي عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ: ج٣ ص١٧.

(٢) راجع عبقات الأنوار في إمامة الأئمة الأطهار (حديث الثقلين: ج١ وج٢) للسيد حامدي حسين الكهنوي.

Alefbalib.com | بازنشر مقالات و كتب | كتابخانه مجازى الفبا

اليعقوبي: ج٢ ص١٠٢، والمستدرك على الصحيحين كتاب معرفة الصحابة: فضائل علي ج٣ ص١٠٩، مسند أحمد بن حنبل في حديث أبي سعيد الخدري: ج٣ ص١٧، وحديث زيد بن أرقم: ج٥ ص٣٧١، وحديث زيد بن ثابت: ج٥ ص١٨١، كما رواه كنز العمال وحلية الأولياء والرازي والثعلبي في تفسيرهما والخازن وابن كثير والنيسابوري في تفاسيرهم، وغير هؤلاء.

ومن الدراسة الموضوعية لحديث الثقلين نلتقي بالحقائق الآتية:

١ ـ **مدلول العترة:** ورد لفظ العترة بمعان عديدة في قواميس اللغة العربية نذكر منها ما يلي: (والعتر لغة في العتر للذكر، والأصل في المثل: عادت إلى عترها لميس أي رجعت إلى أصلها، والعتر أيضاً نبت يتداوى به مثل المرزنجوش، أو شجر صغار الواحدة عترة، والعترة قلادة تعجن بالمسك والأفاوية، ونسل الرجل ورهطه وعشيرته الأدنون ممن مضى وغبر، ومنه حديث أبي بكر نحن عترة رسول الله ﷺ وبيضته التي تفقأت عنهم، وكذا في الحديث خلفت فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي قيل: عترة النبي بنو عبد المطلب، وقيل: أهل البيت الأقربون، وهم أولاده وعلي وأولاده، والعترة: القطعة من المسك الخالص . . .)[1].

وأورد الشيخ الصدوق أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (رض) معنى مشابهاً للمعنى السابق نذكره فيما يلي: (حكى محمد بن بحر الشيباني، عن محمد بن عبد الواحد صاحب أبي العباس ثعلب في كتابه الذي سماه كتاب الياقوتة أنه قال: حدثني أبو العباس ثعلب، قال: حدثني ابن الإعرابي وقال: العترة قطاع المسك الكبار في النافجة[2] وتصغيرها عتيرة، والعترة: الريقة العذبة وتصغيرها عتيرة والعترة شجرة تنبت على باب

---

(١) محيط المحيط، بطرس البستاني: ص٥٧٤، ط مكتبة لبنان ١٩٧٧م.

(٢) النافجة: الجلدة التي يجتمع فيها المسك.

Alefbalib.com | بازنشر مقالات و كتب | كتابخانه مجازى الفبا

وجار الضب ـ وأحسبه أراد وجار الضبع لأن الذي للضب مكو[1] والضبع وجار ـ ثم قال: وإذا خرجت الضب وجارها تمرغت على تلك الشجرة فهي لذلك لا تنمو ولا تكبر والعرب تضرب مثلاً للذليل والذلة فيقولون: (أذل من عِترة الضب) قال: وتصغيرها عتيرة، والعترة ولد الرجل وذريته من صلبه، فلذلك سميت ذرية محمد ﷺ من علي وفاطمة عليهما السلام عترة محمد ﷺ، قال ثعلب: فقلت لابن الإعرابي: فما معنى قول أبي بكر في السقيفة (نحن عِترة رسول الله ﷺ قال: أراد بلدته وبيضته، وعترة محمد ﷺ لا محالة ولد فاطمة عليها السلام، والدليل على ذلك رد أبي بكر وإنفاذ علي عليه السلام بسورة براءة وقوله عليه السلام: (وأمرتُ ألا يبلغها عني ألّا أنا أو رجل منّي) فأخذها منه ودفعها إلى من كان منه دونه، فلو كان أبو بكر من العترة نسباً ـ دون تفسير ابن الإعرابي أنه أراد البلدة ـ لكان محالاً أخذه سورة براءة منه ودفعها إلى علي عليه السلام وقد قيل: إن العترة: الصخرة العظيمة يتخذ الضب عندها جُحراً يأوي إليه وهذا لقلة هدايته، وقد قيل: إن العترة أصل الشجرة المقطوعة التي تنبت من أصولها وعروقها، والعترة في (غير)[2] هذا المعنى قول النبي ﷺ: (لا فرعة ولا عتيرة، قال الأصمعي: كان الرجل في الجاهلية ينذر نذراً على أنه إذا بلغت غنمه مائة أن يذبح رجبيته وعتائره[3] فكان الرجل ربما بخل بشاته فيصيد الظباء ويذبحها عن غنمه عند آلهتهم ليوفي بها نذره، وأنشد الحارث بن حلزة:

عنتاً باطلاً وظلماً كما تعتر ... عن حجرة الربيض الظباء

يعني يأخذونها بذنب غيرها كما يذبح أولئك الظباء عن غنمهم وقال

---

(١) في بعض النسخ (هو حجر).

(٢) في بعض النسخ (في هذا المعنى) والظاهر أنه هو الصحيح.

(٣) عتائر: جمع عتيرة، وهي شاة كان العرب يذبحونها للأصنام في شهر رجب ويقال لها أيضاً (رجبية).

Alefbalib.com | بازنشر مقالات و كتب | كتابخانه مجازى الفبا

الأصمعي: والعترة الريح، والعترة أيضاً شجرة كثيرة اللبن صغيرة تكون نحو القامة[1] ويقال: العترة: الظباء الذكر، عتر يعتر عتراً إذا نعظ، وقال الرياشي: سألت الأصمعي عن العترة: فقال: هو نبت مثل المرزنجوش ينبت متفرقاً.

قال مصنف هذا الكتاب[2] ـ رضي الله عنه ـ والعترة علي بن أبي طالب وذريته من فاطمة وسلالة النبي ﷺ، وهم الذين نص الله تبارك وتعالى عليهم بالإمامة على لسان نبيه ﷺ وهم اثنا عشر أولهم علي وآخرهم القائم عليه السلام على جميع ما ذهبت إليه العرب من معنى العترة، وذلك أن الأئمة عليهم السلام من بين جميع بني هاشم ومن بين جميع ولد أبي طالب كقطاع المسك الكبار في النافجة، وعلومهم العذبة عند أهل الحل والعقد[3] وهم الشجرة التي (قال) رسول الله ﷺ أنا أصلها وأمير المؤمنين عليه السلام فرعها والأئمة من ولده أغصانها وشيعتهم ورقها وعلمهم ثمرها، وهم عليهم السلام أصول الإسلام على معنى البلدة والبيضة وهم عليهم السلام الهداة على معنى الصخرة العظيمة التي يتخذ الضب عندها حجراً يأوي إليها لقلة هدايته وهم أصل الشجرة المقطوعة لأنهم وُتِروا وظُلِموا وجُفِوا وقُطِعوا ولم يُوصلوا فنبتوا من أصولهم وعروقهم ولا يضرهم قطع من قطعهم وإدبار من أدبر عنهم إذ كانوا من قبل الله منصوصاً عليهم على لسان نبيه عليه السلام، ومن معنى العترة هم المظلومون المأخوذون بمالهم يجرموه ولم يذنبوه، ومنافعهم كثيرة وهم ينابيع العلم على معنى الشجرة الكثيرة اللبن، وهم عليهم السلام ذكران غير إناث على معنى قول من قال: إن العترة هو الذكر، وهم جند الله عز وجل وحزبه على معنى قول الأصمعي، (إن العترة الريح) قال النبي ﷺ: الريح جند الله

---

(١) في بعض النسخ (بحر تهامة) والظاهر أنه تصحيف.

(٢) يعني الشيخ الصدوق (رض).

(٣) في بعض النسخ (عند أهل الحكمة والعقل).

Alefbalib.com | بازنشر مقالات و كتب | كتابخانه مجازى الفبا

الأكبر ـ في حديث مشهور عنه عليه السلام ـ والريح عذاب على قوم ورحمة لآخرين وهم عليهم السلام كذلك كما في القرآن[1] المقرون إليهم بقول النبي صلى الله عليه وآله:

(إني مخلف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي) قال الله عز وجل: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾﴾[2]، وقال عز وجل: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٢٥﴾﴾[3].

وهم عليهم السلام المشاهد المتفرقة على معنى الذي ذهب إليه من قال: إن العترة هو نبت مثل المرزنجوش ينبت متفرقاً وبركاتهم منبثة في المشرق والمغرب)[4].

ومما تجدر الإشارة إليه أن احتمال صرف لفظة العترة عن معناها الحقيقي ـ بسبب تعدد معانيها اللغوية ـ هو الذي جعل النبي الكريم صلى الله عليه وآله يشخص في حديثه المدلول الحقيقي الذي يقصده من ذكره للعترة حيث قرنها بلفظة (أهل بيتي) ليقطع الطريق على المتلاعبين ويلقي الحجة على الأمة عبر امتدادها التاريخي[5].

ومن أجل ذلك فأن عطية العوفي يذكر في إحدى رواياته للحديث انه كان عندما حدثه أبو سعيد الخدري (رض) مرة ولم يذكر لفظة (أهل بيتي) بعد (عترتي) قلت لأبي سعيد: من عترته؟ قال: أهل بيته[6].

---

(١) في بعض النسخ (كالقرآن) ولعلها الصحيح.
(٢) سورة الإسراء، الآية: ٨٢.
(٣) سورة التوبة، الآيتان: ١٢٤ ـ ١٢٥.
(٤) معاني الأخبار للشيخ الصدوق: ص٩١ ـ ٩٣، ط قم ١٣٧٩هـ.
(٥) لاحظ اقتران لفظة أهل بيتي بلفظ العترة في مختلف الألفاظ التي ورد بها حديث الثقلين راجع صحيح مسلم والترمذي والحافظ السيوطي في إحياء الميت والسمهودي في جواهر العقدين وكنز العمال وغيرهم.
(٦) معاني الأخبار للشيخ الصدوق: ص٩٠.

Alefbalib.com | بازنشر مقالات و كتب | كتابخانه مجازى الفبا

٢ ـ المدلول الحقيقي لأهل البيت: من اجل تحديد المدلول الحقيقي للفظة أهل البيت الواردة في آية التطهير والأحاديث الشريفة فلابد من أن نحدد المراد لغوياً من مصطلح (أهل البيت) الذي حملته الآية والأحاديث، كما وردت في كتاب الله العزيز وقواميس اللغة العربية، فأن استعراضاً سريعاً لمجمل الآيات القرآنية التي تحمل اللفظين ـ أهل وبيت ـ إضافة إلى قواميس اللغة يقودنا إلى جملة من المداليل للفظتين المذكورتين.

فأهم معاني الأهل في القرآن الكريم واللغة العربية:

١ ـ الزوجة: فقد ورد في كتاب الله العزيز آيات كثيرة تحمل هذا المعنى، قال تعالى:

﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾﴾[1].

فأهل موسى عليه السلام المشار إليهم في الآية ليس غير زوجه[2] التي خرج بها عائداً من مَدْين إلى مصر ـ كما هو معلوم ـ وليس يصحبه أحد سواها.

وقال عز وجل:

﴿قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[3].

والأهل هنا في الآية الكريمة هي زوج عزيز مصر لا غير، وفي كتاب الله نماذج أخرى من هذا القبيل.

---

(١) سورة القصص، الآية: ٢٩.

(٢) أهله = امرأته، راجع تفسير سيد عبد الله شبّر: ص٣٧٣، ط٣ ١٩٧٧م، دار إحياء التراث العربي.

(٣) سورة يوسف، الآية: ٢٥.

Alefbalib.com | بازنشر مقالات و كتب | كتابخانه مجازى الفبا

٢ ـ الأسرة: (الزوجين والأولاد ومتعلقين الرجال) وإلى هذا المعنى أشارت جملة من آيات الذكر الحكيم.

قال تعالى: ﴿إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا امْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾[١].

﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾[٢].

فلوط النبي عليه السلام ـ كما تشير الآية الأولى ـ قد أنجاه الله تعالى من العقوبة الدنيوية التي حلت بقومه ولم ينج معه من العذاب غير ابنتيه، حتى امرأته التي خالفت خطه واندمجت في خط قومها نالها العذاب .. ولقد عبّر القرآن الكريم عن ابنتي لوط عليه السلام وزوجه بالأهل، على أنه تعالى استثنى زوجه من النجاة، فكان أهله: بنتيه الناجيتين معه.

وفي الآية الثانية توجيه المؤمنين ـ من خلال مخاطبة النبي عليه السلام ـ إلى حمل أسرهم ومتعلقيهم على الاهتمام بأمر الصلاة أداءً وحفظاً لوقت الأداء.

والمهم أن الأهل في الآيتين تعني: الأسرة بمعناها العرفي العام، فسمت الذرية أهلاً ـ كما في موضوع لوط عليه السلام ـ ودعت الأزواج والذرية ومتعلقي الرجل القاطنين في داره أهلاً ـ كما في الآية الثانية ـ.

٣ ـ الأهل تعني أسرة الرجل الذين يندمجون في الخط الفكري الذي يحمل ويتبنى دون سواهم من أفراد أسرته، وإلى هذا المعنى أشار القرآن الكريم:

﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٤٦﴾﴾[٣].

---

(١) سورة العنكبوت، الآية: ٣٣، الغابرين = الباقين، راجع تفسير عبد الله شبّر: ص٣٨٢.

(٢) سورة طه، الآية: ١٣٢. أهلك: أهل بيتك، أنظر تفسير شبّر: ص٣١٤.

(٣) سورة هود، الآيتان: ٤٥ ـ ٤٦.

Alefbalib.com | بازنشر مقالات و کتب | کتابخانه مجازی الفبا

فأهل نوح النبي عليه السلام الحقيقيون في مضمون الآية ليس كل من عاشوا في داره وربطتهم معه وشيجة القربى من أبوة وسواها، وإنما هم ـ فضلاً عن ذلك ـ السالكون لدربه والمؤمنون برسالته الإلهية، ولذا فقد نهاه سبحانه وتعالى أن يعد أحد أبنائه ـ وهو منحرف عن الإسلام ـ في زمرة أهله، فكان أهله فحسب من حمل رسالته من: زوجه وأولاده وزوجات أولاده[1].

٤ ـ الأقارب والعشيرة: وقد ورد الأهل بهذا المعنى في قوله تعالى:

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا﴾[2].

﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا﴾[3].

فقد جاء في توضيح المراد من الأهل في الآية الأولى أنهم أقارب الزوجين[4].

كما حدد المفسرون المراد من الأهل في الآية الثانية: بأقارب امرأة العزيز المصري، وقد قالوا عن الشاهد الذي فند مزاعمها بحكمه انه ابن أختها أو ابن عمها أو رجل غيرهما على اختلاف الروايات[5].

٥ ـ وجاء في معنى الأهل في القرآن الكريم بمعنى: أبناء الرجل فقط كما يفيده قوله تعالى:

﴿فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ﴾[6].

---

(١) لاحظ تفسير الآية في تفسير الجلالين.
(٢) سورة النساء، الآية: ٣٥.
(٣) سورة يوسف، الآية: ٢٦.
(٤) أنظر تفسير الجلالين وشبّر؟
(٥) لاحظ شبّر والميزان: ج١٢ ص١٤٢.
(٦) سورة الأنبياء، الآية: ٨٤.

Alefbalib.com | بازنشر مقالات و كتب | كتابخانه مجازى الفبا

فالأهل الذين آتاهم الله تعالى أيوب النبي عليه السلام ـ بعد كشف الضر عنه ـ هم أولاده فحسب، وقد ضاعف الله تعالى عددهم بفضله، وإلى هذا المعنى بالذات أشارت الآية متقدمة حين اعتبرت ابنتي لوط عليه السلام أهلاً له وذكرت قصة نجاتهم دون امرأته المنحرفة عن سبيل الله تعالى:

﴿إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا امْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾[1].

٦ ـ ومن معاني (الأهل) في القرآن الكريم: أصحاب الشيء أو أصحاب العمل كما تؤكده النصوص التالية:

﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾[2]. أي أصحابه الذين عملوه.

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾[3] يقصد أصحابها.

﴿قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا﴾[4] أي الذين تحملهم من أصحابها وغيرهم من المستأجرين.

وهكذا يتضح جلياً أن كلمة (أهل) حين تُطلق تحتمل عدة وجوه ـ كما رأينا ـ فربما تعني: الزوجة فقط أو الأولاد وهي وهم معاً، أو الأقارب والعشيرة، أو الحملة لرسالة الرجل من أسرته دون سواهم أو أصحاب الشيء والأمر...

ولم ينفرد القرآن الكريم في طرح هذه المداليل الكثيرة لكلمة (الأهل) وإنما شاركته قواميس اللغة العربية المعتمدة في هذا المضمار:

فقد ذكر الفيروزآبادي في قاموسه المحيط ما نصه في هذا الباب ننقله بالحرف الواحد:

---

(١) سورة العنكبوت، الآية: ٣٣.
(٢) سورة فاطر، الآية: ٤٣.
(٣) سورة النساء، الآية: ٥٨.
(٤) سورة الكهف، الآية: ٧١.

Alefbalib.com | بازنشر مقالات و کتب | کتابخانه مجازی الفبا

(أهل الرجل، عشيرته وذوو قرباه (جمع) أهلون، وأهلان، وأهل ياهل ويأهِل أهولا وتأهل واتهل: أتخذ أهلاً.

وأهل الأمر: ولاته وللبيت سكانه، وللمذهب من يدين به، وللرجل زوجته كأهلته، وللنبي أزواجه وبناته وصهره علي (رضي الله عنه) أو نساؤه، والرجال الذين هم آله، ولكل نبي أمته، ومكان آهل، له أهل ومأهول: فيه أهلة . . .)[1].

وقد أوجز المعجم الوسيط في تعريفه لكلمة (أهل) فقال:

(الأهل: الأقارب والعشيرة والزوجة وأهل العشيرة: أصحابه وأهل الدار ونحوها: سكانها . . .)[2].

أما كلمة (بيت) التي وردت في مواضيع عديدة من كتاب الله تعالى وسنة نبيه فقد حملت مدلولين اثنين فحسب:

١ ـ البيت النسبي وهو جماعة من الناس تجمعهم رابطة القربى ويمثلون جزء من عشيرة أو قبيلة وقد ورد هذا المعنى في قوله تعالى:

﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾﴾[3].

فالبيت في منطق هذه الآية إنما هو لوط النبي عليه السلام وابنتاه[4].

وقد جاء البيت بمعنى الجزء من القبيلة في حديث لرسول الله ﷺ ـ نذكر منه موضع الحاجة ـ قال ﷺ:

---

(١) القاموس المحيط، الفيروزآبادي: ج٣ فصل الهمزة باب اللام: ص٣٣١، ط موسسة الحلبي، القاهرة.

(٢) ج١ ص٣١، مجمع اللغة العربية إعداد أحمد حسن الزيات وجماعة، مط مصر ١٩٦٠.

(٣) سورة الذاريات، الآية: ٣٦.

(٤) لاحظ مجمع البيان، الشيخ الطوسي، وتفسير الجلالين.

Alefbalib.com | بازنشر مقالات و كتب | كتابخانه مجازى الفبا

(إن الله تعالى قسم الخلق قسمين فجعلني في خيرهما قسماً فذلك قوله تعالى وأصحاب اليمين وأصحاب الشمال، فأنا من أصحاب اليمين وأنا خير أصحاب اليمين ثم جعل .. إلى قوله ﷺ .... فجعلني في خيرها قبيلة وذلك قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾[1] وأنا أتقى ولد آدم وأكرمهم على الله تعالى ولا فخر، ثم جعل القبائل بيوتاً، فجعلني في خيرها بيتاً فذلك قوله تعالى: إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا، أنا وأهل بيتي مطهرون من الذنوب)[2].

٢ ـ البيت المادي المعد للسكن أو العبادة، وقد وردت آيات عديدة في هذا المعنى:

﴿وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ﴾[3].

﴿فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ﴾[4].

﴿وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾[5].

ومن نافل القول أن نذكر أن اللفظين مدار البحث ـ الأهل والبيت ـ ليسا الوحيدين اللذين تعددت مفاهيمهما في القرآن الكريم واللغة العربية، وإنما حفلت الآيات الكريمة وقواميس اللغة بالعديد من الكلمات ذات الألفاظ المشتركة من هذا القبيل: كلفظة (أمة) التي وردت في القرآن الكريم

---

(١) سورة الحجرات، الآية: ١٣.

(٢) أخرجه الحكيم الترمذي والطبراني وابن مردويه وأبو نعيم البيهقي معاً في الدلائل عن ابن عباس، لاحظ روح المعاني للسيد محمود الآلوسي: ج٢ ص١٣ ط طهران، كما ذكر الحديث السيوطي في دره المنثور في تفسير آية التطهير.

(٣) سورة يوسف، الآية: ٢٣.

(٤) سورة النور، الآية: ٣٦.

(٥) سورة العنكبوت، الآية: ٤١.

Alefbalib.com | بازنشر مقالات و کتب | کتابخانه مجازی الفبا

بثمانية معاني وهذه بعضها: فأمة: جماعة كما في قوله تعالى:

﴿أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ﴾[1].

وأمة: أتباع الأنبياء عليهم السلام ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾[2].

وأمة: دين وملّة ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ﴾[3].

وأمة: حين وزمان ﴿إِلَىٰٓ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ﴾[4].

وأمة: صنف واحد أو على طريقة واحدة ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾[5].

أهل البيت في آية التطهير والأحاديث الشريفة:

بعد استعراضنا السريع للمراد ـ لغوياً ـ من كلمتي (أهل) و(بيت) أيقنا أن كلمة (أهل) على وجه الخصوص كلمة فضفاضة عامة ومطلقة فإذا أطلقت يتبادر إلى ذهن السامع أو القارئ أن المراد منها واحد من المداليل الآتية:

الزوجة فقط ـ الأولاد فقط ـ هي وهم معاً ـ العشيرة والأرحام ـ الحملة لملة الرجل من أسرته وغير ذلك.

وإذا أضيفت كلمة البيت للأهل يتبادر إلى الذهن:

سكان البيت من مالك حقيقي له وأسرته ومن معهم من إماء وخدم أو أصحاب البيت بالتملك فقط إلى غير ذلك، الأمر الذي ينطبق على لفظة (أهل البيت) التي وردت ضمن آية التطهير المباركة:

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[6].

---

(١) سورة القصص، الآية: ٢٣.
(٢) سورة آل عمران، الآية: ١١٠.
(٣) سورة الزخرف، الآية: ٢٣.
(٤) سورة هود، الآية: ٨.
(٥) يراجع مفردات غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، سورة البقرة، الآية: ٢١٣.
(٦) سورة الأحزاب، الآية: ٣٣.

Alefbalib.com | بازنشر مقالات و كتب | كتابخانه مجازى الفبا

ومن هنا فأن الضرورة تقتضي تخصيص هذا التعميم في كلمة الأهل وتقييد إطلاقها، وذلك يتأتى من خلال قرينة ترافق الاستعمال كأن يشير المتكلم إلى من أراد بخطابه أو يرشد السامع بالإخبار المباشر إلى من قصد من ذكره للأهل ومن المقطوع به أن رسول الله ﷺ كان مدركاً لطبيعة كلمة : (أهل البيت) من ناحية المرونة والاستيعاب، ومن أجل ذلك قيد إطلاقها وخصص عمومها ـ كما سنرى ـ غير أن الإهمال المتعمد للقرينة ـ وسنبين الأسباب ـ أعطى فرصة لصرف الكلمة (أهل البيت) إلى جميع ما تتحمله من معان ومداليل، وقد تمخض عن إهمال القرينة قيام عدة مذاهب كل منها يزعم لنفسه سلامة الاتجاه والمرمى:

١ ـ فمن قائل أن المراد من أهل البيت الوارد ذكرهم في آية التطهير هم: بنو هاشم ـ عشيرة النبي ﷺ ـ جميعاً ذكورهم وإناثهم وهذا ما رأه الثعلبي، وقال به الحنفية من مذهب أهل السنة.

٢ ـ أنهم مؤمنوا بني هاشم وعبد المطلب دون سائر أبنائهما وهو رأي الشافعية.

٣ ـ وقيل أن (أهل البيت) المشار إليهم في آية التطهير هم نساء النبي ﷺ فحسب، وأصحاب هذه الوجهة: عكرمة مولى ابن عباس ومقاتل وعروة ومن اندمج في خطهم.

٤ ـ ولجأ قوم إلى عملية توفيقية فقالوا: إن (أهل البيت) هم رسول الله وعلي والزهراء والحسن والحسين عليهم الصلاة والسلام مضافاً إليهم أزواج النبي ﷺ واختار هذه الوجهة الآلوسي في روح المعاني وابن حجر.

٥ ـ وذهب قوم إلى أن أهل البيت الذين قصدتهم الآية إنما هم: العباس ابن عبد المطلب ـ عم النبي ﷺ ـ وأبناؤه، وقد روى هؤلاء حديثاً

Alefbalib.com | بازنشر مقالات و كتب | كتابخانه مجازى الفبا

نسبوه إلى رسول الله ﷺ لتبرير مذهبهم، فقالوا أن الرسول ﷺ: (اشتمل على العباس وبنيه بملاءة ثم قال: يا رب هذا عمي وصنو أبي، وهؤلاء أهل بيتي فاسترهم من النار كستري إياهم بملاءتي هذه، فأمنت اسكفة الباب وحوائط البيت، فقالت: آمين ـ ثلاثاً ـ)[1].

٦ ـ وقالت طائفة من الناس إن أهل البيت: رسول الله وعلي وفاطمة والحسنان وأزواج النبي وبناته وأرحامه.

٧ ـ وإن أهل البيت الذين خصوا بالذكر في آية التطهير هم: رسول الله وعلي بن أبي طالب وفاطمة الزهراء والحسن والحسين عليهم الصلاة والسلام دون غيرهم، وإذا كان لابد من ذكر الطرف الذي يتبنى هذا الرأي، فأن من المقطوع به أن الذي صدع به رسول الله ﷺ ذاته، فقد أحصي ما ورد عنه ﷺ من أحاديث ـ بهذا الخصوص ـ فنافت على السبعين روى منها أهل السنة بطرقهم ما يقرب من أربعين حديثاً عن: أم سلمة وعائشة وأبي سعيد الخدري وسعد وواثلة بن الأسقع وأبي الحمراء وابن عباس وثوبان مولى النبي وعبد الله بن جعفر وعلي والحسن بن علي عليهم السلام.

ورواها الشيعة عن: علي والسجاد والباقر والصادق والرضا عليهم الصلاة والسلام وعن أم سلمة وأبي ذر وأبي ليلى وأبي الأسود الدؤلي وعمرو بن ميمون الأودي وسعد بن أبي وقاص في أكثر من ثلاثين طريقاً[2].

وهذه طائفة من الأحاديث النبوية المحددة للمراد من أهل البيت عليهم السلام في آية التطهير وهي مما أجمعت عليه الأمة عبر أجيالها من خلال كتب الأحاديث المعتبرة أو كتب التفسير:

---

(١) روح المعاني، السيد محمود الآلوسي، تفسير آية التطهير: ج٢٤ ص١٤، ط طهران.
(٢) لاحظ الميزان في تفسير القرآن، السيد محمد حسين الطباطبائي: ج١٦ ص٣٢٩، (تفسير آية التطهير)، ط٣، ١٣٩٦ هـ، طهران.

Alefbalib.com | بازنشر مقالات و كتب | كتابخانه مجازى الفبا

أ ـ روى مسلم في صحيحه والحاكم في مستدركه والبيهقي في سننه الكبرى وكل من الطبري وابن كثير والسيوطي في تفسير الآية بتفاسيرهم واللفظ ـ لمسلم ـ عن عائشة قالت:

خرج رسول الله غداة وعليه مرط مرحل من شعر أسود، فجاء الحسن ابن علي فأدخله، ثم جاء الحسين فدخل معه، ثم جاءت فاطمة فأدخلها ثم جاء علي فأدخله، ثم قال:

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[1].

ب ـ في تفسير آية التطهير عند ابن كثير والسيوطي وسنن البيهقي وتاريخ بغداد للخطيب ومشكل الآثار للطحاوي واللفظ لابن كثير عن أم سلمة (رض)[2] قالت:

في بيتي نزلت ﴿أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن﴾ وفي البيت فاطمة وعلي والحسن والحسين فجللهم رسول الله بكساء كان عليه ثم قال (هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا) وفي باب فضل فاطمة من صحيح الترمذي والرياض النضرة وتهذيب التهذيب قال رسول الله ﷺ:

(اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا). وفي مسند أحمد قالت أم سلمة: فأدخلت رأسي في البيت فقلت:

---

(١) مستدرك الصحيحين: ج٣/ ١٤٧، ط حيدرآباد ١٣٣٤هـ، وصحيح مسلم باب فضائل أهل بيت النبي ﷺ: ص١٨٨٢، ط٢، ١٩٧٢م دار إحياء التراث العربي، بيروت. والبيهقي في سننه الكبرى: ج٢/ ١٤٩، ط حيدرآباد ١٣٤٦ هـ تفسير الطبري في تفسير الآية: ج٢٢/ ٥، ط بولاق ١٣٢٣هـ، وتفسير ابن كثير: ج٣/ ٤٨٥ ط القاهرة. تفسير السيوطي: ج٥/ ١٩٨ ـ ١٩٩، ط القاهرة ١٣١٤هـ.

(٢) سنن البيهقي: ج٢/ ١٥٠، وابن كثير: ج٣/ ٤٨٣، والسيوطي: ج٥/ ١٩٨، وعند الحاكم في تفسير الآية: ج٢ ص٤١٦، وتاريخ بغداد: ١٢٦/٩ للخطيب البغدادي، ط القاهرة ١٣٤٩هـ ومشكل الآثار: ج١ ص٣٣٤ للطحاوي، ط حيدرآباد ١٣٣٣هـ.

Alefbalib.com | بازنشر مقالات و كتب | كتابخانه مجازى الفبا

وأنا معكم يا رسول الله؟ قال: (إنك إلى خير إنك إلى خير).

وفي رواية الحكم في المستدرك قالت أم سلمة:

يا رسول الله ما أنا من أهل البيت؟ قال: (إنك إلى خير، هؤلاء أهل بيتي، اللهم أهل بيتي أحق).

ج ـ في تفسير السيوطي ومشكل الآثار واللفظ للسيوطي[1]:

قالت أم سلمة: نزلت هذه الآية في بيتي ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم﴾ وفي البيت سبعة جبريل وميكال وعلي وفاطمة والحسن والحسين (رض) وأنا على باب البيت، قلت: يا رسول الله، ألست من أهل البيت؟ قال: إنك إلى خير إنك إلى خير إنك من أزواج النبي).

د ـ في تفسير الطبري وذخائر العقبى للمحب الطبري واللفظ للأول عن أبي سعيد الخدري قال[2]:

قال رسول الله ﷺ: (نزلت هذه الآية في خمسة، فيّ وفي علي وحسن وحسين وفاطمة، إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا).

هـ ـ الطبري وابن كثير في تفسيريهما والترمذي في صحيحه والطحاوي في مشكل الآثار ـ واللفظ للطبري ـ عن عمر بن أبي سلمة قال[3] نزلت هذه الآية على رسول الله ﷺ في بيت أم سلمة: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[4] فدعا حسناً وحسيناً وفاطمة فأجلسهم بين يديه ودعا علياً فأجلسه خلفه، فتحلل هو وهم بالكساء ثم قال:

---

(١) السيوطي في دره المنثور: ج٤/١٩٨، ومشكل الآثار: ج١/٢٣٣.

(٢) الطبري: ٢٢/٥، وذخائر العقبى: ص٢٤، ط القاهرة ١٣٥٦هـ.

(٣) الطبري: ٢٢/٧، وابن كثير: ج٣ ص٤٥٨، وصحيح الترمذي: ج١٢ ص٨٥، ط القاهرة ١٣٥٠هـ، والطحاوي: ج١ ص٣٣٥.

(٤) سورة الأحزاب، الآية: ٣٣.

Alefbalib.com | بازنشر مقالات و كتب | كتابخانه مجازى الفبا

(هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا).

و ـ في صحيح الترمذي ومسند أحمد ومسند الطيالسي ومستدرك الصحيحين وأسد الغابة وتفاسير: الطبري وابن كثير والسيوطي ـ واللفظ للترمذي ـ عن أنس بن مالك قال[1]: (إن رسول الله ﷺ كان يمر بباب فاطمة ستة أشهر كلما خرج إلى صلاة الفجر يقول: الصلاة يا أهل البيت:

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾.

ز ـ الاستيعاب وأسد الغابة ومجمع الزوائد ومشكل الآثار وتفاسير الطبري وابن كثير والسيوطي عن أبي الحمراء ـ واللفظ للسيوطي ـ قال[2] حفظت من رسول الله ثمانية أشهر بالمدينة ليس من مرة يخرج إلى صلاة الغداة إلا أتى باب علي (رض) فوضع يده على جنبتي الباب ثم قال: الصلاة الصلاة: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب، ٣٣].

وفي تفسير السيوطي عن ابن عباس قال[3]:

(شهدت رسول الله ﷺ تسعة أشهر يأتي كل يوم باب علي بن أبي طالب (رض) عند وقت كل صلاة فيقول: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

---

(١) مستدرك الصحيحين: ج٣ ص١٥٨، وأسد الغابة: ج٥ ص٥٢١، ط القاهرة ١٢٨٠هـ، ومسند أحمد: ج٣ ص٢٥٨، والطبري في تفسيره: ج٥ ص٢٢، وابن كثير: ج٣ ص٤٨٣، والسيوطي في دره المنثور: ج٥ ص١٩٩، ومسند الطيالسي: ج٨ ص٢٧٤، ط حيدرآباد ١٣٢١هـ، والترمذي: ج١٢ ص٨٥، وكنز العمال: ج٧ ص١٠٣، ط١.

(٢) الاستيعاب للأشعري: ج٢/ ٥٩٨، ط٢ حيدرآباد ١٣٣٦هـ، وتفسير الطبري وابن كثير والسيوطي في تفسير آية التطهير من سورة الأحزاب، وترجمة أبي الحمراء في أسد الغابة ومجمع الزوائد للهيثمي: ج٩ ص١٢١ و١٦٨ ط٢ بيروت ١٩٦٧م، ومشكل الآثار للطحاوي: ج١ ص٣٣٨.

(٣) السيوطي في الدر المنثور: ج٥ ص١٩٩.

Alefbalib.com | بازنشر مقالات و كتب | كتابخانه مجازى الفبا

أهـل الـبـيـت: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[1] كل يوم خمس مرات).

٣ ـ من أدخل نساء النبي ﷺ في أهل بيته؟

من متابعة سريعة للبلبلة التي أثيرت حول مدلول أهل البيت عليهم السلام يتبين أن المدلول الحقيقي لهذا المصطلح الجليل قد تعرض لحملة من التزوير والتشويه قادها رجلان من الموالي يعدان من أكثر المحدثين دجلاً: أحدهما من البربر والآخر بلخي من خراسان، كان الأول من غلاة الخوارج والثاني من غلاة المجسمة، يدعى أولهما عكرمة ويدعى ثانيهما مقاتل وكان لهذين الكذابين دور فعال في تفسير مصطلح أهل البيت الوارد في آية التطهير أو الأحاديث الشريفة بنساء النبي ﷺ بدلاً عن الخمسة المطهرين عليهم الصلاة والسلام.

وهذه نبذة قصيرة حول سيرة الرجلين كل على انفراد:

أ ـ عكرمة مولى ابن عباس (ت ١٠٧هـ): هو عكرمة بن عبد الله مولى عبد الله بن العباس أصله من البربر من بلاد المغرب، كان مولى لحصين بن النمير العنبري، فوهبه لابن عباس حين ولي البصرة في خلافة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام اجتهد ابن عباس (رض) في تعليمه القرآن والسنن، وقد حدث عكرمة عن ابن عباس وابن عمر وأبي هريرة وأبي سعيد الخدري وعبد الله بن عمر بن العاص وعائشة[2]، وكان كثير التنقل من بلد إلى بلد...

كان من الوجهة الاعتقادية يرى رأي الخوارج بل رأي غلاتهم فعن ابن المدائني قال: كان عكرمة يرى رأي نجدة الحروري وهو من أشد الخوارج بغضاً لعلي بن أبي طالب عليه السلام.

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٣٣.

(٢) ترجمته في وفيات الأعيان: ج٢ ص٤٢٧، تسلسل: ٣٩٤.

Alefbalib.com | بازنشر مقالات و کتب | کتابخانه مجازی الفبا

وكان يرى كفر جميع المسلمين من غير الخوارج، ومما يكشف عن موقفه ذلك ما رواه خالد بن عمر أن قال:

(كنا في المغرب، وعندنا عكرمة في وقت الموسم، فقال: وددت أن بيدي حربة، فأعترض بها من شهد الموسم يميناً وشمالاً) وعن يعقوب الحضرمي عن جده أنه قال:

(وقف عكرمة على باب المسجد فقال: ما فيه إلا كافر).

ومن مفاهيمه الاعتقادية ما قاله أيوب محدثاً عنه أنه قال:

(إنما أنزل الله متشابه القرآن ليضل به).

أما عن درجة التزامه بالشريعة الإسلامية ومقتضياتها، فيحدثنا يحيى بن سعيد حديثاً عن أيوب، (إن عكرمة لا يحسن الصلاة) ولقد اشتهر بكذبه ووضعه للحديث على ابن عباس وابن مسعود فعن عبد الله بن الحارث قال: (دخلت على علي بن عبد الله بن عباس، فإذا عكرمة في وثاق فقلت: ألا تتقي الله؟ فقال: إن هذا الخبيث يكذب على أبي) وشبيه بهذه الرواية رويت عن علي بن عبد الله بن مسعود وعن ابن المسيب أنه قال لمولاه واسمه برد: لا تكذب علي كما كذب عكرمة على ابن عباس.

إضافة إلى ما اتصف به من كذب وافتراء، فإنه كان يحب الغناء ويستمعه ويلعب النرد.

وقد شهد كثير من أهل العلم من معاصريه بعدم وثاقته.

فطاووس اليماني يقول فيه: لو أن عند عكرمة مولى ابن عباس تقوى من الله لشدت إليه المطايا.

وعن ابن ذؤيب: رأيت عكرمة وكان غير ثقة.

وشهد محمد بن سيرين بكذبه.

Alefbalib.com | بازنشر مقالات و كتب | كتابخانه مجازى الفبا

ووصفه يحيى بن سعيد الأنصاري بأنه كذّاب[1].

هذه بعض ملامح شخصية عكرمة مولى ابن عباس كما ذكرتها أوثق كتب الرجال عند المسلمين، أفيصح بعد هذا أن نركن إلى الوثوق برأي ارتآه، أو حديث يرويه؟

٢ ـ **مقاتل**: هو مقاتل بن سليمان البلخي الأزدي الخراساني المتوفى عام ١٥٠ هـ، أصله من بلخ، انتقل إلى البصرة ثم إلى بغداد وعاد إلى البصرة[2] وهلك فيها.

روى عن الضحاك ـ ولم يدركه ـ ومجاهد وعلي بن الجعد، كان مفسراً للقرآن على طريقته الخاصة حتى قال فيه ابن المبارك: ما أحسن تفسيره لو كان ثقة[3].

أما وجهته الاعتقادية فقد أجملها الرجاليون بقولهم: إنه كان من غلاة المجسمة يشبه الرب تعالى بالمخلوقين، قال أبو حنيفة: أفرط جهم في نفي التشبيه حتى قال: إنه تعالى ليس بشيء وأفرط مقاتل ـ في الإثبات ـ حتى جعله مثل خلقه[4].

وقال ابن حيان: كان ـ يعني مقاتل ـ يأخذ من اليهود والنصارى من

---

(١) الكلمة الغراء في تفضيل الزهراء، عبد الحسين شرف الدين، ط دار النعمان في النجف الأشرف المطبوع بذيل الفصول المهمة في تأليف الأمة للمؤلف (ره) وقد نقل ترجمة عكرمة عن ميزان الاعتدال للذهبي. وللاستزادة يراجع ميزان الاعتدال والمعارف لابن قتيبة الدينوري وطبقات ابن سعد وغيره.

(٢) الأعلام لخير الدين زركلي.

(٣) تهذيب تهذيب العمال في أسماء الرجال، للحافظ الخزرجي الأنصاري، وميزان الاعتدال للذهبي: ج٤ ص١٧٣، تسلسل ٨٧٤١، دار المعرفة، بيروت، ١٩٦٧، ط١ وغيره.

(٤) ميزان الاعتدال للذهبي: ج٤ ص١٧٣، تسلسل رقم ٨٧٤١.

Alefbalib.com | بازنشر مقالات و كتب | كتابخانه مجازى الفبا

علم القرآن الذي يوافق كتبهم وكان يشبه الرب بالمخلوقات وكان يكذب في الحديث[1].

وكان على مذهب المرجئة[2].

أما من الناحية الالتزامية، فلم يكن بشيء، إذ كان كذاباً يضع الحديث على رسول الله ﷺ ويأخذ عن اليهود والنصارى ويغرر بالمسلمين حتى وصفه الجوزجاني كما في ترجمة مقاتل في ميزان الاعتدال بقوله: كان مقاتل دجالاً جسوراً، سمعت أنا اليمان يقول: قدم هاهنا، فأسند ظهره إلى القبلة وقال: سلوني عما دون العرش، وحدث إن قال مثلها بمكة، فقام إليه رجل، فقال: أخبرني عن النحلة أين أمعاؤها؟ فسكت.

وقال النسائي: والكذابون المعروفون بوضع الحديث: ابن أبي يحيى بالمدينة، والواقدي ببغداد، ومقاتل بن سليمان[3].

وفي ترجمة مقاتل في وفيات الأعيان: قعد مقاتل فقال: سلوني عما دون العرش، فقال له رجل: أخبرني من حلق رأس آدم حين حج ... فبهت.

ومن المناسب أن نذكر أن مقاتل بحكم كونه من المرجئة ـ المذهب الذي صممته السياسة الأموية ـ فقد كان عدواً لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، ولعل في مخاطبته للناس: سلوني إشارة واضحة لحقده الدفين، لأن هذه العبارة كثيراً ما كان يرددها الإمام علي عليه السلام ويخاطب بها الأمة.

هذه لمحة موجزة عن بطلي الافتراء على الله ورسوله وأهل بيت النبوة

---

(١) ميزان الاعتدال للذهبي: ج٤ ص١٧٣، تسلسل رقم ٨٧٤١.
(٢) الفصل، ابن حزم: ج٤ ص٢٠٥، نقلاً عن الكلمة الغراء، لشرف الدين: ص٢١٢.
(٣) ميزان الذهبي: ج٣ ص٥٦٢، ترجمة محمد بن سعيد المصلوب.

Alefbalib.com | بازنشر مقالات و كتب | كتابخانه مجازى الفبا

استوحيناها من أكثر من مصادر تأريخ الرجال شيوعاً بين المسلمين. أفيجوز لمسلم شرعاً أن يدين الله تعالى برأي يتبناه هذان أو يدعوان إليه؟

أرأيت كيف يلوث الدجالون وجه الحقيقة؟

أم كيف يتفنن المفترون لمواجهة الحق؟

فقد يرتدي الدجل ثوب فقيه أو مفسر وقد يتجلبب الافتراء بجلباب رئيس مذهب أو ملة ويأتي الناس بدعوى الإصلاح، بيد أن حبل الكذب قصير.

إن خطورة الافتراء لا تدخل في الحسبان إذا بقي حبيساً في جدران أصحابه، ولكنه يتحول فتنة عمياء إذا وجد من يتخذ منه مبادئ وشعارات وأهدافاً.

وإلا كيف يجوز لمسلم عاقل أن يطمئن إلى رأي يراه عكرمة ومقاتل وأضرابهما من خدام السلاطين؟

﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾[1].

وهكذا نخلص إلى القول بان حديث الثقلين يهدف أساساً إلى بلورة مفهوم ضرورة وجود القيّم الملازم للقرآن الكريم ليس بعد النبي ﷺ لفترة محدودة، وإنما حتى قيام الساعة وحين يرث الله الأرض ومن عليها: (وإنهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض).

هذا ومما تجدر الإشارة إليه أن مجموعة من النصوص الشريفة تعمق هذا المبدأ وترسخه في ضمير الزمن:

قال رسول الله ﷺ: (النجوم أمان لأهل السماء فإذا ذهبت النجوم

---

(١) سورة الحج، الآية: ٤٦.

Alefbalib.com | بازنشر مقالات و كتب | كتابخانه مجازى الفبا

ذهب أهل السماء وأهل بيتي أمان لأهل الأرض، فإذا ذهب أهل بيتي ذهب أهل الأرض)[1].

وقال رسول الله ﷺ: (مثل أهل بيتي كمثل سفينة نوح من ركبها نجا، ومن تخلف عنها هلك)[2]، وفي لفظ آخر (من تخلف عنها غرق)[3].

وأخرج ابن المغازلي الشافعي بأسناده عن نافع مولى ابن عمر قال: قلت لابن عمر: (من خير الناس بعد رسول الله ﷺ، قال: ما أنت وذاك لا أم لك، ثم قال: استغفر الله، خيرهم بعده من كان يحل له ما يحل له، ويحرم له ما يحرم عليه، قلت: من هو؟ قال: علي بن أبي طالب، سد أبواب المسجد، وترك باب علي، وقال له: لك في هذا المسجد ما لي، وعليك منه ما علي، وأنت وارثي، ووصيي تقضي ديني وتنجز عداتي، وتقتل على سنتي، كذب من زعم أنه يبغضك ويحبني)[4].

فأهل بيت النبي ﷺ مرة أمان لأهل الأرض ومرة كسفينة نوح عليه السلام التي

---

(١) ينابيع المودة، الحافظ سليمان بن إبراهيم القندوزي الحنفي، ت ١٢٩٤هـ: ص٢٠ نقلاً عن أحمد بن حنبل والحمويني الشافعي بطريقين والحاكم في المستدرك بطريقين وعن الصواعق المحرقة لابن حجر وعن نوادر الأصول، وقد ورد الحديث بألفاظ متقاربة وأثبتنا هنا لفظ أحمد في مناقبه، هذا وقد روى الحديث السيد ابن طاووس في الطرائف: ص١٣١ نقلاً عن ينابيع المودة وذخائر العقبى للمحب الطبري والعمدة وغيرها.

(٢) أخرجه الفقيه الحافظ ابن المغازلي، ت ٤٨٣ هـ في المناقب بعدة طرق عن ابن عباس وأبي ذر وسلمة بن الأكوع كما أخرجه الحافظ القندوزي الحنفي في ينابيع المودة: ص٢٧ وص٢٨ بطرق عديدة نقلاً عن البزار وابن المغازلي والحمويني الشافعي والطبراني في الأوسط والصغير وابن حنبل وغيرهم.

(٣) المصدر السابق نفسه.

(٤) نفس المصدر: ص٢٦١، ونقل في الهامش، أحاديث مشابهة عن البخاري في الصحيح والنسائي في الخصائص وابن حجر في لسان الميزان والترمذي في جامعه الصحيح، والبيهقي في السنن.

Alefbalib.com | بازنشر مقالات و كتب | كتابخانه مجازى الفبا

بها نجا المؤمنون ولم ينج بسواها حتى من أوى إلى الجبال، ومرة يكون عميد أهل البيت عليهم السلام وارثاً للنبي ووصيه والمنجز لعداته.

وهكذا فأن قضية الغدير ومضمونه لم تَعُد قضية تاريخية عادية ككثير من قضايا السيرة والتاريخ وإنما تشكّل أهم قضايا الإسلام الكبرى منذ رحيل النبي الخاتم صلى الله عليه وآله إلى يوم الناس هذا وما بعده، الأمر الذي يجعل من الممكن أن نتصور أن كافة الآلام والكوارث والخلاف والفرقة والشنآن والضلال والوهن التي تعرضت لها الأمة وتتعرض لها إنما هي بسبب تخلي المسلمين عن وصية رسول الله صلى الله عليه وآله وانتهاجها غير سبيله المرسوم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى
ALEFBALIB.COM

Alefbalib.com | بازنشر مقالات و كتب | كتابخانه مجازى الفبا

کتابخانه مجازی الفبا | بازنشر مقالات و کتب
ALEFBALIB.COM
مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

کتابخانه مجازی الفبا | بازنشر مقالات و کتب | Alefbalib.com

القسم الثاني

أثر الفكر الإسلامي في حياة الناس

في ضوء مدرسة أهل البيت عليهم السلام

Alefbalib.com | بازنشر مقالات و کتب | کتابخانه مجازی الفبا

کتابخانه مجازی الفبا | بازنشر مقالات و کتب | Alefbalib.com

مقدّمة

انصب حديثنا في القسم الأول من هذا الكتاب على دراسة حديث الغدير والظروف التي أحاطت به، والقيمة التاريخية والحضارية التي يحتلها هذا الموضوع عموماً وهكذا توفر أول قسم من هذا البحث على دراسة موضوع الغدير بالشكل الذي يخلق تصوراً مناسباً في ذهن القارئ الكريم حول هذا الحدث العظيم.

وفي القسم الثاني من الكتاب سيكون الحديث منصباً على أثر الفكر الإسلامي في الحياة في ضوء مبادئ أهل البيت عليهم السلام حيث آن لنا الآن أن ندرس الآثار التي تركتها مبادئ هذا الدين وقيمه العظيمة في دنيا الناس خصوصاً من خلال أهل بيت العصمة بما فيهم رسول الله والأئمة الهداة من آله صلّى الله عليهم أجمعين، فنقول: إن بصمات أي مبدأ وآثار أية رسالة في حياة الناس تتفاوت في عمقها ومساحتها ودرجتها حسب طبيعة الطرح لهذه المبادئ وحسب الجهد المبذول من أجل أن تلون الحياة الإنسانية بلون تلك المبادئ، وحسب درجة المقاومة التي يبديها جهل الناس، وعتو الطغاة وبالعكس..

ثم أن الآثار التي تتركها مبادئ الخير في حياة الناس تكون متفاوتة من ناحية فعلها، وحقولها ومساحتها فبعض المبادئ والقيم تلقي ظلالها على

Alefbalib.com | بازنشر مقالات و كتب | كتابخانه مجازى الفبا

بعض الجوانب الفكرية من حياة الناس، وبعضها يتجسد عملاً وضوابط في حياتهم، وبعضها يتحول أهدافاً يسعى الناس لتحقيقها عبر مسيرتهم التاريخية.

وهكذا تختلف الآثار التي تتركها المبادئ الحية في دنيا الناس في مجال الفعل والساحات، وحين نستعرض المبادئ الحيوية التي بثها الإسلام الحنيف في حياة الأمم نجد ذلك صريحاً مجسداً.

إن دراستنا هذه ستتناول بحول الله وقوته مجموعة من الآثار الإيجابية الهامة التي سجلتها رسالة الإسلام في دنيا الناس، وعمقتها في تاريخ الأجيال.

وسنجد من خلال هذه الدراسة كيف أن تأثير الإسلام في حياة الناس يتفاوت من ناحية الأبعاد والمساحة والدرجة، فبعض الأفكار والقيم والمبادئ هيمنت ـ ولله الحمد ـ وتعمقت في نفوس المسلمين فحسب كالإيمان بالله الواحد الأحد، ونبذ ما عداه وما إليها من مبادئ وقيم وبعض الأفكار قد خرج من إطار العالم الإسلامي إلى أقاليم العالم الأخرى كفكرة العالمية واحترام المرأة، والدعوة إلى الحرية الإنسانية وما إلى ذلك . . .

ثم أن الأفكار من ناحية تأثيرها الفعلي متفاوتة أيضا، فبعض الأفكار والأحكام والقيم يحظى باستقطاب المسلمين عموماً ككثير من مبادئ الأخلاق، وضوابط التعامل الاجتماعي، وكثير من المسائل التي يمنع الإسلام من اقترافها . . .

وهكذا تختلف أبعاد ما أثر الإسلام في الحياة ومساحة وأبعاد ودرجات ـ كما أوضحنا ـ.

الأمر الذي سيتضح من خلال المفردات التي يعرضها منهجنا إن شاء الله تعالى.

Alefbalib.com | بازنشر مقالات و كتب | كتابخانه مجازى الفبا

إن تأثير الحضارة الإسلامية في حضارة الإنسان الأوربي في العصر الوسيط والعصور الحاضرة قد شملت مختلف شؤون الحياة العامة في طريقة التفكير والمنهج العلمي وفي النظر للمرأة وما إلى ذلك غير أن هذا التأثير تختلف مستوياته وأبعاده حسب درجة تفاعل الناس مع المسلمين عبر العصور التي كانت للإسلام فيها حضارة وتأثير..

بيد أن ذلك التأثير لا يتحدث الغربيون حوله إلا نادراً بسبب تأثير الحروب الصليبية والصراع المستمر بين المسلمين وأوربا الكنسية حيث عمّقت الكنيسة وأجهزتها ومبشروها روح الحقد على المسلمين في أقاليم أوربا عموماً الأمر الذي لا يزال يعيشه الغرب بدرجات متفاوتة حتى اليوم، ولذا فأننا لا نكاد نجد في الكتابات الأوربية حول تأثير الفعل الحضاري الإسلامي في أوربا إلا القليل القليل ونذكر هنا نماذج من هذا القليل:

(يقول بريفولت في كتابه: ليس ثمة ناحية واحدة من نواحي الازدهار الأوربي يمكن إرجاع أصلها إلى مؤثرات الثقافة الإسلامية بصورة قاطعة، فأن هذه المؤثرات توجد أوضح ما تكون وأهم ما تكون في تلك الطاقة التي تكون ما للعلم الحديث من قوة متميزة ثابتة، إن ما يدين به علمنا لعلم العرب ليس فيما قدموه لنا من كشوف لنظريات مبتكرة فحسب، بل مدين هذا العلم إلى الثقافة العربية، بأكثر من هذا: (إنه مدين لها بوجوده نفسه)، وهو نفس القول الذي يردده سيديو ويفصله جوستاف لوبون في قوله: كلما أمعنا في دراسة حضارة العرب، وكتبهم العلمية واختراعاتهم وفنونهم ظهر لنا أن العرب هم الذين فتحوا أوربا الحديثة مادة وعقلاً وأخلاقاً، وأن التاريخ لم يعرف أمة أنتجت ما أنتجوه في وقت قصير.

ومن هنا تُقَرر حقيقتان متشابكتان.

Alefbalib.com | بازنشر مقالات و كتب | كتابخانه مجازى الفبا

الأولى: أنه لا علاقة مطلقاً بين حضارة أوربا الحديثة والمسيحية.

الثانية: أن التمدين الإسلامي هو في الحقيقة «التمدن الإنساني».

ويصدق في هذا قول العلامة مسمر: (إن الغربي إذا صار عالماً ترك دينه بخلاف المسلم فإنه لا يترك دينه إلا إذا صار جاهلاً)[1].

ومن هنا يمكننا أن نستعرض أهم المحاور التي أثر فيها الفكر الإسلامي في حياة الأمم والشعوب.

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى
ALEFBALIB.COM

(١) من كتاب الإسلام والعالم المعاصر، أنور الجندي: ص٣١٠ ـ ٣١١، نقلاً عن كتاب بريفولت: Making of Humanity.

Alefbalib.com | بازنشر مقالات و كتب | كتابخانه مجازى الفبا

١ ـ الإسلام ينشر التوحيد في الأرض

كانت كلمة التوحيد أول كلمة التقت بها روح الإنسان، وعقله منذ وجد أول إنسان على ظهر هذا الكوكب، فكانت أول دعوة عرفها تاريخ البشر، بها عرف الناس ربهم، وفي ضوئها عبدوه حق عبادته..

وبعد أن طال الأمد، ابتعد الناس شيئاً فشيئاً عن دعوة التوحيد فبدلوا عهد الله عز وجل، وتاهوا في دروب الغي والضلال، وهكذا ظهرت الوثنية في تاريخ الإنسان، بمصاديقها المختلفة كعبادة الأصنام والنار والشمس والقمر والنجوم والكواكب، والحيوانات وما إلى ذلك.

وقد وصف الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه الصلاة والسلام هذا التبدل، وهذا الانسلاخ عن فطرة الله التي فطر الناس عليها وصفاً دقيقاً يؤرخ فيه لبداية ظهور الوثنية والشرك في حياة الناس.

فبعد أن يتحدث عن آدم عليه السلام وما انعم الله تعالى عليه، يعرّج الإمام عليه السلام في حديثه على المحنة التي مرت به عليه السلام، وما تبعها من تلقيه لكلمات ربه عز وجل، ثم استجابة توبته، وما تلاها من هبوط للأرض.

أقول: بعد حديث أمير المؤمنين عليه السلام عن سيرة آدم أبي البشر عليه السلام، وما عاناه في مطلع حياته، يحدد الإمام عليه السلام مرحلة ظهور الانحراف عن دعوة التوحيد في الأرض فيقول عليه السلام: (واصطفى سبحانه من ولده ـ من ولد آدم ـ

Alefbalib.com | بازنشر مقالات و کتب | کتابخانه مجازی الفبا

أنبياء أخذ على الوحي ميثاقهم، وعلى تبليغ الرسالة، أمانتهم، لما بدل أكثر خلقه عهد الله إليهم، فجهلوا حقه، واتخذوا الأنداد معه، واجتالتهم الشياطين عن معرفته، واقتطعتهم عن عبادته، فبعث فيهم رسله، وواتر إليهم أنبيائه، ليستأدوهم ميثاق فطرته، ويذكروهم منسي نعمته، ويحتجوا عليهم بالتبليغ . . .)[1].

فالأرض لم تشهد الشرك والانحراف عن الله عز وجل إلا بعد آدم عليه السلام في هذه الدورة الجديدة من حياة البشر واستخلافه في الأرض، أما قبل آدم عليه السلام ففي التاريخ والسنة إشارات إلى ظهور الشرك والزيغ والبغي في مسيرة الخلق الذي سبقوا ظهور آدم على ظهر هذا الكوكب[2]، كما يستفيد البعض من العلماء من قوله تعالى على لسان الملائكة:

﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾[3].

وهكذا صارت مهمة الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام بعد آدم عليه السلام إعادة الناس إلى شاطئ التوحيد ودعوته كلما اجتالتهم[4] الشياطين عن عبادة الله عز وجل.

وبينما يؤدي كل رسول من رسل الله تعالى مهمته في التبليغ ويبذل قصارى جهوده في توضيح معالم الطريق للعودة إلى الله تعالى يعود الشرك والكفر بالله تعالى بعد غيبة النبي صلى الله عليه وآله بثوب جديد فمرة باستنزال الخالق جل وعلا إلى الأرض ووصفه بصفات مخلوقاته كما فعلت اليهود والنصارى،

---

(١) خطبة رقم ١ من نهج البلاغة: ص٤٣.

(٢) الميزان في تفسير القرآن، السيد محمد حسين الطباطبائي (رض): ج١ ص١١٥.

(٣) سورة البقرة: ٣ (فالملائكة خشيت أن يكون آدم من طراز أولئك الذين سبقوا فكانوا نموذجاً للفساد وسفك الدماء والشرك، راجع تفسير الميزان في تفسير الآية المذكورة).

(٤) اجتالتهم: صرفتهم.

Alefbalib.com | بازنشر مقالات و كتب | كتابخانه مجازى الفبا

ومرة من خلال عبادة الشركاء والوسطاء كما كان عليه قوم نوح عليه السلام بعد وفاته أو كما كان العرب قبل البعثة المباركة، حتى إذا بعث محمد بن عبد الله رسولاً للعالمين صلى الله عليه وآله صدع بدعوة التوحيد مجدداً وجاهد في الله حق جهاده من اجل أن يرسخ هذا المبدأ ويضيء الدنيا بنوره وقد نزه الكتاب العزيز رب العالمين عن كل تصورات العباد الناقصة ووصفه بأفضل الصفات كما أوضح معالم التوحيد.

﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَل لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ ﴿١١٦﴾﴾[1].

﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾﴾[2].

﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾﴾[3].

﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾[4].

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴿٥﴾﴾[5].

﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[6].

﴿ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾[7].

﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾[8].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١١٦.
(٢) سورة البقرة، الآية: ١١٧.
(٣) سورة البقرة، الآية: ١٦٣.
(٤) سورة البقرة، الآية: ٢٥٥.
(٥) سورة آل عمران، الآية: ٥.
(٦) سورة آل عمران، الآية: ٦.
(٧) سورة الأنعام، الآية: ١٠٢.
(٨) سورة الأنعام، الآية: ١٠٣.

Alefbalib.com | بازنشر مقالات و کتب | کتابخانه مجازی الفبا

﴿قُلِ ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ثُمَّ أَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾[1].

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾[2].

﴿وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧٠﴾﴾[3].

﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾[4].

﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾﴾[5].

﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾[6].

وقد بذلك رسول الله ﷺ وأوصياؤه الهداة عليهم السلام كل وسعهم من أجل بلورة دعوة التوحيد وإرساء قواعدها في عقول الناس وبصائرهم، وهذه بعض المصاديق من أساليبهم، في طرح مفهوم التوحيد الخالص لله رب العالمين:

يقول المصطفى ﷺ: (الحمد لله الذي كان في أوليته وحدانياً وفي

---

(١) سورة يونس، الآية: ٣٤.
(٢) سورة الرعد، الآية: ٢.
(٣) سورة القصص، الآية: ٧٠.
(٤) سورة الحشر، الآية: ٢٢.
(٥) سورة الحشر، الآية: ٢٣.
(٦) سورة الحشر، الآية: ٢٤.

Alefbalib.com | بازنشر مقالات و کتب | کتابخانه مجازی الفبا

أزليته متعظماً بالإلهية، متكبراً بكبريائه جبروته[1] ابتدأ ما ابتدع وأنشأ ما خلق على غير مثال كان سبق بشيء مما خلق، ربنا القديم بلطف ربوبيته، وبعلم خُبره فتَقَ وباحكام قدرته خلق جميع ما خلق، وبنور الإصباح فلق، فلا مبدل لخلقه، ولا مغيّر لصنعه، ولا معقب لحكمه، ولا راد لأمره، ولا مستراح عن دعوته، ولا زوال لملكه ولا انقطاع لمدته، وهو الكينون أولاً والديموم أبداً، والمحتجب بنوره دون خلقه في الأفق الطامح، والعز الشامخ، والملك الباذخ، فوق كل شيء علا ومن كل شيء دنا فتجلى لخلقه من غير أن يكون يُرى، وهو بالمنظر الأعلى، فاحب الاختصاص بالتوحيد إذ احتجب بنوره، وسما في علوه، واستتر عن خلقه وبعث إليهم الرسل لتكونَ له الحجة البالغة على خلقه ويكون رسله إليهم شهداء عليهم، وابتعث فيهم النبيين مبشرين ومنذرين ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة، وليعقل العباد عن ربهم ما جهلوه فيعرفوه بربوبيته بعدما أنكروا ويوحدوه بالإلهية بعدما عضدوا)[2].

ويقول أمير المؤمنين علي عليه السلام: (الحمد لله الذي لا يبلغ مدحته القائلون، ولا يُحصي نعماءه العادون ولا يؤدي حقه المجتهدون، الذي لا يدركه بعد الهمم، ولا يناله غوص الفطن، الذي ليس لصفته حد محدود، ولا نعت موجود، ولا وقت معدود، ولا اجل ممدود، فطر الخلائق بقدرته ونشر الرياح برحمته ووتد بالصخور ميدان أرضه.

أول الدين معرفته، وكمال معرفته التصديق به، وكمال التصديق به توحيده، وكمال توحيده الإخلاص له، وكما الإخلاص له نفي الصفات

---

(١) أي وكان في أزليته متعظماً بالإلهية، متكبراً بكبريائه وجبروته ولا يبعد عطف في أزليته على في أوليته وكون متعظماً خبراً بعد خبر وكذا متكبراً.

(٢) التوحيد، للشيخ الصدوق: ص٤٤ ـ ٤٥.

Alefbalib.com | بازنشر مقالات و كتب | كتابخانه مجازى الفبا

عنه لشهادة كل صفة أنها غير الموصوف، وشهادة كل موصوف أنه غير الصفة، فمن وصف الله سبحانه فقد قرنه ومن قرنه فقد ثناه ومن ثناه فقد جزّأه، ومن جزأه فقد جهله، ومن جعله فقد أشار إليه، ومن أشار إليه فقد حده، ومن حده فقد عدَّه، ومن قال (فيم) فقد ضمنه، ومن قال "علام؟" فقد أخلى منه، كائن لا عن حدث، موجود لا عن عدم، مع كل شيء لا بمقارنة، وغير كل شيء لا بمزايلة، فاعل لا بمعنى الحركات والآلة، بصير إذا لا منظور إليه من خلقه، متوحد إذا لا سكن يستأنس به ولا يستوحش لفقده)[1].

ويقول الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام: (عن محمد بن أبي عمير قال دخلت على سيدي موسى بن جعفر عليه السلام فقلت له: يا ابن رسول الله علمني التوحيد، فقال: يا أبا أحمد لا تتجاوز في التوحيد ما ذكره الله تعالى ذكره في كتابه فتهلك واعلم أن الله تعالى واحد، أحد، صمد، لم يلد فيورّث ولم يولد فيشارَك، ولم يتخذ صاحبة ولا ولداً ولا شريكاً، وأنه الحي الذي لا يموت، والقادر الذي لا يعجز، والقاهر الذي لا يغلب والحليم الذي لا يعجل، والدائم الذي لا يبيد، والباقي الذي لا يفنى، والثابت الذي لا يزول، والغني الذي لا يفتقر، والعزيز الذي لا يذل، والعالم الذي لا يجهل، والعدل الذي لا يجور، والجواد الذي لا يبخل، وأنه لا تقدره العقول، ولا تقع عليه الأوهام، ولا تحيط به الأقطار، ولا يحويه مكان، ولا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير، وليس كمثله شيء وهو السميع البصير، ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا﴾[2] وهو الأول الذي لا شيء قبله والآخر

---

(١) نهج البلاغة: خطبة رقم ١، ص٣٩ ـ ٤٠.
(٢) سورة المجادلة، الآية: ٧.

Alefbalib.com | بازنشر مقالات و کتب | کتابخانه مجازی الفبا

الذي لا شيء بعده وهو القديم وما سواه مخلوق محدث تعالى عن صفات المخلوقين علوا كبيراً)[1].

إن هذه الدعوة الخالصة لتوحيد الله عز وجل هي التي حطمت الوثنية بكل أشكالها في بلاد العرب وبلاد فارس، وما وراء النهر، وبلاد الشام وأفريقيا الشمالية، ومناطق واسعة من الهند وهي التي رسخت مبدأ "لا إله إلا الله" في هذه البلدان الشاسعة من العالم وهي التي وقفت سداً منيعاً في طريق نجاح أي مشروع أو برنامج لإضلال الخلق عن الله تعالى كما جرى في الأقاليم المسلمة التي ضمتها روسيا إلى أراضيها منذ قيام الماركسية عام ١٩١٧م بالسيطرة على الحكم.

فها هم أصحاب المشروع الوثني الماركسي يولون الأدبار بعد جهود دامت قرابة السبعين عاماً استعانوا خلالها بالبطش، والإرهاب والتجويع والسجن والتربية الإلحادية، فلم يفلحوا في إطفاء جذوة الإيمان بالله الواحد الأحد.

ALEFBALIB.COM
مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

إن رسوخ عقيدة التوحيد في هذه البقعة الشاسعة من الكرة الأرضية والمعروفة اليوم بالعالم الإسلامي بشعوبها المختلفة، وعادات أهلها المتباينة ولغاتها العديدة يعد من مفاخر الفكر الإسلامي وإنجازاته التي حققها في الأرض بجهود عظيمة بذلها النبي وأهل بيته الطاهرون عليهم السلام وعلماء الإسلام المجاهدون، والدعاة إلى الله تعالى والمبلغون إلى هداه.

على أننا لا يمكن أن ننسى التأثير الإيجابي الذي أثرته دعوة التوحيد في بعض الديانات كالحركة الدينية الإصلاحية التي قادها بعض رجال الدين في أوربا لإصلاح النصرانية من أمثال لوثر، والتحرك الديني الذي صدع

---

(١) التوحيد، للشيخ الصدوق: ص٧٦ ـ ٧٧.

كتابخانه مجازى الفبا | بازنشر مقالات و كتب | Alefbalib.com

الهندوكية فظهرت ديانة السيخ التي تتأثر بقدر يعتد به بدعوة التوحيد التي حمل الإسلام لواءها.

إن دعوة التوحيد التي ترفرف راياتها اليوم في أفضل بقاع العالم وعلى أكثر شعوبها أصالة «الأقاليم الإسلامية عموماً» كانت حصيلة لمد الفكر الإسلامي الإلهي الذي أفاضه الله تعالى على الإنسانية من جبل النور في مكة المكرمة منذ تلك الدعوة المخلصة التي رفع النبيﷺ بها صوته قولوا:

(لا إله إلا الله تفلحوا).

وهاهي كلمة التوحيد تتغلغل في قلوب مئات الملايين من المسلمين تلهج بها الألسنة، وترتلها الشفاه، وتدعو إليها المآذن، وتهفو لها القلوب الحية، وتتعمق في بصائر الصادقين من المسلمين.

ومما تجدر الإشارة إليه هنا أن الرسول والأئمة الأوصياء من أهل البيت عليهم السلام كانت لهم اليد البيضاء في بلورة مفهوم التوحيد كما صاغه القرآن الكريم بعيداً عن مفاهيم التجسيد والتشبيه والتعطيل التي ابتلى بها الذين لم ينهلوا من هذا المنهل العذب.

Alefbalib.com | بازنشر مقالات و کتب | کتابخانه مجازی الفبا

٢ ـ دعوة انسانية عالية

لا تكون أية رسالة ذات بعد إنساني كامل إلا إذا هيأت الفرص الكافية لنمو طاقات الإنسان وحاجاته الطبيعية كلها مع الاحتفاظ بحالة التوازن الكامل بين هذه الطاقات والنوازع الأخرى.

فلا تَنَكّر لطاقة من طاقات الإنسان لحساب الطاقات الأخرى، ولا إنماء لحاجة طبيعية لدى الإنسان على حساب أخرى.

وإذا درسنا الرسالات السماوية والمذاهب الاجتماعية الوضعية، فأننا لا نجد رسالة أو مذهباً اجتماعياً وفّق إلى الاعتراف بالإنسان كما خلقه الله عز وجل وبكل آفاقه ومشاعره ونوازعه غير الرسالة الإسلامية الخاتمة ـ كما سيتضح ـ فالديانة النصرانية الرسمية لا تعتني في منهاجها التربوي وفي فلسفتها "الاجتماعية" إلا بالأمور المحصورة في إطار الروح، ولذا فأنها لا تهتم إلا بالطقوس العبادية، وبالتوجيهات الأخلاقية التي تدور في إطار الفرد.

أما ديانة اليهود الحاضرة فهي تشكيلة من الضوابط التي تركّز على الجوانب المادية من طاقات الإنسان إلى حد بعيد.

وإذا شئنا الحديث عن المذاهب الاجتماعية الوضعية المعروفة اليوم كالنظام الرأسمالي والاشتراكي فهي أنظمة تقصر اهتماماتها على تنمية

Alefbalib.com | بازنشر مقالات و كتب | كتابخانه مجازى الفبا

الجوانب المادية في حياة الناس كالاقتصاد وتنمية الإنتاج وتشجيع الشهوات وما إلى ذلك أم العواطف الإنسانية وإشراقات النفس المعنوية العليا، فلا أثر لها في اهتمامات هذه المذاهب البشعة.

وقد كان إفلاس الشيوعية والاشتراكية وانهيار المعسكر الاشتراكي مؤخراً في أوربا الشرقية وما يدور في فلكها من دول وأقاليم قد شكل ضربة عنيفة وجهت للمذاهب الاجتماعية الوضعية قاطبة حيث قدمت الدليل العملي على فشل التجارب الوضعية في قيادة الإنسانية نحو شاطئ السلامة والخير والنماء.

وهكذا يبقى الإسلام رسالة رب العالمين الخاتمة المحطة الوحيدة التي تستريح عندها البشرية التي ذاقت الآلام والحروب وجنت الدموع والدماء تحت ظلال التجارب الوضعية المفلسة.

وهكذا يبقى الإسلام الحنيف الرسالة الوحيدة التي تهيئ الفرص لنمو طاقات الإنسان جميعاً دون إفراط ولا تفريط باعتباره دين الفطرة الإنسانية.

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾[1].

وسوف تتضح معالم إنسانية هذه الدعوة العظيمة في بحث قادم.

أما عالمية هذا الدين فيفرضها مبدءان:

١ ـ إصرار هذا الدين على مخاطبته لكل المتمتعين بخصائص الإنسانية دون أن يكون وقفاً لأمة دون أخرى أو لغة دون أخرى أو لون دون آخر، أو عنصر دون آخر ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾[2].

---

(١) سورة الروم، الآية: ٣٠.

(٢) سورة الحجرات، الآية: ١٣.

Alefbalib.com | بازنشر مقالات و كتب | کتابخانه مجازی الفبا

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا﴾[1].

وهكذا فالإسلام في نصوصه المركزية الأصيلة ومن خلال مبادئه الأساسية خاطب الناس جميعاً وتخطى الألوان واللغات والعناصر والفوارق الاجتماعية، والجغرافية وقد ترجم المصطفى ﷺ هذا الخط الرسالي الثابت بقوله: (يا أيها الناس: إن ربكم واحد، وأن أباكم واحد، كلكم لآدم، وآدم من تراب، إن أكرمكم عند الله أتقاكم، وليس لعربي على أعجمي، ولا لأحمر على أبيض، ولا لأبيض على أسود فضل إلا بالتقوى)[2].

٢ ـ يحرص الإسلام الحنيف على إرساء مفهوم كون البشر عموماً من أصل واحد، وأما حالات التفاضل التي صنعتها الحضارات الوضعية، فليس لها مبرر بالمرة ومن أجل ذلك يقول تعالى معمّقاً هذا المفهوم:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗ﴾[3].

فلا السلالة بقادرة على إلغاء هذه الحقيقة.

ولا القوة تستطيع أن تغير هذا المفهوم.

ولا السلطان بمقدوره أن يقلب ميزان الحق.

فالناس مصدرهم التراب وأبوهم آدم عليه السلام وما عدا ذلك من التقسيمات فهي عرضية لا تنال الأصل، ولا تغير من الواقع!

---

(١) سورة سبأ، الآية: ٢٨.

(٢) خطبة الرسول ﷺ في غدير خم، راجع تحف العقول لابن شعبة الحراني: ص٣٠، ط٥.

(٣) سورة النساء، الآية: ١.

Alefbalib.com | بازنشر مقالات و کتب | کتابخانه مجازی الفبا

إن هذه الحقائق التي يرسي الإسلام عليها مفاهيمه التي يتعامل من خلالها مع الإنسان لا وجود لها في آفاق أية حضارة مهما تظاهرت أو ادعت.

فاليهودية تعتبر بني إسرائيل شعب الله المختار كما يظهر من نصوصها الدينية، وسواهم من الشعوب خلقوا بصور شبيهة لبني إسرائيل لتسنى لشعب الله! أن يستخدمهم لإنجاز مهامه في الحياة كما ورد ذلك في التلمود، أما النصرانية الرسمية فنظرتها للأمم الأخرى لا تختلف عن نظرة اليهودية لها، لأن بني إسرائيل لدى النصرانية المحرفة هم بشر دون سواهم.

والمذاهب الاجتماعية المعروفة في عالم اليوم لا تحمل الصفة الإنسانية ولا تملك مضمون العالمية الواقعية لأنها تتنكر لكثير من طاقات الإنسان وخصائصه الطبيعية، كحب المال والأشواق الروحية بالنسبة للشيوعية المفلسة والعواطف الإنسانية وأشواق النفس العليا بخصوص الرأسمالية ولعل ظاهرة التمييز العنصري، والاستعمار والاستغلال للشعوب المستضعفة، ونهب ثرواتها، وإبادة الكثير من قوى الخير فيها بعض الشواهد على النهج اللاإنساني لهذه الفلسفات والمذاهب الاجتماعية وعدم حملها لمضمون العالمية أساساً.

لقد سبق الإسلام الحنيف سواه من المذاهب والرسالات إلى الدعوة الإنسانية وهي تقود إلى العالمية بشكل طبيعي:

وإن ننسَ فلا ننسى وصية أمير المؤمنين علي عليه السلام إلى واليه على مصر مالك الأشتر النخعي (رض) حيث جاء فيها:

(واشعر قلبك الرحمة للرعية، والمحبة لهم، واللطف بهم، ولا تكونن عليهم سبعاً ضارياً تغتنم أكلهم، فأنهم صنفان: إما أخ لك في الدين أو نظير

Alefbalib.com | بازنشر مقالات و كتب | كتابخانه مجازى الفبا

لك في الخلق، يفرط منهم الزلل، وتعرض لهم العلل، ويؤتى على أيديهم في العمد والخطأ..)[1].

على أن هذا النهج الإنساني المتميز لم يبقَ حلماً لطيفاً يدغدغ العواطف البشرية المعذبة وإنما شهدته البشرية واقعاً مجسداً في الحياة التي صاغها الإسلام بيديه، وهذه مصاديق عملية لذلك الواقع:

ـ عن الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: (قال رسول الله صلى الله عليه وآله أمرني ربي بسبع خصال: حب المساكين والدنو منهم، وأن أكثر من قول لا حول ولا قوة إلا بالله، وأن أصل رحمي وإن قطعني، وأن أنظر إلى من هو أسفل مني، وأن لا أنظر إلى من هو فوقي، وأن لا يأخذني في الله لومة لائم، وأن أقول الحق، وإن كان مرّاً، وأن لا أسأل أحداً شيئا)[2].

ـ وعن عبد الله بن عباس (رض) قال: (كان رسول الله صلى الله عليه وآله يجلس على الأرض، ويأكل على الأرض، ويعتقل الشاة، ويجيب دعوة المملوك على خبز الشعير)[3].

ـ وعن أنس بن مالك قال: (خدمت رسول الله صلى الله عليه وآله سنين فما سبني سبة قط، ولا ضربني ضربة، لا انتهرني، ولا عبس في وجهي، ولا أمرني بأمر فتوانيت فيه، فعاقبني عليه...)[4].

ـ وكان منهاج علي بن أبي طالب عليه السلام أيام حكمه هو تجسيد لدين الله تعالى ـ ما يلي: (والله لئن أبيت على حسك السعدان مسهداً وأجرّ في الأغلال مصفداً، أحب إلي من أن ألقى الله ورسوله يوم القيامة ظالماً لبعض

---

(١) نهج البلاغة، من كتابه عليه السلام إلى مالك الأشتر (رض) رقم ٥٣: ص٤٢٦.
(٢) سنن النبي، المرحوم السيد محمد حسين الطباطبائي: ص٨٩.
(٣) بحار الأنوار، الشيخ المجلسي (رض): ج١٦ س٢٢٢.
(٤) أخلاق النبي وآدابه، للأصبهاني: ص٣٥.

Alefbalib.com | بازنشر مقالات و کتب | کتابخانه مجازی الفبا

العباد، وغاصباً لشيء من الحطام .. والله لو أعطيت الأقاليم السبعة بما تحت أفلاكها على أن أعصي الله في نملة أسلبها جلب شعيرة ما فعلت، وأن دنياكم عندي لأهون من ورقة في فم جرادة تقضمها، فالعليّ، ونعيم يفنى ولذة لا تبقى، نعوذ بالله من سبات العقل، وقبح الزلل وبه نستعين)[1].

ـ وكانت سياسته في العطاء كما يلي:

ـ فهو يخاطب الزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله التيمي ـ حينما كبر عليهما منهاج مساواته في العطاء: (... فوالله ما أنا وأجيري هذا إلا بمنزلة واحدة)[2].

ـ وجاءه عبد الله بن زمعة ـ وهو من شيعته ـ يطلب مالاً، فقال له علي عليه السلام: (إن هذا المال ليس لي، ولا لك، وإنما هو فيء المسلمين، وجلب أسيافهم، فإن شركتهم في حربهم، كان لك مثل حظهم، وإلا فجناة أيديهم لا تكون لغير أفواههم)[3].

ـ وكان الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام حريصاً على عزة المسلمين، ومكانتهم، وسمو نفوسهم، بعيداً عن الذل والاستخذاء فها هو يعلم الناس العزة والكرامة ونبذ الذل:

(فلا تكلموني بما تكلم به الجبابرة، ولا تتحفظوا مني بما يتحفظ به عند أهل البادرة، ولا تخالطوني بالمصانعة، ولا تظنوا بي استثقالاً في حق قيل لي، فإنه من استثقل الحق أن يقال له أو العدل أن يعرض عليه كان العمل بهما أثقل عليه! فلا تكفوا عن مقالة بحق أو مشورة بعدل)[4].

---

(١) نهج البلاغة، تبويب د. صبحي الصالح: رقم النص ٢٢٤.
(٢) مناقب آل أبي طالب، ابن شهرآشوب المازندراني: ج١ ص٣٧٨.
(٣) نهج البلاغة: رقم النص ٢٣٢.
(٤) نهج البلاغة: رقم النص ١٣١.

Alefbalib.com | بازنشر مقالات و كتب | كتابخانه مجازى الفبا

ـ ومن تعليمات الإمام الإنسانية الرفيعة عند جباية حق الدولة في الأموال:

(انطلق على تقوى الله وحده لا شريك له، ولا تروعنّ مسلماً، ولا تجتازنّ عليه كارهاً، ولا تأخذنّ منه أكثر من حق الله في ماله، فإذا قدمت على الحي، فانزل بمائهم من غير أن تخالط أبياتهم ثم امض ـ بالسكينة والوقار حتى تقوم بينهم، فتسلم عليهم، ولا تخدج بالتحية لهم، ثم تقول: عباد الله، أرسلني إليكم ولي الله، وخليفته لآخذ منكم حق الله في أموالكم، فهل لله في أموالكم من حق، فتؤدوه إلى وليه ..)[1].

ـ ومن تعليماته للولاة يعلمهم احترام إنسانية الناس، وإشعارهم بالعزة: (وإياك والمن على رعيتك بإحسانك، أو التزيد فيما كان من فعلك، أو أن تعدهم، فتتبع موعدك بخلفك، فان المن يبطل الإحسان، والتزيد يذهب بنور الحق، والخلف يوجب المقت عند الله والناس ...)[2].

ـ روى شعيب بن عبد الرحمن قال: (وجد على ظهر الحسين بن علي يوم الطف أثر، فسألوا زين العابدين عن ذلك، فقال: هذا مما كان ينقل الجراب على ظهره إلى منازل الأرامل والأيتام والمساكين)[3].

هذه بعض المصاديق العملية من نهجه الإنساني الرفيع التي جسدها الإسلام الحنيف من خلال تطبيقات الرسول القائد وأئمة أهل البيت عليهم الصلاة والسلام، ومن شاء المزيد بمقدوره أن يعود إلى السيرة المطهرة[4].

---

(١) نهج البلاغة: رقم النص ٢٥. لا تخدج بالتحية: لا تبخل بها عليهم.
(٢) نهج البلاغة، من عهد الإمام إلى مالك الأشتر (رض): رقم ٥٣.
(٣) مناقب آل أبي طالب: باب (مكارم أخلاقه).
(٤) يراجع كشف الغمة في معرفة الأئمة، أبو الفتح الأربلي. ومناقب آل أبي طالب، ابن شهر اشوب، ومجلدات السيرة المطهرة من بحار الأنوار للشيخ المجلسي (رض).

Alefbalib.com | بازنشر مقالات و كتب | كتابخانه مجازى الفبا

ومما تجدر الإشارة إليه أن النزعة الإنسانية لم تكن معروفة لدى الحضارات الوضعية السابقة للإسلام، كما لم تكن معروفة بعد ظهور الإسلام إلا بعد التواصل الحضاري بين الإسلام والأمم التي عاصرت الحضارة الإسلامية لعدة قرون حيث بدأت أوربا تعيش موجة من الأفكار والنظريات التي تعترف بحرية الإنسان وإرادته كنتيجة طبيعية لتأثير الموجة الإسلامية العالمية.

على أنه من الطبيعي أن لا يكون التأثير الإسلامي كاملاً بسبب روح المقاومة التي أبداها الغرب تجاه الإسلام إضافة إلى موقف الكنيسة وأجهزتها، وحكام الأقاليم الأوربية من الموجة الحضارية الإسلامية.

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى
ALEFBALIB.COM

Alefbalib.com | بازنشر مقالات و كتب | كتابخانه مجازى الفبا

٣ ـ الاتجاه الواقعي في رحاب الإسلام

من الضروري أن نمهد لحديثنا حول واقعية الرسالة الإسلامية المباركة بذكر حقيقة كون الإسلام رسالة تتناول حياة الإنسان من جميع أطرافها وتلبي كل حاجاته، وتأخذ بنظر الاعتبار كل ما يتعلق بواقعه الحياتي والمستقبلي من بعيد أو قريب، إضافة إلى تحقيقها لكل تطلعاته، واستجابتها لكل ميوله وأشواقه الروحية.

وتتضح هذه الحقيقة الكبرى من خلال المبادئ التالية:

١ ـ شمول أحكام الإسلام وتعليماته لكل مجالات الحياة الإنسانية كما يتضح ذلك من خلال الأبحاث الفقهية العظيمة الشاملة التي عرضها علماء الشريعة الإسلامية وهي تتناول أحكام الإسلام في مختلف شؤون الحياة الخاصة والعامة[1].

٢ ـ إعلان النصوص الشريفة عن استيعاب الشريعة الإسلامية لجميع الحاجات الإنسانية، وامتدادها لكل المجالات التي يعيشها الناس، فعن علي بن أبي طالب عليه السلام يقول:

(سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: ستكون فتن، قلت:

---

(١) يراجع وسائل الشيعة للمرحوم الحر العاملي، وشرائع الإسلام للمحقق الحلي، ومستمسك العروة الوثقى للمرحوم السيد محسن الطباطبائي الحكيم وغيرها.

Alefbalib.com | بازنشر مقالات و کتب | کتابخانه مجازی الفبا

ـ وما المخرج منها؟ قال:

ـ كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، هو الفصل ليس بالهزل، هو الذي من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى من غيره، أضله الله، فهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء ولا تلتبس به الألسنة، ولا يشبع منه العلماء، ولا يخلق عن كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه، وهو الذي من قال به صدق، ومن حكم به عدل، ومن عمل به أجر، ومن دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم)[1].

ويتحدث أمير المؤمنين عليه السلام عن علوم القرآن الكريم ومعارفه فيقول:

(ذلك القرآن، فاستنطقوه، ولن ينطق، ولكن أخبركم عنه إلا أن فيه ما يأتي، والحديث عن الماضي، ودواء دائكم، ونظم ما بينكم)[2].

ويصف الإمام أبو عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام حقيقة الشمول الذي تتمتع به الشريعة الإسلامية المباركة فيقول: (.. فيها كل حلال وحرام وكل شيء يحتاج الناس إليه، حتى الأرش في الخدش)[3].

بيد أن صفة الشمول والاستيعاب المذكورة لا يعني بالضرورة أن من مهام الشريعة، المباركة أن تتولى عملية تحديد المصطلحات اللغوية والفلسفية والفنية والعلمية وما إلى ذلك، لأن من مهام الرسالة أن تحدد المضامين والأفكار والرؤى، وليس من شأنها أن تحدد مصطلحات من هذا القبيل، ففن المصطلحات موكل للغة، وفن التعريف بالأفكار الذي يتولاه أصحاب الرسالات عادة مرهون بالتعبير الفني.

---

(١) بحار الأنوار: ج٩ ص٧، وصحيح الترمذي: ج١١ ص٣٠.

(٢) نهج البلاغة.

(٣) أصول الكافي، الشيخ محمد بن يعقوب الكليني، باب ذكر الصحيفة والجفر والجامعة ومصحف فاطمة عليها السلام: ص٢٣٩.

Alefbalib.com | بازنشر مقالات و كتب | كتابخانه مجازى الفبا

ومن استقراء لواقع التجربة الحضارية التي باشرها الإنسان المعاصر - بكل اتجاهاتها ومضامينها - يتضح أن التجربة الحضارية المعاصرة قد شهدت تحولات هائلة في حقول الحياة الإنسانية كلها: اجتماعية أو اقتصادية أو سياسية أو علمية أو فنية أو ما إلى ذلك.

وقد صحب هذه التحولات العديدة والمستجدات الضخمة - المتشعبة ظهور قاموس واسع ومفصل من المصطلحات في مختلف جوانب الحياة الفكرية والسياسية والاقتصادية وغيرها كادت أن تستوعب هذه التطورات الحاضرة بمجموعها.

على أن المصطلحات المطروحة في ثقافة اليوم تنقسم من ناحية دلالاتها إلى قسمين:

أ - مصطلحات فنية تحمل طابعاً حضارياً لا تنفك عنه بحال، كمصطلح الاشتراكية والديمقراطية، والمادية التاريخية والوجودية والقومية وأمثالها، فهي ألفاظ موضوعية لمسميات معلومة لا تتخطاها.

فالاشتراكية نظام اقتصادي له نظرته الخاصة تجاه الملكية، وتوزيع الثروة، والعلاقة مع الدولة.

والديمقراطية نظام سياسي معروف بمجالسي النواب، واشتراك الأمة باختيار طريقة إدارة الحياة السياسية.

والمادية الجدلية: مصطلح فلسفي بالغ الماركسيون في تبنيه وفرضه على تفسير الكثير من الأفكار والحركات الاجتماعية والسياسية في الحياة.

وغير ذلك ..

وهذه اللون من المصطلحات مرفوض في الإسلام الحنيف لأنه مثقل بمفاهيم ورؤى لا تنسجم مع روح الإسلام ووعيه ومفاهيمه التفصيلية، ولا يمكن إطلاقه على حقل من حقول الإسلام ومقاصده.

Alefbalib.com | بازنشر مقالات و كتب | كتابخانه مجازى الفبا

ب ـ مصطلحات ذات طبيعة (حيادية) غير مثقلة بصيغ حضارية معينة، ولا مصطبغة بصبغة مذهبية خاصة الأمر الذي يمنحها إمكانية الانتشار والاستفادة من مدارس فكرية أو فنية متعددة..

وهذه الأدوات الفنية وإن نشأت أساساً في بيئات حضارية معينة بيد أنها بقيت تحتفظ بمرونة وقابلية على أن تستفيد منها مذاهب عديدة، واتجاهات متفاوتة، وبيئات حضارية متنوعة، ومن أمثال ذلك: العدالة الاجتماعية، والواقعية، والرسالية، والانقلابية، وغيرها، على أننا عند الاستعمال نحتاج إلى الدقة ومزيد من التحديد لئلا تنزلق عند الاستعمال باتجاه المفاهيم التي حملتها عند استعمالها في التجارب الأخرى.

فالعدالة الاجتماعية مثلاً مصطلح ذو طبيعة حيادية، قابل أن تستعمله المذاهب الاجتماعية عموماً، فأنه يرد في أدبيات الرأسماليين والاشتراكيين والإسلاميين على حد سواء، إلا أن الاستعمال لا يلغي كون المداليل متناقضة، والمضامين متباينة في هذه المدارس الثلاث.

ومصطلح الواقعية شبيه بمصطلح العدالة الاجتماعية، في كونه لم يرد في الأدوات التعبيرية الفنية التي استخدمتها الرسالة الإسلامية عبر نصوصها الأصلية في الكتاب المعصوم وفي سنة المعصومين عليهم السلام، بيد أن هذا المصطلح غير مصطبغ بصبغة حضارية معينة، لذا فأن كثيراً من المذاهب الاجتماعية والأدبية والفنية تتبنى هذا المفهوم للتعبير عن اتجاه فيها مما يدل على حيادية اللفظ وديناميكيته.

وهكذا فان بالإمكان أن تستعير أدبيات المسلمين في العصر الراهن هذا المصطلح بعد تجريده عن خلفياته الفكرية.

على أننا نحتاج أن نحدد معنى الواقعية التي تنتهجها الرسالة الإسلامية في تعاملها مع الأشياء والحقائق والأحداث والمشاكل، فنقول: إن الواقعية

Alefbalib.com | بازنشر مقالات و كتب | كتابخانه مجازى الفبا

المقصودة التي يحرص الإسلام على تبنيها هي (أخذ الإنسان على طبيعته، واعتراف الإسلام، وتعامله مع كل طاقاته، وميوله الفطرية، وأشواقه المادية، والروحية التي جبل عليها دون العمل بأي شكل من الأشكال على تنمية جانب على حساب جانب آخر.

فالإسلام يتناول الإنسان من جميع أقطاره: جسداً، وروحاً، عقلاً، وعاطفةً، فرداً، وعضواً في مجتمع مع الأخذ بعين الاعتبار حالات الضعف الإنساني، والفروق الفردية بين الناس)[1].

إن هذه الواقعية تتجلى في مختلف المعالجات التي يضعها الإسلام للمشاكل الفكرية والنفسية والسياسية والاقتصادية، والاجتماعية وغيرها التي يواجهها الإنسان.

وهذه بعض الصور الواقعية التي يتبناها الإسلام الحنيف لأهم المسائل في مسيرة الحياة الإنسانية العامة.

ALEFBALIB.COM

مكانة الإنسان في الإسلام:

تتلخص نظرة الإسلام الحنيف للإنسان في كونه يتألف من قبضة من تراب، ونفخة من روح، يقول تبارك وتعالى:

﴿...إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٧٢﴾﴾[2].

فهو في نظرة القرآن الكريم مزيج من مادة وروح، ولكل من هذه العناصر مطالبها ونزعاتها، فالجزء المادي (الترابي) من الإنسان ينزع إلى

---

(١) استفدناه من رسالتنا، جماعة العلماء المسلمين في النجف الأشرف موضوع (رسالتنا إنسانية عالمية!).

(٢) سورة ص، الآيتان: ٧١ ـ ٧٢، وانظر تفسير الآية في تفسير الميزان، للسيد محمد حسين الطباطبائي (رض): ج١٧ ص٢٢٥.

Alefbalib.com | بازنشر مقالات و كتب | كتابخانه مجازى الفبا

عدد من الجوعات المادية، كالحاجة إلى الطعام والشراب، والجنس، والتملك، وما إليها من ضرورات الحياة المادية، والنفخة الروحية التي يحملها الإنسان تعبر عنها أشواقه العليا وميله للتدين، والتقديس لما يعتقد أنه مصدر وجوده أو خيره وشرّه الأمر الذي تعبر عنه ظاهرة العبادة في التاريخ البشري بظواهرها العديدة من عبادة الأصنام والنجوم والماء والنار، والشمس والقمر، وتقديس الأبطال وما إلى ذلك فضلاً عن عبادة الله الواحد الأحد تبارك وتعالى..

وليس من مقاصد هذا البحث أن يشير إلى تفاهة تلك العبادات وسفاهة الغارقين في وحلها، وإنما هدفنا أن نشير إلى أن لها دافعاً طبيعياً فطرياً، وقد تحدثت سيدة نساء العالمين فاطمة بنت الرسول ﷺ حول المعبودات الشائعة عند مبعث أبيها سيد المرسلين قالت:

(ابتعثه الله ـ تقصد الرسول ﷺ ـ إتماماً لأمره، وعزيمة على إمضاء حكمه، وإنفاذاً لمقادير حتمه، فرأى ﷺ الأمم فرقاً في أديانها عكّفاً على نيرانها، عابدة لأوثانها منكرة لله مع عرفانها)[1].

إن نظرة الإسلام للتركيب الطبيعي للإنسان لم يأتِ على شكل نظرية أو تخمين أو احتمال وإنما هي صورة واقعية لهذا الكائن نطق بها وحي الله، وعرضها كلامه المعصوم، إضافة إلى أن الدراسات الحديثة تتجه مؤخراً نحو هذه النظرة الإسلامية للإنسان[2].

على أن هذه النظرة الواقعية للإنسان تلتها معالجة واقعية لمشاكله

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج١٦ ص٢١١، بإسناده لخطبة الزهراء ﷺ في مسجد الرسول ﷺ.

(٢) أنظر كتاب: الإنسان ذلك المجهول، الكسيس كاريل. والطاقة الإنسانية، أحمد حسين.

Alefbalib.com | بازنشر مقالات و كتب | كتابخانه مجازى الفبا

ومطالبه الحياتية، بالشكل الذي يحفظ التوازن ويأخذ جوعات الإنسان كما هي دون إفراط وتفريط:

١ ـ فلا تهالك على المادة وضروراتها على حساب الأشواق الروحية:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾[١].

ويقول المصطفى ﷺ مهاجماً المتهالكين على الدنيا المتخذين منها هدفاً:

(ما لي أرى حب الدنيا قد غلب على كثير من الناس حتى كأن الموت في هذه الدنيا على غيرهم كتب، وكأن الحق في هذه الدنيا على غيرهم وجب . . .)[٢].

ويعرض أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام نفس المفهوم فيقول:

(يا أيها الناس متاع الدنيا حطام موبيء، فتجنبوا مرعاه، قلعتها أحظى من طمأنينتها، وبلغتها أزكى من ثروتها)[٣].

٢ ـ ولا تنكّر لضرورات الحياة، ومتطلبات الجسد من أجل إثراء الأشواق الروحية لدى الإنسان، قال رسول الله ﷺ:

(لم يرسلني الله تعالى بالرهبانية، ولكن بعثني بالحنفية السهلة، السمحة: أصوم، وأصلي، وألمس أهلي، فمن أحب فطرتي، فليستنَّ بسنتي)[٤].

---

(١) سورة فاطر، الآية: ٥.

(٢) تحف العقول، ابن شعبة الحراني: ص٢٢.

(٣) نهج البلاغة: ص٥٣٩. موبيء: ذو وباء مهلك، القلعة: عدم السكون للاستيطان، أحظى: أسعد، البلغة: ما يكتفى به للقوت.

(٤) الفروع من الكافي للشيخ الكليني (رض): ج٥ كتاب النكاح، ص٤٩٤.

Alefbalib.com | بازنشر مقالات و كتب | كتابخانه مجازى الفبا

وهكذا فليس في الإسلام الحنيف رهبانية مدبرة عن الحياة الدنيا، وليس فيها إقبال متهالك على الدنيا وضروراتها ومطالبها المادية، بل أن أسلوب الإسلام الواقعي هو الحرص على تجسيد حالة من التوازن بين الطاقات والجوعات الطبيعية التي يحملها الإنسان.

قال تعالى مبلوراً منهج الإسلام هذا:

﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾﴾[1].. وقال تعالى:

﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ...﴾[2].

وقال رسول الله ﷺ شارحاً هذا الاتجاه الإسلامي، وأسلوب الرسالة الواقعي في تحقيق الموازنة الكاملة بين ضرورات الحياة الإنسانية:

(إن لأنفسكم عليكم حقا، فصوموا، وافطروا، وقوموا، وناموا، فأني أقوم، وأنام، وأصوم، وأفطر، وآكل اللحم، والدسم، وآتي النساء، ومن رغب في سنتي، فليس منّي)[3].

وإلى نفس المفهوم يشير أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بقوله: (للمؤمن ثلاث ساعات، فساعة يناجي فيها ربّه، وساعة يرم بها معاشه، وساعة يخلي بين نفسه، وبين لذتها، فيما يحل، ويجمل)[4].

وبناء على ذلك فمن المناسب أن نذكر هنا بوضوح أن الخطب

---

(١) سورة القصص، الآية: ٧٧.
(٢) سورة الأعراف، الآية: ٣٢.
(٣) كلمة الرسول، للمرحوم السيد حسن الشيرازي: ص١٢٤، ط١.
(٤) نهج البلاغة: ص٥٤٥، يرم: يصلح.

Alefbalib.com | بازنشر مقالات و كتب | كتابخانه مجازى الفبا

والمواعظ التي طفحت بالهجوم على الدنيا وزخرفها في نهج البلاغة كان الإمام علي عليه السلام يهدف من خلالها إلى أمرين:

أ ـ إن محور الهجوم في خطب الإمام عليه السلام ومفاهيمه كان اتخاذ الدنيا هدفاً من قِبَل قطاع من الناس رغم كونها وسيلة وهدفاً للآخرة.

ب ـ يهدف الإمام القائد عليه السلام إلى تبيان قيمة الدنيا وحقيقتها إزاء الآخرة ونعيمها، وإعادة بناء الأمة بناء يتسم بالتوجه للنعيم الباقي في الآخرة الذي كان سرّ نجاح المسلمين وتألقهم في عهد النبي الكريم صلى الله عليه وآله حيث التزموا هذا الخط الأصيل.

وفي كتاب الله العزيز والسنة المطهرة الكثير من النصوص التي تحمل هذا المفهوم، ولعل رسالة الحقوق التي أملاها الإمام السجاد علي بن الحسين عليه السلام من أكثر النصوص الشريفة شمولاً لمبدأ الموازنة بين مطالب الحياة الإنسانية جمعاء حيث تطرق الإمام عليه السلام للكثير من التفاصيل طارحاً أبعاد:

ALEFBALIB.COM
مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

ـ علاقة الإنسان بربه الأعلى عز وجل، وما ينبغي أن تكون عليه.

ـ علاقة الإنسان مع نفسه بأبعادها المختلفة، وأسرته، ومجتمعه بمؤسساته المتعددة[1].

بيد أن مبدأ التوازن الذي يتبناه الإسلام في مواجهة متطلبات الإنسان لا يحول دون حض الإسلام لأتباعه على الانطلاق، والترفع على قيود الضروريات المادية.

فالإسلام ـ بحكم واقعيته ـ قد أولى الحياة الدنيا نصيباً وافراً من

---

(١) تراجع رسالة الحقوق في وسائل الشيعة: ج١١ ص١٣١ ـ ١٣٨، باب (جملة ما ينبغي القيام به من الحقوق الواجبة والمندوبة).

Alefbalib.com | بازنشر مقالات و کتب | کتابخانه مجازی الفبا

الاهتمام، فلأجل أن يتمتع الإنسان المسلم بحياة دنيوية يسودها الرفاه، والسعادة، والفضيلة، والسلام عمل الإسلام على معالجة كل قضايا الإنسان الحياتية:

ـ فوضع نظاماً مالياً شاملاً لكل المسائل المالية ككيفية كسب المال، ووجوه صرفه، وحدّد موقف المسلم من ثروات هذا الوجود الرحيب، وغير ذلك.

ـ وعالج مسألة الحكم، فحدد شروط الحاكم العادل، وعلاقته بالأمة وواجباته الرسالية في القيادة، والتوجيه.

ـ ووضع تصوره عن علاقة الإنسان بأخيه الإنسان في إطار العقيدة الإسلامية أو في حالة الاختلاف في الدين، وغير ذلك.

ـ ورسم تخطيطاً لعلاقة المجتمع المسلم مع المجتمعات الأخرى التي يتعايش معها.

ـ وحدد أنواع الطعام، والشراب التي يجوز للإنسان المسلم تعاطيها.

وهكذا كان تخطيط الإسلام لشؤون الإنسان الدنيوية شاملاً، وحكيماً على أن الإسلام من جانب آخر لا يألو جهداً في رفع المستوى الروحي للإنسان، ودفعه باستمرار نحو السمو، وعلى التطلع نحو عالم أرحب: عالم الآخرة.

على أن هذا الدفع باتجاه السمو الروحي إنما يأتي عن طريق التربية والإعداد، وإشعار المسلم بأهمية الشوط الثاني من حياته (الآخرة) حيث النعيم الأبدي، ورضوان الله الأكبر الذي أعدّ للمتقين.

وكتاب الله العزيز مليء بهذا اللون من التوجيه المعبر الموقظ: فهلم نتلو هذه الآيات الكريمة لتتجلى لنا طريقة الإسلام الحنيف في إعداد المسلم، وتوجيهه نحو الرفعة، والسمو:

Alefbalib.com | بازنشر مقالات و كتب | كتابخانه مجازى الفبا

﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴿١٤﴾ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿١٥﴾﴾[1].

﴿قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَىٰ﴾[2].

﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[3].

وإذا كان تبني الإسلام لمبدأ تحقيق التوازن بين أطراف الحاجات الإنسانية جميعاً: الروحية منها والمادية يجسد النظرة الواقعية التي يختطها الإسلام الحنيف من أجل إسعاد الإنسان في الدنيا والآخرة، فأن إشعار المسلم بأهمية الشوط الثاني من حياته، وضرورة الترفع على لذاذات النفس، والارتفاع رويداً، رويدا في سلم التقوى، والتوجه نحو الله عز وجل ذلك الذي يعني: الاهتمام بالناحية الروحية بشكل أرحب، وأعمق . .

أقول: إن إشعار المسلم بأهمية الأمر الأخير، وحثه باستمرار على انتهاجه، لا يعني بحال أن ينزع المسلم نفسه من الأرض، ويولي دبره للدنيا، وما فيها، وإنما يعطي الآخرة نصيبها الذي تستحق بالنظر لما تحتله من مساحة من حياة الإنسان المديدة!

ومن هنا فأن الحث على التوجه نحو الحياة الأخرى، وشد المسلم إليها لا يخرج النظرة الإسلامية عن المنهج الواقعي المتبنى، بل هو منها في

---

(١) سورة آل عمران، الآيتان: ١٤ ـ ١٥.
(٢) سورة النساء، الآية: ٧٧.
(٣) سورة الأنعام، الآية: ٣٢.

Alefbalib.com | بازنشر مقالات و کتب | کتابخانه مجازی الفبا

الصميم، لأن الإسلام بهذا التوجه يتعامل مع واقع سيصير إليه الإنسان، ثم هو بعد ذلك لا يشاء عزل الإنسان عن معترك الحياة الدنيا، وضروراتها بقدر ما يحبب إليه الزهد في لذاذاتها الرخيصة، والتوجه لما هو أرفع منها.

على من الجدير ذكره أن الترفع على الضرورات "الزهد" ليس خطاً إلزامياً في شريعة الإسلام بقد ما هو محبب لمن يشاء انتهاجه من المؤمنين طلباً للزلفى، وتسامياً على الشهوات.

بقي علينا أن نتعرف على الكيفية التي عامل بها الإسلام الحنيف خصائص الكائن الإنساني كلاً على حده، وإن كنا مضطرين اضطراراً إلى هذا اللون من التقسيم، إذا كان الكيان الإنساني بجميع أطرافه وحدة متكاملة مترابطة، العناصر، متفاعلة الأجزاء لا ينفصل فيها جسم عن عقل ولا أي منهما عن الروح.

ALEFBALIB.COM
مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

Alefbalib.com | بازنشر مقالات و کتب | کتابخانه مجازی الفبا

٤ ـ البعد الروحي في الإنسان
موقعه والموقف منه

انسجاماً مع الاتجاه الواقعي الذي يلتزمه الإسلام الحنيف في تعامله مع الأشياء والحقائق والمشاكل، فقد تبنى الإسلام نهجاً متميزاً في تلبية المطالب الروحية لدى الإنسان يحرص هذا المنهج على تلبية مطالب الأشواق الروحية لدى الإنسان من خلال أفضل السبل وأقومها، مع المحافظة على خطة التوازن بينها وبين المطالب المادية في كيان الإنسان.

وقد قام المنهاج التربوي الذي سلكه الإسلام الحنيف وفق هذين المحورين فريداً متميزاً يجعل الإنسان المسلم دائم التسبيح، دائم الاتصال، دائم الذكر لله رب العالمين، فصحيح أن الصلوات، والصيام والدعاء وقراءة القرآن الكريم والاستغفار، والأوراد وما إليها ينابيع روحية تمد جسور الصلة بالله الواحد الأحد، فَتَسبح فيها الأشواق الروحية مسبحة ذاكرة، فينقلب الإنسان رياً روياً راضياً، إلا أنها ليست نهاية المطاف..

فالإسلام الحنيف يعطي العبادة مفهوماً شاملاً عميقاً إذ كل عمل يعمله الإنسان تلبية وطاعة لله عز وجل، فهو عبادة، وكل أمر ينأى ابن آدم عنه تقرباً وطلباً للثواب فهو عبادة، وكل سبيل يسلكه المؤمن وقد ندب الباري عز وجل إليه، فهو عبادة.

Alefbalib.com | بازنشر مقالات و كتب | كتابخانه مجازى الفبا

وهكذا يكون المسلم الذي هذا نهجه وكأنه في خشوع دائم، وتطلع دائم إلى الله عز وجل تجسيداً لقوله تعالى:

﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾﴾[1].

إنه في عبادة، وهو في محرابه كما هو في عبادة، وهو في مكتبه وهو في عبادة عندما يكون في متجره أو عبادته أو قاعدة درسه أو ساحة جهاده، إنه الاتصال الدائم بالله عزّ وجل وعلا، واستشعار وجوده، وعظمته في كل آن.

على أن الإسلام الحنيف، قد وضع محطات دائمة أخرى على طريق المسيرة الإنسانية هي غير الصلاة والصيام وما إليها فهناك:

ـ استشعار وجود الله تعالى فيما حول الإنسان من حقائق أشياء ومخلوقات تملأ ساحة النفس والآفاق: في السماء والأرض، والحيوان والنبات والجماد، وكل دقيق، وجليل فضلاً عن الإنسان هذا المخلوق العجيب.

ـ المراقبة الدائمة الواعية لله تعالى، واستشعار مخافته، والشعور بهيمنته في كل حقل، وفكرة نشاط.

ـ التوكل على الله تعالى في الأمور كلها.

ـ اللجوء إلى الله، والتسليم له جل شأنه وعلا.

ـ التقوى والعمل الصالح كما شاء الله رب العالمين.

إن القرآن الكريم مليء بالآيات الموقظة الموحية التي تعمّق تلك المبادئ الهادية:

ففي حقل الشعور بعظمة الله عز وجل من خلال مخلوقاته نقرأ هذا النموذج:

﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٦٢.

Alefbalib.com | بازنشر مقالات و کتب | کتابخانه مجازی الفبا

تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١١﴾ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾﴾[1].

وفي حقل مراقبة الله تعالى الدائمة للعباد يقول عز وجل:

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾﴾[2].

﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ﴿٩﴾ سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ ﴿١٠﴾﴾[3].

ويسلط القرآن الضوء على قيمة الخشوع، والتقوى لله تعالى، وآثارها العظيمة في مسيرة المؤمنين، فيقول تبارك وتعالى:

﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١﴾﴾[4].

---

(١) سورة فاطر، الآيات: ١١ ـ ١٣.

(٢) سورة المجادلة، الآية: ٧.

(٣) سورة الرعد، الآية: ٩ ـ ١٠.

(٤) سورة المؤمنون، الآيات: ١ ـ ١١.

Alefbalib.com | بازنشر مقالات و کتب | کتابخانه مجازی الفبا

وفي القرآن الكريم العديد من الآيات الكريمة التي تحث على التوكل، والصبر والتسليم لله رب العالمين.

وحول المحاور التي أشرنا إليها يتحدث أمير المؤمنين علي عليه السلام حديث العبرة والتدبر والتعليم:

فحول خلق العالم يقول الإمام عليه السلام:

(أنشأ الخلق إنشاء، وابتدأه ابتداء، بلا روية أجالها، ولا تجربة استفادها، ولا حركة أحدثها، ولا همامة نفس اضطرب فيها. أحال الأشياء لأوقاتها، ولأم بين مختلفاتها، وغرز غرائزها، وألزمها أشباحها عالماً بها قبل ابتدائها، محيطاً بحدودها وانتهائها، عارفاً بقرائنها، واحنائها، ثم أنشأ ـ سبحانه ـ فتق الأجواء، وشق الأرجاء، وسكائك الهواء، فأجرى فيها ماء متلاطماً تياره متراكماً زخّاره، حمله على متن الريح العاصفة، والزعزع القاصفة، فأمرها بَرّده، وسلطها على شدّه، وقرنها إلى حدّه الهواءُ من تحتها فتيق، والماء من فوقها دفيق، ثم أنشأ سبحانه ريحاً اعتقم مهبَّها، وأدام مُرَبَّها، وأعصف مجراها، وأبعد منشاها، فأمرها بتصفيق الماء الزخار، وإثارة موج البحار، فمخضته، مخض السقاء، وعصفت به عصفها بالفضاء، ترد أوله إلى آخره، وساجيه إلى مائره، حتى عبَّ عبابه، ورمى بالزبد ركامُه فرفعه في هواء منفتق، وجو منفهق، فسوى منه سبع سموات، جعل سفلاهن موجاً مكفوفاً، وعلياهن سقفاً محفوظاً، وسمكاً مرفوعاً بغير عمد يدعمها، ولا دسار ينظمها، ثم زينها بزينة الكواكب وضياء الثواقب، وأجرى فيها سراجاً مستطيراً، وقمراً منيراً، في فلك دائر، وسقف سائر ورقيم مائر)[1].

وحول حقيقة التقوى وأبعادها يقول علي عليه السلام:

(فاتقوا الله تقية من سمع فخشع، واقترب فاعترف، ووجل فعمل،

---

(١) نهج البلاغة، نص رقم ١: ص٤٠ ـ ٤١.

Alefbalib.com | بازنشر مقالات و کتب | کتابخانه مجازی الفبا

وحاذر فبادر، وأيقن فأحسن، وعبِّر فاعتبر، وحذِّر فحذَرَ، وزجر فازدجر، وأجاب فأناب، وراجع فتاب، واقتدى فاحتذى وأري فرأى، فأسرع طالباً، ونجا هارباً، فأفاد ذخيرة، وأطاب سريرة، وعمر معاداً، واستظهر زاداً ليوم رحيله ووجه سبيله، وحال حاجته، وموطن فاقته، وقدم أمامه لدار مقامه، فاتقوا الله عباد الله جهة ما خلقكم له واحذروا منه كنه ما حذركم من نفسه، واستحقوا منه ما أعد لكم بالتنجز لصدق ميعاده، والحذر من هول معاده)[1].

وحول محاسبة النفس وإشعارها بحقيقة وجودها وهدفها يقول عليه السلام:

(عباد الله، زنوا أنفسكم من قبل أن توزنوا، وحاسبوها من قبل أن تحاسبوا، وتنفسوا قبل ضيق الخناق، وانقادوا قبل عنف السِّياق، واعلموا أنه من لم يعَن على نفسه حتى يكون له منها واعظ وزاجر، لم يكن له من غيرها لا زاجر ولا واعظ)[2].

وفي أهمية أركان الإسلام وذكر الله عز وجل يتحدث الإمام علي عليه السلام فيقول:

(إن أفضل ما توسل به المتوسلون إلى الله سبحانه وتعالى، الإيمان به وبرسوله، والجهاد في سبيله، فأنه ذروة الإسلام وكلمة الإخلاص، فأنها الفطرة واقام الصلاة، فأنها الملّة وإيتاء الزكاة، فأنها فريضة واجبة، وصوم شهر رمضان فأنه جنّة من العقاب، وحج البيت واعتماره فأنهما ينفيان الفقر ويرحضان الذنب وصلة الرحم، فانها مثراة في المال ومنسأة في الأجل، وصدقة السر فأنها تكفر الخطيئة، وصدقة العلانية فأنها تدفع ميتة السوء، وصنائع المعروف فأنها تقي مصارع الهوان.

أفيضوا في ذكر الله فأنه أحسن الذكر، وارغبوا فيما وعد المتقين فأن

---

(١) نهج البلاغة، خطبة ٨٣: ص١٠٩ ـ ١١٠.

(٢) نفس المصدر السابق، خطبة ٩٠: ص١٢٣.

Alefbalib.com | بازنشر مقالات و كتب | كتابخانه مجازى الفبا

وعده أصدق الوعد، واقتدوا بهدي نبيكم فانه أفضل الهدي، واستنوا بسنته فأنها أهدى السنن)[1].

وحول الموت يقول أمير المؤمنين عليه السلام:

(أو ليس لكم في آثار الأولين مزدجر، وفي آبائكم الماضين تبصرة ومعتبر، إن كنتم تعقلون، أولم تروا إلى الماضين منكم لا يرجعون وإلى الخلف الباقين لا يبقون، أولستم ترون أهل الدنيا يصبحون ويمسون على أحوال شتى، فميت يبكى، وآخر يعزى، وصريع مبتلى، وعائد يعود، وآخر بنفسه يجود، وطالب للدنيا والموت يطلبه، وغافل ليس بمغفول عنه، وعلى أثر الماضي ما يمضي الباقي.

إلا فاذكروا هادم اللذات، ومنغص الشهوات، وقاطع الأمنيات، عند المساورة، للأعمال القبيحة واستعينوا الله على أداء واجب حقه، وما لا يحصى من أعداد نعمه وإحسانه)[2].

وهكذا شرع الإسلام الحنيف من سبل معرفة الله عز وجل، ووسائل الانشداد إليه عز وجل، وطرق الارتباط به الشيء الكثير:

﴿لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾[3].

وهنا تتجلى العلامة الفارقة بين شريعة الله الخاتمة، والنصرانية الحالية التي تعطي للعبادة لوناً باهتاً محصوراً في إطار طقوس كنسية خاوية لا تستجيب لطموحات الروح، ولا تروي ظمأها، ولا تشبع جوعتها! إضافة إلى أن النصرانية المعاصرة تعطي للعبادة مفهوماً ضيقاً لا تتعدى إطار الطقوس التي يؤديها النصارى في أيام الآحاد.

---

(١) نهج البلاغة، الخطبة ١١٠: ص ١٦٣.
(٢) نفس المصدر، خطبة ٩٩: ص١٤٥.
(٣) سورة ق، الآية: ٣٧.

Alefbalib.com | بازنشر مقالات و كتب | كتابخانه مجازى الفبا

وبناء على ذلك يكون أتباع الكنيسة قد اختطوا اليوم منهجاً غريباً يقضي (بتقسيم الحقوق) بين الإنسان وبين الله تعالى، فللّه يصلون في الكنيسة ويقرؤون الأناجيل مثلا، بينما يمكّنون الإنسان من رسم طريقه في الحياة وفقاً لمشيئته فيشرع حسب مقتضيات مصالحه، ويقنن وفقاً لما تملي عليه رغباته وأهواؤه.

وقد كشف القرآن الكريم عن خطأ التصور النصراني الكنسي، وأنحى باللائمة على النصارى الذين حصروا عبادة الله في زاوية محددة، في حين أعطوا منظريهم وقادة الرأي فيهم حق التشريع، والتقنين، قال تعالى:

﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾﴾[1].

ولقد أوضح الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام المفهوم الذي طرحته الآية الكريمة الانفة الذكر حيث قال عليه السلام:

(أما والله ما دعوهم إلى عبادة أنفسهم، ولو دعوهم إلى عبادة أنفسهم ما أجابوهم، ولكن أحلوا لهم حراماً، وحرموا عليهم حلالاً، فعبدوهم من حيث لا يشعرون)[2].

غير أن إنسان الإسلام ليس له أن يرسم شوطه في الحياة، ولا أن يشرع لنفسه، ويقنن، ولا أن يحدد مسيرة قافلة الحضارة والتاريخ، وإنما يلتمس كل ذلك من الله تعالى، فالله هو الخالق، والله هو المدبر لشؤون البشر وحياتهم.

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٣١.

(٢) الميزان، البحث الروائي: ج٩ ص٢٥٤، ط٢، بيروت الأعلمي.

Alefbalib.com | بازنشر مقالات و كتب | كتابخانه مجازى الفبا

﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[1].

﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[2].

والمسلم في المنطقة الإسلامي عابد يتلقى ما يأمره ربه تعالى بالتسليم والطاعة فليس له أن يخالف منهج الله، وليس له أن يشرع قبال شرعه الكريم:

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾﴾[3].

على أن المشرّع الأعلى عز وجل قد ضمن للإنسان من جانبه تلبية شريعته الغراء لكل متطلبات الإنسان، وطموحاته، ومستجيبة لكل حاجاته الفطرية، ومشاكله المستجدة لتضمن الشريعة الإلهية للمسلم ـ من خلال ذلك ـ عدم اللجوء لسد الحاجة التشريعية التي يواجهها عبر مسيرته التاريخية إلى تجارب حضارية أخرى، أو من خلال اللجوء إلى (التقنين الذاتي).

وهذا الموقف من الرسالة ـ موقف التغطية لكل حاجات الإنسان ـ موقف واقعي بالصميم، فقد علم الله سبحانه وتعالى أن حياة الإنسان من شأنها التحول، والتغيير، والتطور.

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ٥٤.

(٢) سورة يوسف، الآية: ٤٠.

(٣) سورة الأحزاب، الآية: ٣٦.

Alefbalib.com | بازنشر مقالات و كتب | كتابخانه مجازى الفبا

٥ ـ واقعية الإسلام
والطالب المادية للإنسان

وانسجاماً مع خطة الإسلام الواقعية في تعامله مع الأشياء والأحداث والوقائع فقد منحت الشريعة الإسلامية، الحاجات المادية لدى الإنسان نصيبها المناسب من الاهتمام والرعاية بالشكل الذي يحفظ حالة التوازن بين مطالب المادة وغيرها في حياة الإنسان وقد حقق الشرع الإسلامي ما يلي رعاية للجوعات الطبيعية لدى الإنسان:

١ ـ أقرّ الإسلام الحنيف النزوع إلى تملك المال لدى الإنسان وأعطى الفرص المناسبة للاستجابة لهذه الحاجة الحياتية:

﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴿٨﴾﴾[1].

﴿وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾﴾[2].

﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُوا۟ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ﴾[3].

على أن الإسلام لم يبح التملك للمال دون ضوابط وإنما قضى بفرض القيود المناسبة للحيلولة دون النمو الاقتصادي السرطاني في دنيا المسلمين.

---

(١) سورة العاديات، الآية: ٨.
(٢) سورة الفجر، الآية: ٢٠.
(٣) سورة النساء، الآية: ٣٢.

Alefbalib.com | بازنشر مقالات و كتب | كتابخانه مجازى الفبا

وقد تبنى الإسلام لتحقيق هذا الهدف منهجين معاً:

أ ـ سد منافذ التحول غير المشروع كالاتجار بالخمر، والتعامل بالربا والقمار والغش، والشعبذة، وما إلى ذلك مما هو مثبت في كتب الفقه الإسلامي[1].

ب ـ فرض الإسلام الضرائب المالية كالزكاة، والخمس كضرائب ثابتة على المال، وخول ولي أمر المسلمين لفرض ضرائب تصاعدية كضريبة الجهاد أيام العدوان على المسلمين مثلاً.

ورغم اعتراف الإسلام بالملكية الخاصة المحددة بأطر وضوابط معلومة فانه يدعم الملكية العامة في الحياة الاقتصادية للمسلمين، لتوفير مستلزمات النهضة في بلاد المسلمين، إضافة إلى رعاية شؤون العاجزين عن العمل وأمثالهم من خلال هذه الملكية العامة.

فالإسلام مدرك لمخاطر الفقر والحاجة والحرمان في المجتمع من ناحية الاستقرار النفسي والالتزامي، ومن ناحية موقف الإنسان المحتاج الجائع من المجتمع ورسالته، فالمحروم المستَغَل المسحوق يخشى عليه من الانحراف الروحي والأخلاقي، وأن خطب الوعظ وأساليب التخدير لا تقف أمام ثورة البطن الجائع.

فالكلام الوعظي لا يسد عوز المحروم، ولا يمنع من كرهه للمستغلين، ولا يمنع من الكفر بالوضع الذي لا يستجيب لحاجاته الضرورية ويلبيها.

ولهذه الواقعية في فهم الحقائق يرفض الإسلام الحنيف بشدة حرمان الناس وإفقارهم، ويعلن حربه على الفقر بجميع مظاهره، فهذا علي بن أبي طالب عليه الصلاة والسلام يوضح بقوة مخاطر الفقر بقوله:

---

(١) راجع شرائع الإسلام، للمرحوم المحقق الحلي (كتاب التجارة) وغيره.

Alefbalib.com | بازنشر مقالات و كتب | كتابخانه مجازى الفبا

(الفقر منقصة للدين، مدهشة للعقل، داعية للمقت)[1].

ويبين رسول الله ﷺ أهمية الغنى وسد الحاجة في حياة الناس فيقول:

(نعم العون على تقوى الله الغنى)[2].

ويعلن الإمام علي عليه السلام صراحة: (إلا وأن من البلاء الفاقة، وأشد من الفاقة مرض البدن، وأشد من مرض البدن مرض القلب، ألا وأن من النعم سعة المال، وأفضل من سعة المال صحة البدن، وافضل من صحة البدن تقوى القلوب)[3].

وكان الإمام علي عليه السلام يبالغ في دعاء ربه الأعلى عز وجل أن يوسع عليه رزقه حتى لا يضطر إلى سؤال أحد من الناس، وأن يحفظه من ذل السؤال:

(اللهم صن وجهي باليسار، ولا تبذل جاهي بالإقتار، فاسترزق طالبي رزقك، واستعطف شرار خلقك، وابتلى بحمد من أعطاني، وافتتن بذم من منعني، وأنت من وراء ذلك كله ولي الإعطاء، والمنع، إنك على كل شيء قدير)[4].

ولقد أنحى الإسلام باللائمة على المتخلفين عن أداء حق الأمة في أموالهم وحملهم مسؤولية ما يتعرض له البعض من حاجة، قال أمير المؤمنين علي عليه السلام:

(إن الله سبحانه فرض في أموال الأغنياء أقوات الفقراء، فما جاع فقير إلا بما متع به غني، والله تعالى سائلهم عن ذلك)[5].

ولم يكتف الإسلام الحنيف بمهاجمة الفقر، وتعداد سيئاته في حياة

---

(١) نهج البلاغة، باب المختار من الحكم، رقم النص٣١٩.
(٢) الفروع من الكافي، كتاب المعيشة.
(٣) نفس المصدر، النص ٣٨٨.
(٤) نهج البلاغة، باب الخطب، رقم النص ٢٢٥. اليسار: الغنى، الإقتار: الفقر.
(٥) نفس المصدر، باب المختار من الحكم، رقم النص ٣٢٨.

Alefbalib.com | بازنشر مقالات و كتب | كتابخانه مجازى الفبا

الفرد والجماعة، وتبيان أسبابه، والتحذير منه، وإنما وضع تخطيطاً حكيماً لعلاج أسبابه التي يتيسر علاجها، فضلاً عن علاجه كموضوع:

١ ـ فقد شجع القادرين على ممارسة العمل على كسب قوتهم، وعد كسب القوت الحلال، وبذل الوسع من أجله عبادة إسلامية، وحذر من التهاون في مسألة كسب الرزق.

قال رسول الله ﷺ:

(ملعون من ألقى كله على الناس)[١].

(العبادة سبعون جزء أفضلها طلب الحلال)[٢].

(نعم العون على تقوى الله الغنى)[٣].

٢ ـ الزام الإسلام لجهاز الحكم الذي يلتزم بمبادئه بضرورة الاهتمام بفتح المشاريع لتوفير العمل للقادرين عليه، ولنا فيما جاء بالوثيقة الدستورية التي كتبها الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام إلى واليه على مصر للعمل بمقتضاها خير مثال على ذلك، فقد ورد من جملة ما ورد فيها ما يلي:

(وليكن نظرك في عمارة الأرض، أبلغ من نظرك في استجلاب الخراج لأن ذلك لا يدرك إلا بالعمارة، ومن طلب الخراج بغير عمارة أخرب البلاد، وأهلك العباد)[٤].

٣ ـ تشريع مبدأ التكافل العام بين الناس: ويقضي هذا المبدأ بضرورة الإنفاق على المحتاجين، وتغطية نفقاتهم من قبل الأمة، وقد جاءت صياغة هذا المبدأ من خلال النصوص الآتية:

---

(١) الفروع من الكافي، الشيخ الكليني (رض)، كتاب المعيشة.
(٢) المصدر السابق.
(٣) المصدر السابق.
(٤) عهد أمير المؤمنين عليه السلام إلى واليه على مصر مالك الأشتر (رض).

كتابخانه مجازى الفبا | بازنشر مقالات و كتب | Alefbalib.com

قال رسول الله ﷺ:

(ما آمن بي من بات شبعان وجاره جائع إلى جنبه، وهو يعلم به)[1].

(من كان له فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له، ومن كان له فضل زاد، فليعد به على من لا زاد له)[2].

وقال الإمام محمد بن علي الباقر عليه السلام:

(من حق المؤمن على أخيه المؤمن أن يشبع جوعته، ويواري عورته، ويفرج كربته، ويقضي دينه . . .)[3].

وقد عدد الإمام الصادق عليه السلام حقوق المسلم على المسلم وذكر منها:

(.. لا تشبع ويجوع، ولا تروى ويظمأ، ولا تلبس ويعرى)[4].

٤ ـ إلزام الدولة بكفالة المحتاجين كفالة مباشرة: فمن كتاب علي أمير المؤمنين عليه السلام إلى حاكم مصر يحدد فيه الإمام عليه السلام مسؤولية الحاكم المسلم تجاه أهل الفاقة، والحرمان بقوله:

فيقول: (ثم الله الله في الطبقة السفلى، من الذين لا حيلة لهم من المساكين، والمحتاجين وأهل البؤس، والزمني .. واحفظ الله ما استحفظك من حقه فيهم واجعل لهم قسماً من بيت مالك، وقسماً من غلات صوافي الإسلام .. وتعهد أهل اليتم، وذي الرقة في السن ممن لا حيلة لهم ..)[5].

ويتحدث الإمام القائد عليه السلام عن هذه المسؤولية بالذات في حديث آخر فيقول:

---

(١) المحجة البيضاء في تهذيب الأحياء، الفيض الكاشاني: ج٣، (كتاب آداب الصحبة والمعاشرة).

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

(٤) المصدر السابق.

(٥) نهج البلاغة، عهد الإمام علي عليه السلام إلى واليه على مصر مالك الأشتر (رض).

Alefbalib.com | بازنشر مقالات و کتب | کتابخانه مجازی الفبا

(هيهات أن يغلبني هواي، ويقودني جشعي إلى تخير الأطعمة، ولعل بالحجاز أو اليمامة من لا طمع له بالقرص، ولا عهد له بالشبع، أو أبيت مبطاناً، وحولي بطون غرثى، وأكباد حرّى)[1].

وهكذا يتناول الإسلام المسألة الاقتصادية من جميع أقطارها ويعالجها علاجاً شاملاً، بالنظر لأهميتها، وتأثيرها في مسيرة الإنسان في الحياة، الأمر الذي ينسجم مع الخط الواقعي الذي يتبناه الإسلام في تناول مسائل الحياة الإنسانية كلها.

ثانياً: اعتراف الإسلام الحنيف بالغريزة الجنسية كجانب حيوي في الكينونة الإنسانية، قال تعالى:

﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ﴾[2].

وإلى جانب اعتراف الإسلام بالميل الجنسي لدى الإنسان، طرح مفهومه حول إشباع ذلك الميل، وقضى للمؤمنين ألا يخالفوا عن أمره، ولا يتجاوزوا أطروحته لإشباع الجوعة الجنسية قال تعالى:

﴿فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ...﴾[3].

﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُم بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً﴾[4].

وحيث شرع الإسلام الحنيف الزواج بشقيه: الدائم والمنقطع كطريق طبيعي لإشباع الجوعة الجنسية فانه في ذات الوقت قد منع من ممارسة الزنا، واللواط والمساحقة، وسواها من سبل معوجة، وشرع العقوبات لمخالفي نهجه المتين:

---

(١) نهج البلاغة، كتابه رقم ٤٥: ص ٤١٨.
(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٤.
(٣) سورة النساء، الآية: ٣.
(٤) سورة النساء، الآية: ٢٤.

Alefbalib.com | بازنشر مقالات و كتب | كتابخانه مجازى الفبا

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾[1].

وبالإضافة إلى ما ذكرنا من المناهج الإسلامية المتبناة لرعاية النزعات المادية عند الإنسان، فأن الشريعة الإسلامية قد اهتمت كثيراً بحمل الإنسان على ضرورة التمتع بخيرات هذه الوجود الرحيب، لأنه لم يخلقه إلا من أجله، ولخيره وسعادته، قال تعالى:

﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾[2].

﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ...﴾[3].

﴿وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾[4].

هذا فضلاً عن أن الإسلام قد منع من تعاطي كل ما يوجب ضرراً للإنسان كأكل لحم الخنزير، والدم وشرب الخمر، وأكل الميتة وغيرها، قال عز وجل:

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾[5].

﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ﴾[6].

وهكذا يطرح الإسلام مبادئه وأحكامه من خلال التزامه بمبدأ الواقعية في تناول المشكلات، وفي أسلوب العلاج.

---

(١) سورة المؤمنون، الآيات: ٥ ـ ٧.
(٢) سورة الجاثية، الآية: ١٣.
(٣) سورة الأعراف، الآية: ٣٢.
(٤) سورة الحديد، الآية: ٧.
(٥) سورة المائدة، الآية: ٣.
(٦) سورة المائدة، الآية: ٩٠.

Alefbalib.com | بازنشر مقالات و كتب | كتابخانه مجازى الفبا

٦ ـ القوى العقلية لدى الإنسان
كيف يتعامل الإسلام معها؟

لم يهتم دين من الأديان ـ فيما نعلم ـ بقوى الإنسان العقلية كما اهتم الإسلام الحنيف بها، ولقد استفاضت النصوص الصحيحة الواردة عن المعصومين عليهم السلام التي تتناول مسألة العقل ودوره في مسيرة الإنسان المسلم.

ولهذه الأهمية التي يوليها الإسلام لطاقة الإنسان العقلية، فقد اعتاد علماء الحديث الأقدمون أن يفتتحوا مؤلفاتهم بباب يخصص للحديث عن العقل والجهل[١].

أما كتاب الله العزيز فقد اهتم اهتماماً بالغاً بالعقل، وربط قضية الانفتاح على الرسالة وأهدافها بالقوى العقلية التي حباها الله تعالى للإنسان:

﴿وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾﴾[٢].

﴿ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۚ يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾﴾[٣].

---

(١) لاحظ أصول الكافي، الشيخ أبو جعفر محمد بن يعقوب الكليني (رض): ج١ ص١٠ ـ ٢٩.

(٢) سورة النحل، الآية: ٦٧.

(٣) سورة النحل، الآية: ٦٩.

Alefbalib.com | بازنشر مقالات و كتب | كتابخانه مجازى الفبا

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾[1].

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿٤٦﴾﴾[2].

ومن أحاديث المعصومين عليهم السلام بهذا الشأن نذكر ما يلي:

(أخبرنا أبو جعفر محمد بن يعقوب قال: حدثني عدة من أصحابنا منهم محمد بن يحيى العطار، عن أحمد بن محمد، عن الحسن بن محبوب، عن العلاء بن رزين، عن محمد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام قال: لما خلق الله العقل استنطقه ثم قال له: أقبل فأقبل، ثم قال له: أدبر فأدبر، ثم قال: وعزتي وجلالي ما خلقت خلقاً هو أحب إلي منك ولا أكملتك إلا فيمن أحب، أما أني إياك آمر، وإياك أنهى، وإياك أعاقب، وإياك أثيب)[3].

(أحمد بن أدريس، عن محمد بن عبد الجبار، عن بعض أصحابنا رفعه إلى أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت له: ما العقل؟ قال: ما عبد به الرحمن واكتسب به الجنان، قال: قلت: فالذي كان في معاوية؟ فقال: تلك النكراء، تلك الشيطنة، وهي شبيهة بالعقل، وليست بالعقل)[4].

عن أحمد بن إدريس، عن محمد بن حسان، عن أبي محمد الرازي، عن سيف بن عميرة، عن إسحاق بن عمار قال: (قال أبو عبد الله عليه السلام: من كان عاقلاً كان له دين، ومن كان له دين دخل الجنة)[5].

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٩٠.
(٢) سورة الحج، الآية: ٤٦.
(٣) أصول الكافي: ج١ ص١٠ ـ ١١.
(٤) المصدر السابق.
(٥) أصول الكافي: ج١ ص١٠ ـ ١١.

Alefbalib.com | بازنشر مقالات و كتب | كتابخانه مجازى الفبا

(عده من أصحابنا عن أحمد بن محمد بن خالد، عن الحسن بن علي ابن يقطين، عن محمد بن سنان، عن أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنما يداق الله العباد في الحساب يوم القيامة على قدر ما آتاهم من العقول في الدنيا)[1].

وضمن عملية الاهتمام بالقوى العقلية لدى الإنسان حدد الإسلام الحنيف مهام العقل الأساسية وأوضح مساحة دائرة الصلاحيات الممنوحة له، والمجالات التي يجوز له التحرك خلالها، وبذلك استطاع الإسلام أن يجنب عقل المسلم من ارتياد عوالم ومجالات يضل ويزيغ بارتيادها.

فمساحة المعرفة صحيح أنها واسعة جداً إلا أن أدوات الوصول إليها تختلف من حقل لآخر ومجال لآخر.

فمن حقول المعرفة ما يتم حصوله من خلال الملاحظة، والتجربة واستعمال الحواس الخمسة ككثير من حقول المعرفة الطبيعية في الأرض والسماء والنبات والحيوان والإنسان وما إلى ذلك.

ومن المعرفة ما لا يمكن الحصول عليه إلا من خلال الوحي المقدس، والإلهام والتسديد لمعارف التشريع الإلهي، ومبادئ الرسالات، والعلوم الإلهية التي يتلقاها الأنبياء وأوصياؤهم صلى الله عليهم أجمعين، الأمر الذي لا يتسنى للعقل ولا للتجارب العملية أن ترتاده .. نعم بمقدور العقل في هذا الحقل من المعرفة أن يستوعب أو يضع خطة لإيصال هذه المعلومات إلى الآخرين مثلاً.

ومن المعرفة ما يعتمد كلياً على العقل كاستخلاص النتائج، والحكم على صحة الوقائع، أو خطئها وتطبيق القواعد على التفصيلات، والربط بين

---

(١) المصدر السابق.

Alefbalib.com | بازنشر مقالات و كتب | كتابخانه مجازى الفبا

الظواهر، واستنباط ما بينها من عوامل مشتركة وأمثال ذلك.

على أن من الجدير ذكره أن نفوذ العقل حاكم على إنجازات التجارب والملاحظات، كما في حالة الحكم على صحة الشيء أو خطئه أو الربط بين الظواهر، على أنه مع ذلك يبقى للتجارب والملاحظات دور كبير في تحقيق الإنجازات العلمية بيد أنها تقف عند حدود جمع المعلومات، وتحضير (موادها الخام) لتضعها بين يدي العقل ليمارس دوره في إكمال عمليات الوصول للحقائق الكبرى.

ومن أجل ذلك فأن عمليات المختبر لا تحقق المطلوب ما لم يتدخل العقل ليحكم على التجارب ويدير عمليات استخلاص النتائج، وتوجيه عمليات الوصول للحقائق، وهكذا فان كافة الملاحظات والتجارب لا تجري أبداً دون الاعتماد على العقل، وإن كانت في بداية العمل تعتمد على ما تعتمد عليه.

ومن هنا فبمقدورنا أن نقول: أن إسحاق نيوتن المكتشف لقانون الجاذبية لم يتوصل إلى إنجازه العلمي المعروف بالملاحظات والتجارب فحسب، وإنما أخضع تجاربه وملاحظاته للربط والاستنتاج، وهما أمران يباشرهما التفكير العقلي، الأمر الذي ينطبق عل كافة الأعمال والإنجازات العلمية التي حققها علماء الطبيعة بالأمس وفي الحاضر.

ومما تجد الإشارة إليه أن المعلومات والمبادئ التي يتلقاها النبي والوصي عليهما السلام من خلال الوحي أو الإلهام من الله عز وجل لا تحتاج إلى إعمال كبير للعقل بالنسبة للمتلقي الأول لها وهو النبي أو الإمام عليه السلام على أنها بالنسبة للمبلِّغين من البشر تحتاج إلى الجهد العقلي من أجل استيعابها، وإدراك مراميها.

وهكذا فأن لكل من الوحي والعقل، والحواس مهماته، وحدوده وآفاقه

Alefbalib.com | بازنشر مقالات و كتب | كتابخانه مجازى الفبا

بيد أن مرجعية العقل في ضوء الإسلام تبقى متميزة في حقول المعرفة كلها.

إن هذا الفهم لقضية المعرفة وأبعادها صريح في وضوحه من خلال آيات الكتاب العزيز وسنة المعصوم عليه السلام.

يقول تعالى حول المعرفة التي يتلقاها النبي صلى الله عليه وآله من خلال الوحي المقدس: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾﴾[1].

ويقول الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام حول درجات التلقي من الله تعالى بالنسبة للرسول والنبي والإمام عليهم السلام: (عن علي بن إبراهيم، عن إسماعيل بن مرّار قال: كتب الحسن بن العباس المعروفي إلى الرضا عليه السلام: جعلت فداك ما الفرق بين الرسول والنبي والإمام؟ قال: فكتب أو قال: الفرق بين الرسول والنبي والإمام أن الرسول الذي ينزل عليه جبرائيل فيراه ويسمع كلامه وينزل عليه الوحي وربما رأى في منامه نحو رؤيا إبراهيم عليه السلام، والنبي ربما سمع الكلام وربما رأى الشخص ولم يسمع، والإمام هو الذي يسمع الكلام ولا يرى الشخص)[2].

وحول مفهوم الإسلام الحنيف في تحصيل المعرفة التي تأتي من طريق غير الوحي يقول تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾[3]، حيث تجسد الآية المباركة أن المعرفة تعتمد على التتبع، والملاحظة،

---

(١) سورة الشورى، الآيتان: ٥١ ـ ٥٢.

(٢) الكافي، باب الفرق بين الرسول والنبي والمحدث: ج١ ص١٧٦.

(٣) سورة الحج، الآية: ٤٦.

Alefbalib.com | بازنشر مقالات و كتب | كتابخانه مجازى الفبا

والمشاهدة، والتجربة، واستخلاص النتائج، والربط بين الظواهر التي تلتقي معها الحواس بواسطة العقل الذي أفاضه الله عز وجل على العباد وميّزهم به عن سواهم من المخلوقات.

وفوق هذا وذاك، فقد وضع الإسلام ضوابط وقواعد لتعصم العقل من الانحراف، وتخطي الأهداف التي يرجو الإسلام تحقيقها.

فقد نأى الإسلام الحنيف بالعقل المسلم عن أشكال التقليد الأعمى، والتحجر، وحال بينه وبين الخرافات، والشعوذة، وأعلن حربه وشجبه للمعطلين عقولهم عن التفكير الحر كما هاجم أسرى التقاليد المنحرفة، وعاب على المتحجرين جهودهم.

قال تعالى في كتابه العزيز: ﴿قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾[1].

﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا﴾[2].

﴿وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا۟ تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾﴾[3].

وهكذا صار بمقدور الإسلام الحنيف أن يتجاوز الخطأ التاريخي الذي اقترفته المسيحية الرسمية حين فرضت القيود على العلم والعلماء وتبنّت مفاهيم وتصورات أطلقت عليها اسم (الحقائق الكنسية) وبذلت كل وسع لكمّ أفواه العلماء الذين يُخالفون نظرياتها (العلمية) في أية قضية تمس الكون والإنسان .. إلا أن الموجة (العقلية) التي اجتاحت أوربا في بدايات النهضة الصناعية، اجتاحت متبنيات المسيحية، وألقت بها خارج التاريخ[4]

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٧٠.

(٢) سورة النجم، الآية: ٢٨.

(٣) سورة يس، الآية: ٦٢.

(٤) لاحظ التربية وفلسفتها، الدكتور نوري جعفر: ص٣٨ وما بعدها، ط١ بغداد.

Alefbalib.com | بازنشر مقالات و کتب | کتابخانه مجازی الفبا

كما هزّت القيم المسيحية، أمام موج من التشكيك بكل مبادئها وآرائها بناء على ذلك الخطأ الذي ارتكبت.

إلا أن طموح العقليين وهو سهم في أوربا جعلهم يخضعون كل شيء للعقل، وتحميله فوق ما يحتمل، وتكليفه بخوض أمور ليست من شأنه أن يخوضها، مما أوقعهم في متاهات فكرية لا طائل تحتها الأمر الذي تسبب في نجاح الموجة الحسّية التي اجتاحت أوربا بعد ذلك وشككت في كل شيء لا يخضع أدواتها، مما تسبب في شكهم بالعقل ذاته لأنه لا يقع تحت وسائلهم المادية !!

وبين تلك التيارات العديدة ـ على ما بينها من تناقض ـ بقي العقل الإسلامي على منأى من الهزات العنيفة التي زلزلت الذهنية الأوربية عبر العديد من القرون فبقي محافظاً على موقعه. الطبيعي في ساحة الفكر فيما أخذت التجربة والملاحظات دورها في دنيا الفكر الإسلامي كذلك.

وكان للنهج الواقعي الذي يلتزمه الإسلام في وعيه للإنسان وإدراك قواه، ومدى فاعليتها الفضل الأكبر في سلوك المسلم لأقوم السبل في تحصيل المعرفة، فلا تفريط بالحواس لحساب العقل، ولا تفريط بالعقل لأجلها.

ولقد أثر هذا النهج الإسلامي ثماراً طيبة في دنيا الإنسان منها :

١ ـ انفتاح العقل المسلم على الوجود الرحيب، وانطلاقه في أرجائه بحثاً عن المعرفة دون أن تكون ثمّة منطقة محرمة عليه، اللهم إلا إذا كانت ليست في حدود طاقاته، وإمكاناته كحقائق علم الغيب مثلاً.

أما اكتشاف حقائق هذا العالم، والبحث عن القوانين التي تحكم أجزاءه والقوى الفاعلة فيه، فهي من اختصاص العقل الإسلامي، ووظائفه.

وفي الكتاب العزيز الكثير من الآيات الكريمة التي تحضّ المسلم على

Alefbalib.com | بازنشر مقالات و كتب | كتابخانه مجازى الفبا

اكتشاف حقائق الوجود، والتفاعل معه، والإفادة منه بكل ما يملك من وعي وإدراك.

﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾﴾[1].

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ﴾[2].

﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ...﴾[3].

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلْأَرْضِ كَمْ أَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿٧﴾﴾[4].

٢ ـ ولقد أثمرت هذه الدعوة القرآنية المفتوحة ثمارها اليانعة خلال التجربة الإسلامية ـ رغم انتكاستها ـ فتبوأ العقل الإسلامي مركز الريادة في دنيا الناس، حيث حقّق المسلمون عبر تجربتهم الحضارية إنجازات فكرية، وعلمية مُدهشة على شتى الأصعدة يشير إلى ذلك:

أ ـ إرساء قواعد الكثير من العلوم: كعلم أصول الفقه، وعلم النحو العربي، وعلم البصريات، وعلم الاجتماع، وغيرها.

ب ـ المساهمة في إنضاج العديد من العلوم الأخرى، وإثرائها بأساليب ومعلومات وأسس جديدة، كعلم الطب، والفلك، والرياضيات، والكيمياء، والفلسفة، والنبات وغيرها.

٣ ـ ولقد كان للنهضة العلمية الرائدة التي تميزت بها التجربة الإسلامية في كل من بغداد، والقاهرة، وقرطبة، وغيرها من مدن الإسلام الكبرى أثرها البالغ في إرساء قواعد التقدم العلمي الرائع الذي تحظى به أوربا

---

(١) سورة الغاشية، الآيات: ١٧ ـ ٢٠.
(٢) سورة الحج، الآية: ٤٦.
(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٨٥.
(٤) سورة الشعراء، الآية: ٧.

Alefbalib.com | بازنشر مقالات و كتب | كتابخانه مجازى الفبا

اليوم، ومازالت الجامعات العلمية الكبرى في أوربا، ومؤرخو النهضة الحديثة يذكرون بمزيد من الاعتزاز مآثر أجيال من علماء المسلمين الذين أرسوا القواعد التي أقامت عليها أوربا نهضتها العلمية الحاضرة نذكر منهم على سبيل المثال:

- يعقوب الكندي، وابن رشد، وأبو حامد الغزالي، وأبو نصر الفارابي، والصنعاني، وغيرهم في الفلسفة.

- وأبو علي بن سينا، وأبو زكريا الرازي، وأبو القاسم الزهراوي، ومحمد التامير، وغيرهم في الطب.

- والخوارزمي، وجابر بن حيان، ونصير الدين الطوسي، وأبو عمر القلصاوي في الرياضيات.

- وجابر بن حيان وأمثاله في الكيمياء.

- والحسن بن الهيثم في علم البصريات.

- وإبراهيم الزرقاني، وعلي بن يونس وغيرهما في الفلك. وغيرهم كثير، ومازالت آراء بعض علماء الإسلام تحتل مكاناً رفيعاً في الجامعات الأوربية الحديثة[1].

ومن الطبيعي أن تؤتي شجرة النهضة الإسلامية ثمارها يانعة على أجيال من علماء الإسلام، ومفكريه، كنتيجة للنهج الإسلامي القويم في تحصيل المعرفة (الذي يدعمه العقل، والملاحظة، والتجربة فضلاً عن العلوم التي أتاحها الوحي المقدس) حيث تُمثل تلك الوسائل روافد الفكر الإنساني.

ولقد أشاد الكثير من علماء الغرب بالمنهج الإسلامي المُتبنى في مضمار تحصيل المعرفة، فيقول الأستاذ Briffault في كتابه: Making of Humanity.

---

(١) مناهج البحث عند مفكري الإسلام، د. علي سامي النشار: ص٣٧٢، ط٣ ١٩٦٦، دار المعارف.

Alefbalib.com | بازنشر مقالات و کتب | کتابخانه مجازی الفبا

(إن روجر بيكون درس العلم العربي دراسة عميقة، وأنه لا ينسب له ولا لسميه الآخر أي فضل في اكتشاف المنهج التجريبي في أوربا، ولم يكن روجر بيكون في الحقيقة إلا واحداً من رسل العلم، والمنهج الإسلامي إلى أوربا المسيحية ولم يكفّ بيكون عن القول بأن معرفة العرب وعلمهم هما الطريق الوحيد للمعرفة الحقة لمعاصريه)[1].

ويقول سيديو: (الحركة العلمية عند العرب تتميز بالانتقال من المعلوم إلى المجهول والتحقيق الدقيق من ظواهر السماء، ورفض كل حقيقة كونية لم تثبت إلا عن طريق الملاحظة الحسية)[2].

ويقول مسيو ليبري: (لو لم يظهر العرب على مسرح التأريخ لتأخرت نهضة أوربا عدة قرون)[3].

الأمر الذي يكشف عن مدى الإثارة التي تركها الفعل الإسلامي الحضاري عموماً والعلمي خصوصاً على مسيرة الإنسان المعاصر.

٤ ـ ومن ثمار المنهج الإسلامي المُتبنى في تحصيل المعرفة تعرف العقل الإسلامي على الكثير من أسرار التشريع الإلهي وحكمته، وتمتعه بالقدرة على فهم الصور التطبيقية للشريعة عبر التحولات في حياة البشرية من ناحية وسائل المعيشة، وتطوراتها، ومن ناحية التغيرات المطردة في مضمار المدنية بشتى شعبها في الصناعة والزراعة والتنظيمات الاجتماعية، وتطوراتها، وغير ذلك.

---

(١) المصدر السابق: ص٣٨٣.
(٢) الإسلام والعالم المعاصر، أنور الجندي: ص٣١٠، ط٢ ١٩٨٠م، دار الكتاب اللبناني.
(٣) الإسلام والحضارة الإنسانية: الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي: ص١٦٥، ط١، ١٩٧٣م دار الكتاب اللبناني.

Alefbalib.com | بازنشر مقالات و كتب | كتابخانه مجازى الفبا

على أن الذي ينبغي إدراكه هنا: إن العقل الإسلامي حين يطرح العديد من الصور التطبيقية للشريعة الإسلامية عبر الزمن، أو حين يستنبط الحلول لمشاكل الإنسان المستجدة، فإنما يمارس دور المكتشف للأحكام والمفاهيم فحسب، لأنه يتعامل مع نصوص شاملة لجميع جوانب الحياة الإنسانية، الأمر الذي يمارسه الفقهاء المجتهدون دون سواهم، حيث أن المجتهد في الوعي الإسلامي إنما يمارس دور المكتشف[1] للحكم الشرعي الموجود بين ثنايا الكتاب العزيز وسنّة المعصوم عليه السلام، وعليه فحسب أن يبذل وسعه ـ وفقاً لأسس وشروط معينة ـ لاستحصال الحكم أو المفهوم، من النصوص الجاهزة، وليس من حقه أبداً أن يطرح حلولاً أو أحكاماً من متبناته الشخصية، ويفرغ عليها صفة الأحكام الشرعية.

ومهمة المجتهد حين تحتل هذا الموقع، وتأخذ هذه الأبعاد، فأن ذلك ناجم عن روح الشمول التي تمتاز بها شريعة الله الخاتمة لكل مشاكل الإنسان الحياتية، أما رفض الشريعة لصيغ الاجتهاد قبال نصوصها الصحيحة، فهو مبدأ ثابت في كتاب الله العزيز وسنّة المعصوم عليه السلام ... يقول عز وجل:

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾﴾[2].

ونريد أن نثبت هنا عبر هذه الإشارة إلى دور الفقيه المجتهد في الشريعة الإسلامية وما يحتله العقل في دنيا الفكر الإسلامي (حتى الأساسي منه) كالأحكام الشرعية والمفاهيم والمبادئ العامة والصور التطبيقية للشريعة عبر

---

(١) العالم الجديد للأصول، السيد الشهيد محمد باقر الصدر (قد): ص٤٠، ط النعمان، النجف الأشرف، ١٣٨٥هـ.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٣٦.

Alefbalib.com | بازنشر مقالات و كتب | كتابخانه مجازى الفبا

العصور، حيث ندرك الأهمية البالغة التي يوليها الإسلام للعقل المسلم، ومدى الثقة التي يمنحها إياه بناء على التزامه بمنهج قويم في وسائله ومتبنياته ومنطلقاته.

ولابد من التأكيد في نهاية المطاف حول مكانة العقل في الإسلام على أن المنهج الإسلامي المتبنى في تحصيل المعرفة بقدر ما يعبر عن سلامة خطه، وصحة مساره، فأنه يطرح بكل قوة، ووضوح مبدأ الواقعية التي يلتزمها الإسلام الحنيف كروح يسري في جميع متبنياته الرسالية، ومفاهيمه، وأحكامه، الأمر الذي يتجلى من خلال رعاية الإسلام للعقل، وإزاحة كل العقبات عن طريقه، هذا فضلاً عن فسح المجال لوسائل المعرفة الأخرى لأداء (دورها) في دنيا الفكر الإسلامي.

وإذا كان العقل المسلم قد توقف اليوم عن تحقيق ما تصبو إليه البشرية في عالم المعرفة، فإن ذلك جاء كنتيجة طبيعية لوأد التجربة الإسلامية وغياب المناخ المناسب، الذي يوفر للعقل المسلم الازدهار، والنماء والعطاء.

ولنا وطيد الأمل أن يحتل العقل الإسلامي موقعه المناسب في المستقبل القريب إن شاء الله تعالى.

كتابخانه مجازى الفبا | بازنشر مقالات و كتب | Alefbalib.com

٧ ـ قضية التراث والمعاصرة

بعد اجتياح فكر التجربة الأوربية الحديثة لكافة الأفكار والرؤى التي كانت سائدة قبل عصر ما يُسميه الأوربيون بالنهضة الحديثة في أوربا، انتقلت إلى بلاد المسلمين بعد مرحلة السقوط أمام الهجمة الأوربية الغازية أفكار ونظريات ورؤى الإنسان الأوربي عموماً، وكانت فكرة الصراع بين القديم والحديث إحدى النظريات التي امتطت صهوة الغزو الأجنبي لبلاد المسلمين.

ALEFBALIB.COM

وتعني هذه الفكرة فيما تعني: إن الإسلام، رسالة وشريعة ليس بمقدوره أن يساير موجة التجديد في حياة الناس، ولذا تعبر بعض الدراسات والأدبيات عن تلك الفكرة الوافدة بالصراع بين الدين والعلم، أو التراث والمعاصرة وما إلى ذلك من مصطلحات ..

وقد شهد العالم الإسلامي موجة تنادي بهذه الفكرة حيث مثلها مفكرون، وشخوص، ومؤسسات اجتماعية وسياسية، ومنتديات فكرية ووسائل إعلام، ومعاهد تربوية، ورجال علم، إلى غير ذلك.

وإذا كان الصراع بين القديم والجديد له مبرراته الواقعية في أوربا من بعض الوجوه .. كما لاحظنا في أبحاث سابقة، فأن هذه المبررات لا وجود لها في بلاد المسلمين:

Alefbalib.com | بازنشر مقالات و كتب | كتابخانه مجازى الفبا

١ ـ فإن القديم الأصيل عندنا لم يعلن حربه على الجديد، ولم يقف حجر عثرة في طريق التقدم والتطور ومستجدات الحياة.

٢ ـ كما أن الجديد في بلاد المسلمين لم يشن حرب إبادة على كل مقولات القديم الموروث من قيم ومبادئ ومقدسات كما جرى بالنسبة لعدوان الفكر الجديد ونظرياته على كل موروث في الحياة الفكرية والاجتماعية والسياسية في أوربا، نعم إن النزعة العدوانية التي أججها العملاء الفكريون في بلاد المسلمين، والمتحجرون من المسلمين هي التي أوجدت حالة من التدابر بين القديم والموروث مع الجديد النافع.

وإذا استثنينا الأسباب الخارجية التي أججت هذا الصراع بين الأصالة والمعاصرة في العالم الإسلامي ـ وهي أسباب أساسية ـ لوجدنا أن هناك عوامل أخرى تشكل أرضية مناسبة لعيش فكرة الصراع بين القديم والحديث في بلادنا وهذه العوامل ندرجها في محورين:

١ ـ تحجر بعض مؤسساتنا الفقهية الرسمية، وحشرها للإسلام في زاوية الاجترار لبعض المفاهيم والصور التطبيقية التي تخطاها الزمن، وعدم قدرة تلك المؤسسات على استيعاب المتغيرات الجديدة في عالم المدنية، والقوانين، والتشريعات.

ويُعتبر فرمان (الكلخانة) الذي أصدره السلطان العثماني عبد المجيد عام ١٨٣٩م أوضح الأدلة على فشل المؤسسة الفقهية الرسمية التي عجزت عن مد نظام الدولة العثمانية بالقوانين التي تستوعب مستجدات الحياة في ضوء الشريعة الإسلامية حيث عمل السلطان العثماني المذكور على إجراء أخطر عملية لتطعيم الدستور العثماني في ذلك التاريخ المبكر بمواد قانونية أوربية، مما سجل انطباعاً لدى الكثير من المسلمين، أو هكذا يستفاد من

Alefbalib.com | بازنشر مقالات و كتب | كتابخانه مجازى الفبا

هذه النكسة في أن الفقه الإسلامي عاجز عن مسايرة تطورات الحياة الفكرية والعلمية والاجتماعية.

٢ ـ اعتقاد بعض المتعلمين من المسلمين أن التحولات العلمية والتقنية التي شهدتها أوربا بعد النهضة الصناعية العامة فيها جاء نتيجة طبيعية للتجربة الاجتماعية والسياسية الأوربية الحديثة، ولذا فأن أي تحول مدني مناسب في دنيا المسلمين يتطلب الائتمام بالإنسان الأوربي في اتجاهه الحضاري عموماً!!، مما عزز نظرية الفصل بين الإسلام والحياة، وأعطى مبرراً للتحرك العلماني الواسع في العالم الإسلامي على شكل أحزاب، ومناهج، ومؤسسات ثقافية وإعلامية، وما إلى ذلك.

على أن الاعتقاد المذكور لم يمتلك سنداً واقعياً بالمرة، فالذي يدرس تاريخ أوربا الحديثة لا يشك مطلقاً، بأن الثورة الصناعية وما أنتجت قد سبقت التحولات الفكرية والدستورية في أوربا الحديثة، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فأنا نجد أن التطورات العلمية لو كانت محصلة طبيعية للمنهج الحضاري أو السياسي لما وجدنا هذه التطورات يشترك فيها مختلف الأنظمة السياسية والاتجاهات الحضارية من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار.

فالتقدم العلمي ـ والفني تجده يبلغ القمة في ظلال نظام نازي كنظام هتلر في ألمانيا، بينما تجد هذا التقدم ذاته في ظل نظام رأسمالي ـ إقطاعي إمبراطوري كاليابان الحديثة، إضافة إلى وجود هذا التحول العلمي الكبير في ظلال أنظمة رأسمالية ـ ديمقراطية كبريطانية وفرنسا وأمريكا، وأنظمة شيوعية، كالنظام الروسي أو غيره.

وهكذا فهو ليس وقفاً على اتجاه حضاري دون آخر شريطة أن يجد أجواء مناسبة للانطلاق والنمو.

Alefbalib.com | بازنشر مقالات و كتب | كتابخانه مجازى الفبا

إن هذين المحورين ـ تحجر المؤسسات الفقهية الرسمية، وربط التحول العلمي في أوربا بأفكارها المتبناة ـ قد وفرا فرصاً مناسبة للصراع بين الإسلام ومبادئه من جهة والتقدم العلمي من جهة ثانية ولو بقي الصراع المذكور فكرياً لهان الأمر، إلا أن ذلك الصراع تحوّل إلى صراع عملي بين قوى ومؤسسات ورجال فكر، وقد ظهرت على مسرح الأحداث بناء على ذلك ثلاثة اتجاهات:

أ ـ اتجاه يدعو إلى التخلي عن الإسلام، واعتباره مبادئ مرحلية عفا عليها الزمن وهو اتجاه الأحزاب الشيوعية في العالم الإسلامي، والقوى الاشتراكية المتأثرة بها كأفكار ميشيل عفلق، وقسطنطين زريق، والياس فرح، وجورج حبش ومن إليهم من القوميين الاشتراكيين في العالم الإسلامي.

ب ـ اتجاه يدعو إلى تطوير الإسلام بما ينسجم مع الحضارة الأوربية المعاصرة ويتولى هذا الخط تفسير الإسلام ومبادئه وأفكاره تفسيراً ديمقراطياً أو اشتراكياً أو ما إلى ذلك من أفكار وافدة.

وقد ظهرت الكثير من المؤلفات التي تفسر الإسلام بهذا الاتجاه في عقد الستينات أمثال: ديمقراطية القومية العربية ـ د. عبد الله العربي، المجتمع الإسلامي بين النظرية والتطبيق ـ البهي الخولي، اشتراكية الإسلام ـ د. مصطفى السباعي، الإسلام بين الإنصاف والجحود ـ د. عبد الغني حسن، وغيرها من مؤلفات.

حيث طابقت هذه المؤلفات بين الشريعة الإسلامية والمذاهب الاجتماعية والسياسية الحديثة، الأمر الذي يقود إلى إضفاء الشرعية على تلك المذاهب الوافدة، وتوفير الأرضية لقبولها، إضافة إلى طمس هذه

Alefbalib.com | بازنشر مقالات و كتب | كتابخانه مجازى الفبا

الدعوة الخطيرة لمعالم الإسلام تحت ركام هذه المبادئ الوضعية الوضيعة.

ج ـ دعوة تنادي بالانغلاق على الذات، والاكتفاء بالموروث من المفاهيم الإسلامية والصور التطبيقية الماضية للشريعة، ورفض كل ما عدا ذلك من فكر ومفاهيم وعلم، ومعرفة، وتقنية.

وقد ظهر هذا الاتجاه المنكفئ على الذات في اليمن في عصر الأئمة في بدايات هذا القرن كما ظهر في أفغانستان في بداية هذا القرن أيضاً، كما جسدته بعض المؤسسات الفقهية التقليدية والاتجاهات الصوفية، وتكايا الزهاد والمتصوفة.

إلا أن هذا الاتجاه سرعان ما طواه الزمن عبر تغييراته المتسارعة بالنظر لمخالفته لروح الإسلام، ومطالب الحياة الإنسانية المتجددة.

ويختلف الموقف الثالث عن الموقفين السالفين في أن الموقف الأخير كان يتحرك أصحابه بدافع الإخلاص للإسلام وأعرافه وإن كانوا قد أخطؤوا المنهج السليم في موقفهم المذكور، إلا أن الموقفين الآخرين كان روادهما ومدارسهما ومؤسساتهما تتحرك من خلال دعم النفوذ الكافر في بلاد المسلمين.

وهذان الاتجاهان يحتلان المواقع المتقدمة في حياة المسلمين العامة حيث يخطيان بإدارة شؤون المسلمين في أكثر أقاليم العالم الإسلامي، ويمتلكان مراكز الثقل والقوة والإمكانات في تلك الأقاليم الأمر الذي يجسد خطورة الاتجاهين الوافدين بوضوح في هذه المرحلة.

إن استعراض هذه الحقائق والأحداث التي رافقت موضوع الصراع بين القديم والحديث، يقتضي أن نشخص الموقف الإسلامي الأصيل من هذه القضية الحضارية التي لا تزال المجامع العلمية تطرحها بين الحين والآخر،

Alefbalib.com | بازنشر مقالات و كتب | كتابخانه مجازى الفبا

ويدور حولها الجدل بين المفكرين والأدباء وأهل التشريع .. فنقول[1]:

إن التجربة الحضارية الأوربية المعاصرة التي احتك بها المسلمون في العصر الحديث بها تشتمل على ثلاثة محاور:

١ ـ محور الأفكار والتشريعات والمفاهيم التي تتناول الحياة والمجتمع والإنسان والدولة حيث وفدت العديد من المبادئ والأفكار والقوانين والأعراف والقيم مع موجة الغزو الاستعماري لبلادنا الإسلامية وهذه المبادئ والتصورات عموماً تناقض مبادئ الرسالة الإسلامية وقوانينها.

فالإسلام له نظرته الخاصة لمصدر الوجود، ومصير الإنسان، وخلقه المستقل، كما أن له نظرته لعلاقة الرجل بالمرأة، وله تصوره الخاص حول توزيع الثورة والملكية كما أن طبيعة الدولة ومهامها تختلف لدى الإسلام عن غيره من المذاهب السياسية، إلى غير ذلك.

ومن أجل ذلك فأن أي تخط لواحد من حدود الله ومبادئه وبصائر وحيه يعد اعتداء على حدود الله عز وجل، وتجاوز لمبدأ الأصالة، وتحليل لما حرم الله أو تحريم لما أحل، وهكذا فان الموقف الإسلامي الأصيل إزاء هذا الخط من خطوط التجربة الأوربية الوافدة يجاهر بالرفض والاجتناب لكل ما يأتي بلاد المسلمين من هذه الأفكار والرؤى التي يضمها هذا المحور حفاظاً على أصالة الإسلام، وذوداً عن حياض المسلمين.

٢ ـ محور التقدم المدني المتعدد الوجوه والأبعاد الذي يمثله التطور في

---

(١) استفدنا من موقف الإسلام من قضية الصراع بين الأصالة والمعاصرة أو القديم والجديد من كتاب: رسالتنا، جماعة العلماء في النجف الأشرف بحث (رسالتنا خالدة متطورة)، وكتاب: الإسلام ورسالته الخالدة، محمد أبو المجد ط١ بيروت، وكتاب: التوحيد للشيخ الصدوق (رض) (مناظرات الإمام الرضا عليه السلام لليهود والنصارى والزرادشتية وأصحاب الكلام وغيرهم).

Alefbalib.com | بازنشر مقالات و كتب | كتابخانه مجازى الفبا

علم الطب والفلك وعلم الفضاء والكيمياء والهندسة، والنبات، والجيولوجيا، والصناعة بآفاقها المتعددة وغير ذلك: إن هذا اللون من التقدم والنمو في مسيرة الحياة الإنسانية إنما يشكل امتداداً وثماراً لجهود العديد من الحضارات والنتاجات التي حققها البشر عبر ثلاثين حضارة شهدها هذا الكوكب[1].

إلا أن أوربا قد قفزت بالعلم بآفاقه العديدة قفزات واسعة، لما استفادته من الخبرات السابقة، وأضافت إليه تجربة العلماء والخبراء والفنانين الجديدة.

وهذا النمط من العلم مما يشجعه الإسلام الحنيف، ويحث أتباعه على المساهمة في إثرائه وتطويره تماماً كما كان يفعل إبان قيام الحضارة الإسلامية في العالم طيلة عدة قرون ـ كما لاحظنا في بحث سابق.

ومن الجدير ذكره هنا أن العلم، والتطور التقني ليس وقفاً على حضارة أو تجربة اجتماعية دون أخرى أبداً، وإنما هو ملك لكل عقل حر، وأمة ناهضة مهما كان نظامها الاجتماعي والسياسي ـ كما أشرنا في بحث سابق ـ.

٣ ـ حقل التنظيمات الإدارية والمالية والعسكرية وغيرها كتنظيم المصارف والمرور وتنظيم العمال والطلبة، ودوائر الدولة، والجيش، والشرطة، وتنظيم البريد وتوزيع المال على المحتاجين وما إلى ذلك، فأن الإسلام لا يرى بأساً من الاستفادة منها سواء أكانت من نتاج أوربي أو آسيوي، باعتبارها تجارب حضارية تخدم مسيرة الإنسان وتساهم في تحقيق السعادة له.

على أن الإسلام الحنيف يلون هذه التنظيمات بلون حضاري خاص

---

(١) هذا الرأي يصرح به توينبي في دراسته للتاريخ.

Alefbalib.com | بازنشر مقالات و کتب | کتابخانه مجازی الفبا

ويطورها وفقاً لضوابطه الرسالية الخاصة، وينفي عنها ما علق بها من قشرة أو تأثير حضاري آخر، كما يعمل على استحداث قوانين وضوابط خاصة تنتجها عبقريات أبنائه.

إن هذا التقسيم الفني لنتاج الحضارات الوافدة إلى بلادنا كما يشكل حالة واقعية لترتيب العلاقة العملية بين القديم والحديث، لنعزز الأصيل من ثقافتنا ومبادئنا ونعمقها في حياة الفرد والجماعة ونحافظ عليها في الوقت الذي ننتفع فيه بالجديد الإيجابي فانه في ذات الوقت يوفر فرصة لاجتثاث نظرية (تطوير) الإسلام حسب إرادة النفوذ الاستعماري من جذورها.

إن وضوح هذا الموقف في أذهان الإسلاميين هو الذي يدفعهم اليوم لخوض معركة المصير من أجل أن يستأنف الإسلام وجوده الحضاري في الأرض مجدداً وبالله التوفيق.

ALEFBALIB.COM
مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

Alefbalib.com | بازنشر مقالات و كتب | كتابخانه مجازى الفبا

٨ ـ مسألة الحرية في ضوء الإسلام

الحديث عن الحرية في ضوء المفاهيم الإسلامية يتطلب أن نستعرض جملة من العناوين والمحاور والتطبيقات:

١ ـ المفهوم العام للحرية في الفكر الإسلامي.

٢ ـ البعد النظري للحرية.

٣ ـ الحرية الداخلية في سياق المعنى الحقيقي للحرية.

٤ ـ من تطبيقات الحرية في الواقع العملي.

١ ـ المفهوم العام للحرية في الفكر الإسلامي:

ورد مفهوم الحرية بمعناه العام في أكثر النصوص الإسلامية أصالة وقدماً منها:

١ ـ ما ورد عن علي أمير المؤمنين عليه السلام قوله: (لا تكن عبداً لغيرك وقد خلقك الله حراً).

٢ ـ ما ورد عن الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: (خمس خصال من لم يكن فيه خصلة منها، فليس فيه كبير مستمتع:

أولها: الوفاء.

والثانية: التدبير.

والثالثة: الحياء.

كتابخانه مجازى الفبا | بازنشر مقالات و كتب | Alefbalib.com

والرابعة: حسن الخلق.

والخامسة: (وهي تجمع هذه الخصال) الحرية[1].

إن ورود مصطلح الحرية في كلمات المعصومين عليهم السلام، تؤكد اهتمام الإسلام ليس في مضمونها فحسب، وإنما حتى في تشخيص مصطلحها وتحديده. فالحرية في معناها العام تعني نفي سيطرة الغير[2]، وقد ورد معناها في لغة العرب: (الحرية حالة الحر وهي ضد الرق، وحقيقتها: الخصلة المنسوبة إلى الحر وفي اصطلاح أهل الحقيقة: الخروج عن رق الكائنات وقطع جميع العلائق، والأغيار ولها مراتب، وهي حرية العامة من رق الشهوات وحرية الخاصة من رق المرادات لفناء إرادتهم في إرادة الحق، وحرية خاصة الخاصة من رق الرسوم والآثار)[3].

فهي بناء على مصطلح اللغويين ومراد الأحاديث: الخروج عن سيطرة الآخرين ـ دون المنعم الشكور جل وعلا ـ سواء أكان هذا الغير شيئاً أو هوى أو شهوة أو طاغوتاً، أو مفاهيم ما أنزل الله تعالى بها من سلطان.

إن هذه الحالة الشمولية لمصطلح "الحرية" تجعل من غير المشكوك فيه أبداً، أن مدلول الحرية وأبعادها ومنطلقاتها في منظور الإسلام الحنيف يختلف أساساً عما لدى الرأسمالية الحديثة، وأن اتفقت المدرستان في المصطلح والمعنى العام للكلمة.

٢ ـ البعد النظري للحرية في الإسلام:

والأساس النظري للحرية والقاعدة المركزية التي تقوم عليها في ضوء الإسلام هو الإيمان بالله عز وجل، وتجسيد العبودية المطلقة له جل وعلا

---

(١) المواعظ العددية، الشيخ علي المشكيني الأردبيلي: ص١٦١، ط٣.

(٢) المدرسة الإسلامية، السيد الشهيد محمد باقر الصدر: ص١٠١، ط بيروت ١٩٧٣م.

(٣) محيط المحيط، بطرس البستاني: ص١٦٠، ط مكتبة لبنان ١٩٧٧م.

Alefbalib.com | بازنشر مقالات و كتب | كتابخانه مجازى الفبا

فالإيمان بالله والعبودية له عز وجل هي الوسيلة التي يعتمدها عباد الله عز وجل لرفض كل عبودية لغيره سواء أكان هذا الغير أمة أو طاغوتاً أو صنماً، أو نفوذاً، فالناس في مقياس العبودية الحقة لله تعالى سواسية أمام الله الواحد الأحد، وليس لأحد فضل على أحد إلا بالتقوى والقرب لله تعالى.

فالحرية مستمدة أساساً من الاعتقاد بالله تعالى والعبودية الخالصة له.

يقول تعالى:

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾[1].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ۖ فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٩٤﴾﴾[2].

وهكذا فأن مفهوم الحرية في الإسلام يشكل جزء أساسياً من العقيدة بالله تعالى التي تشكل أساس هذا الدين، الأمر الذي يحدد المستوى الرفيع الذي تحتله قضية الحرية في رحاب الإسلام، حيث يكون الدفاع عن الحرية والمواجهة للطغيان والضلال والظلم والموت دفاعاً عن الكرامة مصاديق لتجسيد العقيدة بالله عز وجل.

٣ ـ الحرية الداخلية في سياق المعنى الحقيقي للحرية:

رغم أن الحرية في مضمونها المتداول لدى الناس تعني حرية الفرد في التعبير والعمل والاعتقاد وما إلى ذلك إلا أن الحرية في إطار الرسالة الإسلامية، تتخذ بعداً أكثر شمولاً من ذلك، فهي فوق اهتمامها بحركة الإنسان العامة وعلاقاته واتخاذها من اهتماماته في الواقع محوراً هاماً

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٦٤.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٩٤.

Alefbalib.com | بازنشر مقالات و کتب | کتابخانه مجازی الفبا

لأهدافها تهتم أيضاً مثلاً بصون إرادته في التعبير، والعمل والتعليم والتنقل والتملك وتحمله على رفض الطغيان واستعباد البشر للبشر..

أقول: رغم ما توفره الحرية في نطاق الإسلام من هذه الأمور والشعارات، فأنها توفر كل مستلزمات تحرير الإنسان من الداخل تماماً كما تحرره من ضغوط الواقع الاجتماعي وقيوده، وتحميه من استبعاد القوى الأخرى عبر مسيرة الإنسان العامة[1].

إن علمية تحرير الإنسان من داخله مهمة كبرى، لم تنجح في ممارستها ولا في تحقيقها أية رسالة أخرى غير الإسلام، وهي تعتمد نفس المحور الذي تعتمده الحرية في بعدها العام، وحيثياتها الواقعية ـ كما أسلفنا ـ.

فتوحيد الله عز وجل والعبودية المطلقة له لا يقف تأثيرها على واقع الناس العام، وعلاقاتهم مع القوى المحيطة، وإنما تفعل فعلها القوي في داخل الكيان الروحي والمعنوي للإنسان إذ تجري داخل النفس الإنسانية أكبر عمليات التحرير بواسطة عملية (الجهاد الأكبر).

ـ عن أبي عبد الله عليه السلام: إن النبي صلى الله عليه وآله بعث سرية، فلما رجعوا، قال: مرحباً بقوم قضوا الجهاد الأصغر، وبقي عليهم الجهاد الأكبر، فقيل: يا رسول الله ما الجهاد الأكبر؟ قال: جهاد النفس[2].

ـ وعن الصادق عليه السلام قال: (من ملك نفسه إذا رغب، وإذا رهب، وإذا اشتهى، وإذا غضب، وإذا رضي، حرم الله جسده على النار)[3].

---

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب: ج ذ ط دار الشروق بيروت ١٩٧٤م، تفسير آية: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ الذاريات: ٥٦.

(٢) وسائل الشيعة، الحر العاملي: مجلد ١١ باب جهاد النفس ص١٢٢ ـ ١٢٣، ط ٢ بيروت.

(٣) وسائل الشيعة، الحر العاملي: مجلد ١١ باب جهاد النفس ص١٢٢ ـ ١٢٣، ط ٢ بيروت.

Alefbalib.com | بازنشر مقالات و كتب | كتابخانه مجازى الفبا

إن هذه النصوص الكريمة تبلور العملية الكبرى التي يباشرها الإسلام لتحرير النفس الإنسانية من داخلها، من الانصياع للهوى والشيطان والنوازع المادية، وأصنام الشهوات حيث يشمخ المؤمن على كل رغبة تذله أو تضعف من موقفه أو مبدئيته معتمداً على إيمانه بالله الواحد الأحد حتى يبلغ المستوى الذي يكون فيه مالكاً لنفسه التي بين جنبيه في الرغبة والرهبة، والغضب، والرضى ـ كما أشار صادق أهل البيت عليهم السلام ـ في حديثه المار الذكر.

وإذا ملك الإنسان نفسه بهذا المستوى الذي ذكره الحديث الشريف، فليس لأحد أو رغبة أو موقع أو شهوة أن تتحكم فيه سواء أكانت هذه الأمور ذات طبيعة سياسية أو اجتماعية أو فكرية أو ما إليها.

على أن من الجدير ذكره هنا أن هذا الموقف الحر الرافض لكل ألوان التحكم في مصير العباد هو الذي يحقق سعادة الآخرة، كما كان يشكل مصدراً للحياة العزيزة.

يقول تعالى:

﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ۝ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾[1].

ويقول رسول الله صلى الله عليه وآله:

(إن الجنة حفت بالمكاره، وأن النار حفت بالشهوات)[2].

إن الحرية الداخلية للإنسان لا يتم تحقيقها بالشعارات، وإنما تتطلب مجاهدة وترويضاً واتصالاً دائماً بالله عز وجل، واستشعاراً يقظاً بوجوده، الأمر الذي توفره التربية القرآنية الكريمة والانطلاق من مراد القرآن، ومفاهيم الأحاديث الشريفة، والاستلهام من سيرة الأئمة الهداة عليهم الصلاة والسلام.

---

(١) سورة النازعات، الآيتان: ٤٠ ـ ٤١.

(٢) نهج البلاغة: ص٢٥١.

Alefbalib.com | بازنشر مقالات و كتب | كتابخانه مجازى الفبا

إن هذه التربية الصالحة هي التي توفر أجواء الحرية المطلوبة التي تعتمد على رصيد العبودية لله تعالى الذي لا ينضب، ولا يضعف، ولا يتغير.

٤ ـ من تطبيقات الحرية في الواقع الاجتماعي:

وإذا ابتعدنا قليلاً عن المبادئ العامة لهذه الحرية التي جاء بها الإسلام الحنيف، لنراها في الواقع العملي المجسد، لرأينا الكثير من مصاديقها وتطبيقاتها عبر العديد من الظواهر والأرقام والتشريعات التي خلدها الزمان:

١ ـ **حرية التعبير عن الرأي:** من مظاهر الحرية التي شرعها الإسلام وعمل على تعميقها بين الناس هي حرية التعبير عن الرأي، وهذا اللون من الحرية قد تجلى في مسيرة المسلمين الحضارية ـ رغم ظهور حالات الكبت السياسي والإرهاب الفكري في فترات طويلة ـ من خلال خطين:

أ) حرية الاجتهاد في فهم النصوص الإسلامية الأصيلة، واستنباط الأحكام الشرعية من مداركها المقررة في الشرع، حيث أعطي خبراء التشريع الإسلامي ـ وهم المجتهدون في المصطلح الإسلامي ـ حرية التعبير عن آرائهم من خلال الاجتهاد حسب القواعد المقررة لذلك.

وهاهي حركة الإنسان التاريخية تواكب العصور والأجيال، من خلال عملية الإثراء الفكري والتشريعي التي يمارسها المجتهدون العدول من خلال مواجهة التحديات المتجددة بالرؤى والحلول والمفاهيم التي يكتشفها المجتهدون من بين النصوص الإسلامية الأصيلة.

ب) حرية التعبير عن الرأي من خلال إعطاء وجهات نظر فكرية أو سياسية أو قانونية يباشرها الأفراد للمساهمة في رفد مسيرة الدولة والمجتمع الإسلامي.

Alefbalib.com | بازنشر مقالات و كتب | كتابخانه مجازى الفبا

والقاعدة الشرعية لهذه الحرية تنبثق من فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أو مبدأ الشورى بين المؤمنين الذي عبّر عنه القرآن الكريم على شكل ثناء ومدح للمؤمنين الذين يتشاورون للوصول إلى رؤى موحدة إزاء بعض المسائل التنظيمية أو الإدارية أو الفنية وما إلى ذلك في إطار حدود الله تعالى: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾[1].

قال النبي ﷺ: استرشدوا العاقل ولا تعصوه، فتندموا[2].

وقال الإمام الصادق عليه السلام: (عن أبيه عليه السلام: قيل لرسول الله ﷺ: ما الحزم؟ قال: مشاورة ذوي الرأي واتّباعهم)[3].

قال الإمام علي عليه السلام: (حق على العاقل أن يضيف إلى رأيه رأي العقلاء ويضم إلى علمه علوم الحكماء)[4].

قال الإمام علي عليه السلام: ما استُنبط الصوابُ بمثل المشاورة[5].

على أن هذه الشورى لا تخرج بالمؤمنين عن إطار ما قضاه الله تعالى ورسوله ﷺ لقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾﴾[6].

٢ ـ **حرية الاعتقاد**: بالرغم من أن الإسلام الحنيف هو رسالة الحق الخاتمة لكل الرسالات والناسخة لكل الأديان السماوية السابقة، والمخلّدة عبر الزمان والأجيال حتى قيام الساعة، إلا أن هذه الحقيقة لم تقف مبرراً لمنع حرية التفكير والمناقشة والحوار حول مبادئ هذا الدين.

---

(١) سورة الشورى، الآية: ٣٨.
(٢) أمالي الطوسي: ١/ ١٥٢.
(٣) البحار: ٧٥/ ١٠٠، عن «المحاسن».
(٤) غرر الحكم: ١٦٩
(٥) نفس المصدر من نسخة أخرى.
(٦) سورة الأحزاب، الآية: ٣٦.

Alefbalib.com | بازنشر مقالات و کتب | کتابخانه مجازی الفبا

وقد تجلت هذه الروح العظيمة صريحة في آيات الكتاب العزيز وفي سنّة المعصومين عليهم الصلاة والسلام.

قال تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۙ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾﴾[1].

فمع أن الحوار الذي تتحدث عنه هذه الآية المباركة كان حواراً بين النبي ﷺ ومشركي قريش الضالين المضلين، إلا أن هذه الحقيقة لم تمنع القرآن الكريم والرسول ﷺ أن يتحاور معهم حول الحق ومبادئه بطريقة يشعرهم كما لو كان يبحث معهم عن الحق والصراط المستقيم بلا قسر ولا ضغط ولا إكراه:

﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾[2].

ومع أن اليهود والنصارى يعتبرون في نظر الإسلام أتباع أديان منسوخة وقد طالتها يد التحريف والتشويه إلا انه يحمل خلال التعامل معهم ـ شعار عدم إكراههم على تبني الدين الإلهي الجديد وقيمه السماوية:

﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾﴾[3].

وحتى عمليات الفتح التي قادها المسلمون وباشروها لفتح البلدان التي حول الدولة الإسلامية لم يكن القصد منها إجبار الناس على الاعتقاد تحت ظلال السيف، وإنما كان هدف تلك الفتوح المظفرة أن تزاح الحواجز المادية ـ وهو الطواغيت ومؤسساتهم ـ التي تحول بين الناس في تلك البلدان وبين وصول نور الإسلام إلى قلوبهم، وتبقى عملية الحوار مفتوحة مصونة بعد ذلك.

---

(١) سورة سبأ، الآية: ٢٤.

(٢) سورة سبأ، الآية: ٢٤.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٥٦.

Alefbalib.com | بازنشر مقالات و کتب | کتابخانه مجازی الفبا

وليس أدل على اهتمام الإسلام بحرية الاعتقاد من اعتماده على الحرية الفكرية في تبني الأسس العامة للرسالة كالإيمان بالله تعالى وعدم الركون إلى التقليد أو المحاكاة في تلك المسائل الضرورية بالمرة[1].

٣ ـ **حرية المسكن**: تعبر حرية المسكن عن احترام حرية الناس في مساكنهم فلا يجوز أن تقتحم البيوت على أصحابها، ولا يجوز الدخول إليها إلا بإذن من أهلها، ولا يجوز أن يدخل إلى البيوت بطريقة غير طبيعية من قبيل التسور كما لا يجوز هتك حرمتها بالتجسس عليها.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٢٧ فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ فِيهَآ أَحَدٗا فَلَا تَدۡخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤۡذَنَ لَكُمۡۖ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرۡجِعُواْ فَٱرۡجِعُواْۖ هُوَ أَزۡكَىٰ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ٢٨ لَّيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ مَسۡكُونَةٖ فِيهَا مَتَٰعٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا تَكۡتُمُونَ ٢٩﴾[2].

﴿وَلَيۡسَ ٱلۡبِرُّ بِأَن تَأۡتُواْ ٱلۡبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰۗ وَأۡتُواْ ٱلۡبُيُوتَ مِنۡ أَبۡوَٰبِهَاۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾[3].

ومن أجل تبني الإسلام الحنيف لحرية الناس في مساكنهم، ووضعه جملة من الأحكام لحماية حرية المسكن فقد وقع لوم شديد على الخليفة الثاني عمر بن الخطاب حين تبنى عملية التسور أو الدخول لبيوت بعض الناس دون إذنهم أيام خلافته نذكر منها حادثتين:

أ ـ كان عمر يعس ليلاً، ويتجسس نهاراً، حتى سمع وهو يعس في

---

(١) عقائد الإمامية، المرحوم الشيخ محمد رضا المظفر، باب: (عقديتنا في النظر والمعرفة).

(٢) سورة النور، الآيات: ٢٧ ـ ٢٩.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٨٩.

Alefbalib.com | بازنشر مقالات و كتب | كتابخانه مجازى الفبا

المدينة صوت رجل يتغنى في بيته فتسور عليه فوجد عنده امرأة وزقاً من خمر، فقال: أي عدو الله ظننت أن الله يسترك وأنت على معصية، قال: لا تعجل يا أمير المؤمنين إن كنتُ أخطأتُ في واحدة، فقد أخطأتَ أنتَ في ثلاث، قال الله تعالى: ولا تجسسوا، فقد تجسست، وقال: وآتوا البيوت من أبوابها، وقد تسورت، وقال: إذا دخلتم فسلموا وما سلمت، فقال: هل عندك من خير إن عفوت عنك؟ قال: نعم، فعفا عنه وخرج[1].

ب ـ وعن السدي قال: (خرج عمر بن الخطاب فإذا هو بضوء نار ومعه عبد الله بن مسعود واتبع الضوء حتى دخل الدار، فإذا سراج في بيت، فدخل وحده، وترك ابن مسعود في الدار، فإذا شيخ جالس وبين يديه شراب وقينة تغنيه، فلم يشعر حتى هجم عليه عمر، فقال: ما رأيت منظراً أقبح من شيخ ينتظر أجله، فرفع الشيخ رأسه فقال: بلى صنيعك أنت أقبح مما رأيت مني، إذ تجسست وقد نهى الله عن التجسس، ودخلت بغير إذن، فقال عمر: صدقت ثم خرج عاضاً على ثوبه يبكي، وقال ثكلت عمر أمه، إلى أن قال ظ وهجر الشيخ مجلس عمر حيناً، فبينا عمر بعد ذلك جالس إذ به قد جاء شبه المستخفي حتى جلس في أخريات الناس فرآه عمر فقال: عليّ بهذا، فقيل له، أجب فقام وهو يرى أن عمر سيسوئه بما رأى منه، فقال عمر: أدن مني فلازال يدنيه حتى أجلسه بجنبه، فقال: أدن مني أذنك فالتقم أذنه فقال له: والذي بعث محمداً بالحق ما أخبرت أحداً من الناس بما رأيت منك ولا ابن مسعود فأنه كان معي . . .)[2].

---

(١) أخرجه الخرائطي في كتاب مكارم الأخلاق وهو حديث ٣٦٩٦ من أحاديث الكنز في ص١٦٧ من جزئه الثاني، وأورده ابن أبي الحديد في ص ٩٦ من المجلد الثالث من شرح نهج البلاغة، وذكره الغزالي في ص١٣٧ من كتابه إحياء العلوم. (نقلاً عن النص والاجتهاد لشرف الدين: ص٢٥٣، ط ٤ بيروت ١٩٦٦).

(٢) أخرجه أبو الشيخ في كتاب القطع والسرقة، ونقله كنز العمال: ص١٤١ ج٢ برقم ٣٣٥٤ (نقلاً عن النص والاجتهاد: ص٢٥٣ ـ ٢٥٤).

Alefbalib.com | بازنشر مقالات و کتب | کتابخانه مجازی الفبا

٤ ـ **حرية الثورة على الطغاة والظلم**: رعاية من الإسلام الحنيف لمصالح الإسلام والأمة وعلماً من الشارع المقدس بان بعض الحكام والسلاطين تحملهم السلطة والقوة على تعدي حدود الله عز وجل التي شرعها لحفظ مصالح العباد مما يسوق إلى التجاوز على حقوق الناس، وظلمهم، وتقييد حرياتهم وما إلى ذلك من ظواهر الظلم والامتهان والتعدي . . .

أقول: بسبب هذه المخاطر التي يخش منها على الإسلام وجمهور المسلمين، فقد شرع الإسلام الحنيف حرية الثورة على الظلم والظالمين:

قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: (أيها المؤمنون أنه من رأى عدواناً يعمل به ومنكراً يدعى إليه، فأنكره بقلبه فقد سلم وبرئ، ومن أنكره بلسانه فقد أجر، وهو أفضل من صاحبه، ومن أنكره بالسيف لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الظالمين هي السفلى، فذلك الذي أصاب سبيل الهدى، وقام على الطريق، ونور في قلبه اليقين)[1].

وروى الإمام الحسين سبط رسول الله صلى الله عليه وآله عن جده المصطفى صلى الله عليه وآله ما يلي: (أيها الناس إن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: من رأى سلطاناً جائراً، مستحلاً لحرام الله ناكثاً عهده، مخالفاً لسنة رسول الله يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان فلم يغيّر ما عليه بفعل، ولا قول، كان حقاً على الله أن يدخله مدخله . . .)[2].

وهكذا فعلت هذه الحرية الممنوحة للأمة فعلها الإيجابي في دنيا المسلمين كلما قامت للظلم فتنة، أو قام للظالمين قرن:

فقد ثار سبط رسول الله الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام ثورته المدوية في ضمير الزمان من أجل الإصلاح، وحماية المستضعفين ورعاية

---

(١) نهج البلاغة: ص٥٤١.

(٢) تاريخ الطبري: ج٦ ص٢٢٩.

Alefbalib.com | بازنشر مقالات و كتب | كتابخانه مجازى الفبا

حدود الله عز وجل التي تجاوز عليها طغيان يزيد بن معاوية وبني أمية: (وإني لم أخرج أشراً، ولا بطراً، ولا مفسداً، ولا ظالماً، وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي ﷺ، أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر وأسير سيرة جدي، وأبي علي بن أبي طالب ..)[1].

وهكذا توالت ثورات العلويين وأتباعهم عبر تاريخ المسلمين من أجل تحرير الناس من ذل الطواغيت واستعبادهم واستخلاص الحق للمظلومين من بين أنيابهم.

ولا بأس أن نذكر كلمة للعلوي الثائر محمد بن إبراهيم وهو من أحفاد الإمام السبط الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام حين عزم على "الخروج" على السلطان العباسي عبد الله المأمون تجسد بعض مقتضيات الثورة على الظالمين أيضاً:

(بينما هو في بعض الأيام يمشي في بعض طريق الكوفة إذ نظر إلى عجوز تتبع أحمال الرطب، فتلقط ما يسقط منها فتجمعه في كساء عليها رث، فسألها عما تصنع بذلك، فقالت: إن امرأة لا رجل لي يقوم بمؤنتي، ولي بنات لا يعدن على أنفسهن بشيء، فأنا أتتبع هذا من الطريق وأتقوته أنا وولدي، فبكى بكاء شديداً، وقال: أنت والله وأشباهك تخرجوني غداً حتى يسفك دمي)[2].

٥ ـ **حرية الرقيق**: بعث الله عز وجل عبده ورسوله بالرسالة الخاتمة في عصر كان يعج بالاسترقاق، حيث كان الرق ذا أبعاد اقتصادية عالمية، كما كان ذا آثار اجتماعية كبيرة.

---

(١) مقتل الخوارزمي: ج١ ص١٨٨.

(٢) مقاتل الطالبيين لأبي الفرج الأصفهاني: ت ٣٥٦ هـ ص ٥٢١، ط دار المعرفة بيروت.

Alefbalib.com | بازنشر مقالات و کتب | کتابخانه مجازی الفبا

وفي ذلك الواقع المرير الذي يسترق فيه الإنسان أخاه الإنسان ويستعبده حمل الإسلام لواء تحرير الإنسانية عموماً، إذ لا فرق في قيم الإسلام بين الأبيض والأسود، ولا فضل لعربي على أعجمي إلا بتقوى الله عز وجل:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾[1].

وحيث أن مسألة الاسترقاق والاستعباد ظاهرة عميقة الجذور، ضاربة في أعماق التاريخ والحياة الإنسانية، لها آثارها الاجتماعية والاقتصادية المذكورة في دنيا الناس، لذا، سلك الإسلام أسلوب التدرج في إلغاء تلك الظاهرة البغيضة من أجل أن يصل بالبشرية إلى أهدافه العليا في المساواة التامة بين الأجناس والعناصر البشرية.

وكانت أول نشاطاته وجهوده على هذا الطريق إقفال المنابع الأساسية للاستعباد كما وشرع أربعة مناهج لتحرير العبيد في مجتمعاته:

ـ فقد جعل عتق المستعبد كفارة في بعض التجاوزات على الشرع كما في كفارة الإفطار.

ـ كما جعل عتق العبيد في بعض الحالات جزء من العقوبات القانونية.

ـ كما وشرع طريقة الإحسان وحبب إلى المؤمنين تحرير العبيد من خلالها.

ـ حدد قسطاً من مصارف الزكاة لتحرير العبيد.

وهذه بعض النصوص الكريمة بهذا الخصوص[2]:

---

(١) سورة الحجرات، الآية: ١٣.

(٢) للإحاطة ببعض التفصيلات يراجع منهاج الصالحين للسيد آية الله العظمى أبو القاسم الخوئي: ج٢ (كتاب الكفارات).

Alefbalib.com | بازنشر مقالات و کتب | کتابخانه مجازی الفبا

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَئًا وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَئًا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾[1].

﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[2].

عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: (كان أمير المؤمنين يضرب بالمر ـ المسحاة ـ ويستخرج الأرضين، وأنه أعتق ألف مملوك من كد يده)[3].

وكان الإمام علي بن الحسين السجاد عليه السلام يشتري العبيد ليعتقهم وكان من عادته أن يتملك العبيد لينتظر عيد الفطر، فإذا جاء العيد حررهم وابتاع غيرهم، ليحررهم في مناسبة أخرى حتى سماه البعض (محرر العبيد)[4].

وفي رسالة الحقوق التي كتبها الإمام علي بن الحسين السجاد عليه الصلاة والسلام لتكون منهاجاً حقوقياً للعباد جاء حول العبيد ما يلي:

(وأما حق رعيتك بملك اليمين فإن تعلم أنه خلق ربك ولحمك ودمك وأنك لم تملكه لأنك صنعته دون الله ولا خلقت له سمعاً ولا بصراً ولا أجريت له رزقاً ولكن الله كفاك ذلك ثم سخره لك وائتمنك عليه واستودعك إياه لتحفظه فيه وتسير فيه بسيرته فتطعمه مما تأكل وتلبسه مما تلبس ولا

---

(١) سورة النساء، الآية: ٩٢.
(٢) سورة التوبة، الآية: ٦٠.
(٣) بحار الأنوار، للشيخ المجلسي: ج٤١ ص٣٧.
(٤) المجالس السنية للسيد محسن الأمين العاملي (رض): ج٢ «محرر العبيد».

Alefbalib.com | بازنشر مقالات و کتب | کتابخانه مجازی الفبا

تكلفه ما لا يطيق فأن كرهته خرجت إلى الله منه واستبدلت به ولم تعذب خلق الله ولا قوة إلا بالله، وفي الخصال: وأما حق مملوكك فأن تعلم أنه خلق ربك وابن أبيك وأمك ولحمك ودمك، ولم تملكه لأنك صنعته من دون الله ولا خلقت شيئاً من جوارحه ولا أخرجت له رزقاً ولكن الله عز وجل كفاك ذلك ثم سخره لك وائتمنك عليه واستودعك إياه ليحفظ لك ما تأتيه من خير إليه فأحسن إليه كما أحسن الله إليك وإن كرهته استبدلت به ولم يعذب خلق الله عز وجل ولا قوة إلا بالله)[1].

وعن عبد الله بن الصلت عن رجل من أهل بلخ قال: (كنت مع الرضا عليه السلام في سفرة إلى خراسان، فدعا يوماً بمائدة له، فجمع عليها مواليه من السودان وغيرهم، فقلت: جعلت فداك! لو عزلت لهؤلاء مائدة؟ فقال: مه إن الرب ـ تبارك وتعالى ـ واحد، والأم واحدة والأب واحد والجزاء بالأعمال)[2].

أما الاسترقاق الذي يعامل به بعض الأسرى في بعض الحروب الإسلامية فأنه يتم على الشكل التالي:

تنقسم الحروب الإسلامية إلى نوعين[3]: حروب دفاعية، وهي الحروب التي تجري دفاعاً عن بيضة الإسلام الحنيف، وليس في هذا اللون من الحرب استرقاق للأسرى بالمرة.

والنوع الثاني من الحرب: الحرب الجهادية، وتعلن هذه الحرب عادة من أجل نشر الإسلام وإيصال دعوته إلى بلاد جديدة بعد توفر شروط موضوعية خاصة تهيئ مستلزمات تلك العملية.

---

(١) في رحاب الأئمة للشيخ السيد محسن الأمين: ج٢، ط بيروت.
(٢) الكافي: ج٨ ص٢٣٠.
(٣) اقتصادنا، السيد الشهيد محمد باقر الصدر: ج١ ص٢٧٥ ـ ٢٧٦، ط٢ بيروت ١٩٦٨.

Alefbalib.com | بازنشر مقالات و كتب | كتابخانه مجازى الفبا

ومن خصائص هذه الحرب أن لا تعلن إلا بإذن إمام معصوم، ليكون أقدر على تحديد المصلحة الإسلامية العليا في هذه الحرب.

وحكم الأسرى في هذه الحرب هو ما يلي:

ـ أما العفو عنهم.

ـ وأما إطلاقهم بفدية.

ـ وأما أن يسترقوا.

وهكذا فأن عملية الاسترقاق محاطة بشروط وخيارات لا تجعلها خياراً وحيداً، وقد أعطي الإمام عليه السلام صلاحية إجراء الحكم الإسلامي حسب مقتضيات المصلحة الإسلامية التي يراها.

ومن الطبيعي أن يكون حكم الإمام عليه السلام يشكل عين الواقع والصواب والحكمة بسبب توفر عامل العصمة الربانية فيه ..

وبناء على ذلك فأن الاسترقاق بهذا الشكل وتحت تلك الظروف التي أشرنا إليها ربما لا يتم إلا نادراً في التاريخ!

٦ ـ حرية المرأة في الإسلام: أشرق نور الإسلام الحنيف في جزيرة العرب، وليس في الأرض رسالة أو نظام أو عرف يقيم للمرأة وزناً:

ـ فالمرأة كما تتصورها النزعات الصوفية القديمة شيطان يرتدي ثوب بشر لكي ينجح في إضلال الرجال.

ـ وجاهليات ما قبل الإسلام تصور المرأة كما لو كانت حيواناً خلق في صورة إنسان ليتسنى لها خدمة الرجال، وتحقيق متعتهم الجسدية.

ـ وفي أوربا ما قبل عصر الصناعة كان ينظر للمرأة باعتبار روحها روح حيوان، في جسم إنسان.

وإذا كانت النظرة للمرأة في هذه المستوى أو أمثاله، فلك أن تقدر حجم المأساة التي كان يعانيها هذا الشطر من البشر.

Alefbalib.com | بازنشر مقالات و كتب | كتابخانه مجازى الفبا

وهذه بعض الأرقام التي تكشف عن هذه المأساة القاسية:

أ ـ فالقرآن المجيد يذكر بعض الأرقام لمأساة المرأة في جاهلية العرب:

﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾﴾[1].

﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا﴾[2].

﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ﴿٩﴾﴾[3].

ـ وتقول السيرة النبوية الشريفة: جاء قيس بن عاصم التميمي إلى النبي ﷺ فقال: إني وأدتُ ثماني بنات في الجاهلية[4].

ب ـ ويسجل تاريخ الجاهلية العربية ما يلي:

(وكان الوأد يتم في صورة قاسية، إذ كانت البنت تُدفن حية، وكانوا يتفننون في هذا بشتى الطرق، فمنهم من كان إذا ولدت له بنت تركها حتى تكون في السادسة من عمرها، ثم يقول لأمها: طيبيها وزينيها حتى أذهب بها إلى أحمائها، وقد حفر لها بئراً في الصحراء، فيبلغ بها البئر، فيقول لها: انظري فيها، ثم يدفعها دفعاً ويهيل التراب عليها! وعند بعضهم كانت الوالدة إذا جاءها المخاض جلست فوق حفرة محفورة، فإذا كان المولود بنتاً رمت بها فيها وردمتها، وإن كان ابناً قامت به معها! وبعضهم كان إذا نوى ألّا يئد الوليدة أمسكها مهينة إلى أن تقدر على الرعي، فيلبسها جبة من صوف أو شعر ويرسلها في البادية ترعى له إبِلَه..!

---

(١) سورة النحل، الآيتان: ٥٨ ـ ٥٩.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٣١.

(٣) سورة التكوير، الآيتان: ٨ ـ ٩.

(٤) مجمع البيان، للشيخ الطبرسي: مجلد ٥، ط العرفان، صيدا ١٩٣٧م.

Alefbalib.com | بازنشر مقالات و کتب | کتابخانه مجازی الفبا

فأما الذين لا يئدون البنات ولا يرسلونهن للرعي، فكانت لهم وسائل أخرى لإذاقتها الخسف والبخس .. كانت إذا تزوجت ومات زوجها جاء وليه فألقى عليها ثوبه، ومعنى هذا أن يمنعها من الناس فلا يتزوجها أحد فأن أعجبته تزوجها ولا عبرة برغبتها هي ولا إرادتها! وإن لم تعجبه حبسها حتى تموت فيرثها، أو أن تفتدي نفسها منه بمال في هذه الحالة أو تلك .. وكان بعضهم يطلق المرأة ويشترط عليها ألا تنكح إلا من أراد، إلا أن تفتدي نفسها منه بما كان أعطاها .. وكان بعضهم إذا مات الرجل حبسوا زوجته على الصبي فيهم حتى يكبر فيأخذها .. وكان الرجل تكون اليتيمة في حجره يلي أمرها، فيحبسها عن الزواج، رجاء أن تموت امرأته فيتزوجها، أو يزوجها من ابنه الصغير طمعاً في مالها أو جمالها)[1].

ج ـ في اليونان كانت الحضارة الإغريقية تعتبر المرأة عديمة الأهلية، ولم يكن من حقها مباشرة التصرفات القانونية[2].

وكان بعض كبار مفكري اليونان يرون حبس اسم المرأة في البيت كما يحبس جسمها، وخطيب اليونان الشهير «يوستين» كان يقول:

إننا نتخذ الزوجات ليلدن لنا الأبناء الشرعيين فقط.

د ـ أما عند الرومان فكانت المرأة الرومانية تعتبر متاعاً مملوكاً للرجل، وسلعة من السلع الرخيصة يتصرف فيها كيف يشاء، ومن الغريب أن اجتماعاً عقد في مجمع روما للبحث في شؤون المرأة فقرر أنها كائن لا نفس، وأنها لن ترث الحياة الأخروية وأنها رجس، ويجب ألا تأكل اللحم

---

(١) في ظلال القرآن، الشهيد السيد قطب: ج٨ ص٤٧٩، ط دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٩٧١م.

(٢) المرأة في جميع الأديان والعصور، محمد عبد الله المقصود: ص٣٨، نقلاً عن كتاب (المرأة عبر التاريخ) حسن محمد جوهر: ص٤١.

Alefbalib.com | بازنشر مقالات و كتب | كتابخانه مجازى الفبا

ولا تضحك وألا تتكلم، وعليها أن تمضي جميع أوقاتها في الخدمة، والخضوع، وبلغ من احتقارهم لها أن منعوها من الكلام، كما تقدم بعض أعضاء مجلس التربيون الروماني بقانون يحرم على المرأة التملك لأكثر من نصف أوقية من الذهب، وأن تلبس ملابس مختلفة اللون، وأن لا تركب عربات إلى مدى ميل من روما إلا في بعض الحفلات العامة[1].

هـ ـ ويقول تاريخ أوربا عن اليونان أن الرجل قد يجمع في بيته أحياناً عدة مئات من النساء[2].

و ـ وتاريخ إيران القديمة يذكر أحداثاً وأرقاماً شبيهة بما كان في الجاهلية العربية، والجاهلية الأوربية القديمة، وإذا وردت بعض الاختلافات فإنما هي في التفاصيل فحسب .. خذ مثلاً هذه الأرقام:

(إن أحداً في إيران القديمة لم يكن ليأمن على نسائه)[3].

ز ـ (كان خسرو «برويز» يحتفظ بثلاثة آلاف امرأة في حريمه، فهو لم يكن يشبع أبداً من هذه الرغبة .. وإذا رغب في تجديد حريمه، كتب الرسائل إلى ولاته يدرج فيها أوصاف النسوة اللواتي يريدهن، فكان أولئك كلما عثروا على امرأة تطابق تلك الأوصاف بعثوا بها إليه)[4].

ح ـ أما أوروبا في قرونها الوسطى فكانت تعتقد في المرأة ما يلي:

أنها ينبوع المعاصي وأصل السيئة والفجور، وهي أصل المصائب

---

(١) نفس المصدر، نقلاً عن كتاب حق الزوج على زوجه وحق الزوجة على زوجها، طه عبد الله العفيفي: ص١٢ ـ ١٣.

(٢) نظام حقوق المرأة في الإسلام، الشهيد الشيخ مرتضى المطهري: ص٢٦٩، ط١ طهران ١٤٠٥هـ.

(٣) مسألة الحجاب، الشهيد الشيخ مرتضى المطهري، ترجمة جعفر صادق الخليلي: ص٤٩، ط١، طهران ١٤٠٧هـ، نقلاً عن كونت كوبينوا.

(٤) نفس المصدر: ص٨٧، نقلاً عن كتاب (إيران الساسانيين).

Alefbalib.com | بازنشر مقالات و كتب | كتابخانه مجازى الفبا

الإنسانية وهي سبب شقاء أهل الأرض يقول ترتوليان أحد قادة الفكر الأوربي النصراني في القرون الوسطى واصفاً المرأة: (إنها مدخل الشيطان إلى نفس الإنسان وأنها دافعة المرء إلى الشجرة الممنوعة ـ يقصد شجرة آدم عليه السلام المعروفة ـ ناقضة لقانون الله، مشوهة لصورة الله!!)[1].

ويقول الفيلسوف «هربرت سبنسر» الإنجليزي في كتابه علم وصف الاجتماع عن مكانة المرأة في القرون الوسطى:

(إن الزوجة كانت تباع في إنجلترا خلال القرن الحادي عشر، وقد سنت المحاكم الكنسية في هذا القرن قانوناً ينص أن للزوج أن ينقل أو يعير زوجته إلى رجل آخر لمدة محددة)[2].

إن هذا الواقع الذي كانت تعانيه المرأة في الأرض قلبه الإسلام رأساً على عقب وبدل النظرة إليها تبديلاً جذرياً:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾[3].

﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾[4].

﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾[5].

---

(١) مجلة عفاف: عدد ٩ ص٢٥.
(٢) المرأة في جميع الأديان والعصور، محمد عبد الله المقصود: ص٤٨.
(٣) سورة النساء، الآية: ١.
(٤) سورة الإسراء، الآية: ٢٣.
(٥) سورة التوبة، الآية: ٧١.

Alefbalib.com | بازنشر مقالات و کتب | کتابخانه مجازی الفبا

﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾﴾[1].

﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ فَٱلَّذِينَ﴾[2].

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾[3].

﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ﴾[4].

إن هذه النصوص الكريمة وغيرها كثير قد حددت النظرة الأساسية للمرأة من قبل الإسلام، وأعادت المرأة إلى موقعها الطبيعي في دنيا الناس مع مراعاة أوضاعها البيولوجية وإمكاناتها الذاتية عن التقنين لمسيرة الحياة الإنسانية في ضوء الإسلام.

فالمرأة في ميزان الله تعالى تحتل نفس المكانة وتنال نفس الأجر الذي يناله الرجل إذا هي أحسنت واتقت وعملت الصالحات:

﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّآئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾[5].

---

(١) سورة النساء، الآية: ١٢٤.
(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٩٥.
(٣) سورة الروم، الآية: ٢١.
(٤) سورة البقرة، الآية: ١٨٧.
(٥) سورة الأحزاب، الآية: ٣٥.

Alefbalib.com | بازنشر مقالات و كتب | كتابخانه مجازى الفبا

والمرأة تمتلك حرية التملك للمال، كما يتملكها الرجل:

﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ﴾[1]، ولذا فمن حقها أن تضارب في التجارة أو تساهم في شركة أو تعمل في وظيفة أو تتعاقد وغير ذلك وعليها نفس الواجبات التي يضعها الإسلام الحنيف على الأموال.

أما في قضية الميراث فقد فرق الإسلام بين الرجل والمرأة في ذلك، فقال تعالى: ﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ﴾، بيد أن تفضيل الرجل على المرأة في ذلك كان مشروعاً وواقعياً، وذلك لأن الإنفاق في إطار الأسرة يتحمل الرجل مسؤوليته، ففي مقتضى هذه القاعدة فأن الرجل لابد أن ينفق نصيبه الذي أصاب من الإرث بيد أن المرأة غير ملزمة أن تنفق نصيبها.

ومن هنا يمكننا أن نتصور أن الرجل يمكن أن ينفق حصته المذكورة من الإرث لسد حاجة المرأة التي فضل عليها في الميراث!

وهكذا يكون هدف تفضيل الرجل على المرأة في الميراث هذا مقتضاه الأساسي وهذه خلفيته الطبيعية.

هذا وللمرأة مختلف الحريات القانونية الأخرى على أن تراعى في ذلك خصوصيات المرأة البيولوجية إضافة إلى اهتمام الإسلام بالفضيلة ونظافة المجتمع[2].

وفي نهاية الحديث حول حرية المرأة في الإسلام لابد من الإشارة إلى أن بعض مظاهر الكرامة التي تحتلها المرأة في الشرق الإسلامي إنما هو من

---

(١) سورة النساء، الآية: ٣٢.

(٢) من أجل التفصيل يراجع كراسنا: المرأة في المجتمع الإسلامي، ط بيروت. وكراسنا: الحجاب الإسلامي، ط طهران.

Alefbalib.com | بازنشر مقالات و كتب | كتابخانه مجازى الفبا

آثار القيم الإسلامية التي بثها الإسلام في هذه البقاع رغم ابتعاد المسلمين اليوم عن جوهر هذا الدين وحقائقه.

٧ ـ **حرية التملك**: المالك الحقيقي لثروة هذا الوجود ـ في النظرية الإسلامية ـ هو الله الكبير المتعال جل جلاله:

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ...﴾[١].

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ﴾[٢].

إلا أن المالك المنعم جل وعلا، قد وهب هذه الخيرات للناس الذين استخلفهم في الأرض:

﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾[٣].

﴿وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَٱلَّذِينَ﴾[٤].

وبناء على هذه القواعد نظم الإسلام القضية المالية عموماً، ووزع المال على قطاعين:

أ ـ أموال ذات صفة عامة يملكها المسلمون عموماً، وللأفراد حرية الاستفادة منها كحق خاص لا بصفة ملكية خاصة، فهذه الثروات لا تملك رقبتها.

ب ـ أموال ذات صفة خاصة: وهي الأموال التي للأفراد حرية تملكها من خلال القنوات المشروعة للتملك كالحيازة، أو الكسب، أو الوظيفة، أو الميراث، وما إلى ذلك، وفي الثروات التي يملكها الأفراد نسبة يحددها الشرع يدفعها الأفراد للمحتاجين أو لدعم مسيرة النهضة الإسلامية أو لدعم

---

(١) سورة المائدة، الآية: ١٧.
(٢) سورة سبأ، الآية: ١.
(٣) سورة الجاثية، الآية: ١٣.
(٤) سورة الحديد، الآية: ٧٠.

Alefbalib.com | بازنشر مقالات و كتب | كتابخانه مجازى الفبا

مشاريع الدولة الإسلامية، وتأتي تلك الأموال التي يدفعها الأفراد من أموالهم الخاصة على شكل: زكاة أو خمس أو ضريبة جهاد أو طسق بالنسبة للأراضي الزراعية وما أشبه.

واعتراف الإسلام بحق تملك الأفراد للمال يعتبره الإسلام حقاً طبيعياً نابعاً من ضرورة تكوينية، فالبشر في نظر الإسلام مجبولون على حب المال والانتفاع به: ﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾[1] ﴿وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾[2].

ومن هنا فقد جاء تشريع حرية التملك الخاص استجابة لحاجة طبيعية وغريزة لدى الكائن الإنساني راسخة (للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن).

إلا أن هذه الحرية الممنوحة للأفراد مؤطرة بإطار أخلاقي وقانوني فليس مشروع للأفراد أن يجمعوا المال من منابع يحرمها الإسلام مطلقاً كالربا والاحتكار والغش والميسر والرشوة والسرقة والتلاعب بالمكاييل والموازين وأمثال ذلك.

ثم أن هذا المال الذي يصيبه الأفراد من حله لابد أن يدفعوا حق الجماعة والرسالة والنهضة منه، وهو ما اصطلح عليه بالزكاة أو الخمس أو ما إلى ذلك.

إن هذا التأطير لحرية التملك الخاص في ضوء الإسلام، هو الذي جعل القلم العبقري للسيد الشهيد محمد باقر الصدر (رض) يطلق عليها الحرية في إطار محدود[3].

على أن الملاحظ أن طبيعة التملك وتقسيمه إلى خاص وعام ـ على

---

(١) سورة العاديات، الآية: ٨.
(٢) سورة الفجر، الآية: ٢٠.
(٣) اقتصادنا: ج١ ص٢٦٠.

Alefbalib.com | بازنشر مقالات و کتب | کتابخانه مجازی الفبا

تفصيلات في المال العام ـ في المشروع الاقتصادي الإسلامي، قد جعل الإسلام يسبق المذاهب الاقتصادية عموماً حيث اعتمد بعضها على محور التملك الخاص ثم اعترف مرغماً بالتملك العام بدرجة ما فكوّن تملكاً مزدوجاً كما يسمى اقتصادنا اليوم.

كما أن بعضاً آخر اعتمد على محور التملك العام، وحارب التملك الخاص بقوة وعنف ثم انهار مشروعه المذكور ليعترف من جديد بالتملك الخاص.

بيد أن الإسلام قد اعتمد ابتداء على محورين أو ثلاثة محاور لتسيير عملية الاقتصاد، وصممها تصميماً مذهبياً راسخاً منفعل بالأحداث التاريخية[1].

إن تأثير هذا الاتجاه الإسلامي واضح الآثار والفعل في حياة المسلمين على الأقل رغم بعد الشقة بين الإسلام والمسلمين في الوقت الحاضر.

هذه بعض مصاديق الحرية التي بلورها الإسلام في شريعته ومنهاجه.

على أن هناك مصاديق للحرية أخرى كحرية التعلم والتعليم والزواج والطلاق والمأكل والمشرب والتجارة والتعاقد وما إليها يمكن ملاحظتها في كتب الفقه الموضوعة لهذا الغرض[2].

---

(١) الإسلام ورسالته الخالدة، محمد أبو المجد: ص٥٠ ـ ٥٦، ط١ ١٩٧٧م.

(٢) راجع منهاج الصالحين، المرحوم المرجع الراحل السيد محسن الحكيم (رض) قسم المعاملات.

Alefbalib.com | بازنشر مقالات و كتب | كتابخانه مجازى الفبا

الفهرست

تقديم السيد فاضل الميلاني ٥

المقدمة ٩

القسم الأول

حديث الغدير (ظروفه، رواته، مدلوله)

١ ـ ماذا حدث يوم الغدير؟ ٢١

٢ ـ رواة حديث الغدير ٢٦

٣ ـ مم اكتسب حديث الغدير أهميته؟ ٦٠

٤ ـ هل الجدة في مضمون حديث الغدير أم في طريقة أدائه ٧٠

٥ ـ كتب تجاوز المسلمون وصية الرسول ﷺ؟ ٧٩

٦ ـ أصوات جهرت بالمعارضة ٨٨

٧ ـ هل يشكل أمر الغدير حدثاً تاريخياً فحسب؟ ٩٠

أهل البيت في آية التطهير والأحاديث الشريفة ١٠٧

القسم الثاني

أثر الفكر الإسلامي في حياة الناس في ضوء مدرسة أهل البيت عليهم السلام

المقدمة ١٢٣

١ ـ الإسلام ينشر التوحيد في الأرض ١٢٦

Alefbalib.com | بازنشر مقالات و کتب | کتابخانه مجازی الفبا

٢ ـ دعوة إنسانية عالمية ١٣٥
٣ ـ الاتجاه الواقعي في رحاب الإسلام ١٤٣
٤ ـ البعد الروحي في الإنسان: موقعه والموقف منه ١٥٥
٥ ـ واقعية الإسلام والمطالب المادية للإنسان ١٦٣
٦ ـ القوى العقلية لدى الإنسان كيف يتعامل الإسلام معها؟ ١٧٠
٧ ـ قضية التراث والمعاصرة ١٨٢
٨ ـ سألة الحرية في ضوء الإسلام ١٩٠
١ ـ المفهوم العام للحرية في الفكر الإسلامي ١٩٠
٢ ـ البعد النظري للحرية في الإسلام ١٩١
٣ ـ الحرية الداخلية في سياق المعنى الحقيقي للحرية ١٩٢
٤ ـ من تطبيقات الحرية في الواقع الاجتماعي ١٩٥
١) حرية التعبير عن الرأي ١٩٥
٢) حرية الاعتقاد ١٩٦
٣) حرية المسكن ١٩٨
٤) حرية الثورة على الطغاة والظلم ٢٠٠
٥) حرية الرقيق ٢٠١
٦) حرية المرأة في الإسلام ٢٠٥
٧) حرية التملك ٢١٢
الفهرست ٢١٥

Alefbalib.com | بازنشر مقالات و كتب | كتابخانه مجازى الفبا